

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

Universite Ain Témouchent-Belhadj Bouchaib



كلية: الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية  
قسم: اللغة والأدب العربي  
مخبر: الخطاب التواصلية الجزائري الحديث



## أطروحة

### مقدمة من أجل نيل شهادة الدكتوراه

ميدان: اللغة والأدب العربي

شعبة: الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات النص وتحليل الخطاب

من إعداد: صلاح الدين رقيق

## العنوان

### المقرب اللساني النصي في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي

ناقش علنا، بتاريخ 14 / 01 / 2025، أمام أعضاء لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
أ.د/ خثير عيسى	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة عين تموشنت
أ.د/ حبيب بوسغادي	أستاذ التعليم العالي	مقرا	جامعة عين تموشنت
أ.د/ جلال مصطفىوي	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	جامعة عين تموشنت
أ.د/ بلقاسم بودنة	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	المركز الجامعي البيض
د/ خالد بن زيان	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة عين تموشنت
د/ أمينة بلهاشمي	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	المركز الجامعي النعامة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## شكرٌ وتقدير

حمداً لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الموجودات،

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد؛

أشكر أستاذي المشرف الدكتور حبيب بوسغادي، على عنايته ابتداءً باختيار العنوان، ثم

التوجيه لاستكمال هذا البحث.

وأشكر كل من كان عوناً بدعائه لي بالتوفيق، والنجاح في مساري الدراسي.

كما أدعو الله أن يكون هذا البحث متوجاً بالخير والبركة، عرفانا بجهود والديّ رحمهما

الله، وما قدّماه لي في مقتبل عمري، وحرصهما عليّ ما وصلت إليه الآن.

والشكر لأهلي وأحبابي على دعمهم المستمر، ولزوجتي المخلصة.

كما أتوجّه بالشكر للأستاذ الدكتور عبد القادر سلامي، الذي كان سبباً في نجاحات

عديداً، وللدكتورة أمينة بلهاشمي، وللدكتورة فضيلة بهليل، ولجميع أساتذتي.. من كانوا

سبباً في تكويني العلمي.

الشكر لهم جميعاً

## إهداء

إلى والديّ الكريمين رحمهما الله تعالى  
إلى كل باحث في لسانيات النص وتحليل الخطاب  
وإلى من كان سنداً في كل الصعاب زوجتي الحبيبة

## مقدمة

## مقدمة:

تشكلت في الدراسات اللسانية الحديثة مجالات عديدة تسعى في مجملها إلى خدمة البحث العلمي خدمة للبشرية، وذلك تماشياً مع متطلبات التقدم الحضاري والتقني. وسعت من خلال الجهود المقدمة إلى البحث عن الخصوصيات التي تمتاز بها اللغة البشرية، وكيفية اكتسابها، وتداولها، والتواصل بها، ولم تهمل في ذلك ضرورة التلقي، فعمدت إلى فهم علاقة اللغة بمتلقيها، وقبل ذلك منتجها الذي يُنتج مدلولات ووحدات لغوية/ لسانية تختلف في طابعها الدلالي والتركيب.

وبما أنّ الدلالات تحويها تراكيب الجمل، والجمل عبارة عن تراكيب لوحات لغوية، تحمل كل وحدة مدلولها الخاص الذي به تكسب قيمتها في الدلالة، فقد انصب اهتمام اللسانيين على الجمل ونحوها، وتراكيبها، وما تنتهي إليه في النصوص.

وبعد تغير وجهة اللسانيات من الجملة بوصفها وحدة لسانية كبرى، إلى النص بوصفه وحدة لسانية أكبر، لها خصائصها، توسعت دائرة البحث لتشمل مجموعة من التوجهات تهتم بالنص وبينته السطحية والعميقة.

وبما أنّ الدرس اللساني العربي قد شكّل بما له من مقومات علمية، وفكرية، ومعرفية حول اللغة العربية تراكما معرفياً، يزخر بمعطيات النصوص المختلفة، تقارباً وتباعداً، أخذاً ورداً، فقد تجلّى ذلك في تلك النصوص التي التفت حول القرآن الكريم، دراسة وبحثاً، في طريق الكشف عن خصائصه الخطائية، وأساليبه البلاغية، وأفانينه الإبداعية، وكانت العلوم المستمدة منه، وصفاً وتقييداً، هي أولى ما عُني به العلماء المفسرون، والمحققون البلاغيون، إضافة لما يتطلبه علم التفسير من إحاطة بعلوم أخرى تُخدم الدرس التفسيري.

وقد أُلّف ما لا يُعدّ في ذلك، بين أثريّ، وحديثيّ، وبيانيّ، وبلاغيّ، وغير ذلك، كلّ حسب توجهه في خدمة الكتاب العزيز. وكان لتلك الجهود الأثر البالغ في نفوس العلماء، قديماً وحديثاً. فألّف اللاحق منهم بناء على السابق، وإن خالفه في شيء يسير، فلا يعدو عن كونه ميلاً

لأحد الأقوال النحوية، أو الأثرية، أو غيرها. إذ مدار التفسير حول إثبات أوجه الإعجاز في القرآن من جهة، وبيان أحكامه من جهة أخرى، وتصريف توجيهاته لما يدعو إليه المقام.

ومن تلکم المؤلفات التي حاولت جمع ما توسّع المفسرون في نقله ودراسته، تفسير الدر الثمين للشيخ التواتي بن التواتي، الذي صدر سنة ألفين وستة عشر ميلادي، عن دار الحكمة. في نحو عشرين مجلدا. قارب فيها المفسر جملة من التفاسير التي قبله: تفسير الطبري المتوفى سنة ثلاثمئة وعشرة هجرية، وتفسير الزمخشري المتوفى سنة خمسمئة وثمانية وثلاثين هجرية، وتفسير الرازي المتوفى سنة ستمئة وستة هجرية، وتفسير أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة سبعمئة وخمس وأربعين هجرية، وتفسير ابن كثير المتوفى سنة سبعمئة وأربع وسبعين هجرية، وتفسير الآلوسي المتوفى سنة ألف ومئتين وسبعين هجرية، وتفسير ابن عاشور المتوفى سنة ألف وثلاثمئة وثلاثة وتسعين هجرية.

وقد سار على التوفيق بين النقولات الأثرية والنظرية، مع ترجيح لبعض الوجوه النحوية، والبلاغية. على أنه كان يحيل إلى مصدر النقل، وفي كثير من المواضع لم يحل إلى ابن عاشور. فالتبس الأمر أثناء التحليل في كثير من النماذج، واتضح ذلك أثناء الموازنة بينه وبين التحرير والتنوير لابن عاشور، وقد أُثبتَ ذلك في محله حرصا على تحرير النقل المدروس.

وكان المنطلق في هذا البحث إثبات ما إذا وُقّق التواتي في توظيف المحمولة اللسانية النصية في تفسيره، وما مدى مقارنة الدرس اللساني النصي لهذا التفسير، فكان العنوان بناء على ذلك: "المقرب اللساني النصي في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي".

وكان السعي من خلال العنوان هو استظهار ما وظّفه تفسير الدر الثمين للشيخ التواتي من آليات نصية لاستنطاق آيات القرآن الكريم وبيان أحكامها ومعانيها، وقوفا على كثير من النماذج في تناوله لسور عديدة بما يناسب المقام، وبما تناسب مع طبيعة البحث من بيان تلك الآليات من سبك وحبك وتناص، ومقامية في بعض المواضع، إضافة للقصدية، إذ كان الاعتماد على الأجزاء الأربعة

الأولى بكثرة، خصوصا في الفصل الثالث، والذي كانت نماذجه مختارة من الجزأين: الثالث والرابع، نظرا للتقاطعات النصية بين سورة البقرة وغيرها من السور. بالإضافة لأجزاء متفرقة (اثنا عشر جزءا من مجموع عشرين جزءا) تناسبت مع مضمون الفصل الثاني، وذلك لكثرة إيراده لتناسب السور في كل التفسير، أما ما تعلق بحديثيات الفصل الأول فكانت النماذج في الأجزاء الخمسة الأولى كثيرة، ثم اتبع الشيخ في بقية الأجزاء شرح المفردات وبعض التوجيهات في القراءات، وبعض الإعرابات، ثم المعنى الإجمالي وبعض المسائل الفقهية، فكان ذلك سببا وجيها للاكتفاء بالأجزاء المذكورة في هذه الدراسة.

وقد تمثلت الدواعي الذاتية في اختيار هذا الموضوع في رغبتين:

- الميل لعلم التفسير.

- حب التطلع للكتابات الجديدة في هذا المجال.

أما الدواعي الموضوعية، فتمثلت في:

- أهمية علم التفسير بصفته مادة تتقاطع فيها مجموعة من التخصصات اللغوية والشرعية.

- اعتناء المفسرين بدلالات النص القرآني وبيان مستوياته الخطابية.

- الاستفادة من الإجراءات المتبعة في علم التفسير للكشف عن كنه النص القرآني، ومدى استجابته للمسائل اللسانية النصية.

أما أهمية البحث فتكمن في التالي:

- دراسة مدونة في التفسير، لعالم جزائري معاصر، لم يُسبق-فيما نعتقد-دراستها في مجال اللسانيات النصية.

-المقاربة اللسانية النصية لتفسير الدر الثمين.

- محاولة تنويع النماذج المدروسة من مختلف أجزاء المدونة (اثنا عشر جزءاً)

- وصولاً إلى ما انتهينا إليه من تنوع آليات النصية في تفسير الدر الثمين.

وأما المنهج المتبع في هذا البحث فكان منهجاً وصفيًا يتوسل التحليل والموازنة بين أقوال ونقول التواتي ومن سبقه كابن عاشور في بعض المواضع، أو الرازي، أو غيرهما. وتجلى ذلك على النحو التالي:

- المقدمة.

- المدخل المفاهيمي: وفيه لمحة عن النصّ واتجاهات علم التفسير، ونبذة عن التواتي والدر الثمين.

- الفصل الأول: (السبك في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين): وفيه عرضنا للآية، ثم معناها عند الشيخ التواتي، ثم عند الشيخ ابن عاشور، وربما أضفنا من أقوال غيرهما تكميلاً للفائدة. ولم يكن الغرض في جميع ذلك المقارنة. بقدر ما كان التحليل وبيان المعنى هو المراد. واعتمدنا في ذلك تتبع النقول التي ساقها الشيخ في مظانها. كما علقنا على ما سقناه توفيقاً بين الأقوال أو إيضاحاً لبعض ما أشكل منها.

- الفصل الثاني: (الحبك في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين) والذي كشفنا من خلاله عن الترابط بين الآي، والسور، والتأويل، وكيف اهتم به المفسرون عموماً.

- أما الفصل الثالث: (التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين) فقد كان الكلام في تمهيده عن التناص، وقد وجهنا البحث فيه إلى ما رأيناه يتناسب مع علم التفسير: من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بكلام العرب. باعتبار السنة في عمومها شرحاً لما أجمل في القرآن، والشعر العربي بيانا لما أشكل في لفظ من ألفاظه من حيث الوضع والاستعمال. واعتمدنا في بعض المواضع في هذا الفصل على التحرير والتنوير، لكن الاعتماد في الغالب كان على

ابن كثير والطبري، والرازي. خصوصا ابن كثير، نظرا لأن الشيخ اعتمد عليه في تلك النماذج التي تناولناها.

- ثم خاتمة الدراسة وفيها ذكر أهم محطات البحث وما خلصنا إليه من نتائج حول ما أثبتناه من معايير في تفسير الدر الثمين، إضافة للملخص حول البحث.

- المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة.

وكان الاطلاع لما كتب في هذا المجال سببا في توجيه البحث لما تقدم ذكره، وغالب ما وقع بين أيدينا كان في غير علم التفسير، ما عدا ما زدنا به أستاذنا المشرف، من أطروحة دكتوراه موسومة: المقترَب اللساني النصي لدى الطاهر بن عاشور -التحرير والتنوير أمودجا-لبوزيان حمزة والتي نوقشت بجامعة وهران سنة ألفين وعشرين ميلادية، والذي كان محورها الكشف عن معياري السبك والحبك في سورة البقرة من التفسير المذكور، وقد حاولنا تعديد النماذج في التحليل، ولم نقتصر على سورة واحدة، إلا في الفصل الثالث.

كما وقفنا على رسالة ماجستير لمحمود بوسته، موسومة: الاتساق والانسجام في سورة الكهف التي نوقشت بجامعة لحاج لخضر بباتنة سنة ألفين وتسعة ميلادية. وكانت هذه الدراسة مزاجية بين النظري والتطبيقي، حرص من خلالها الباحث على بيان أدوات السبك والحبك في سورة الكهف.

وقد نقلنا من قول التواتي أو من غيره ما رأيناه مناسبا بالنقل الحرفي، لما دعا إليه المقام، وناسب ذلك ما نستخلصه من عبارات رأيناها من الأهمية بمكان في وصف آليات التنصيص. وجعلنا النقولات بخط غليظ، ليميز عن تحليلنا أو تعليقنا، إلا في الفصل الثالث، فقد اكتفينا بالنقولات في غالب النماذج مع التصرف ببعضها، لكون المادة المنقولة أحاديث أو أبيات شعرية لا يمكن التصرف فيها، ولأن ما أردنا إثباته في التناص يقتضي ذلك.

واعتمدنا على أطروحة التناص وخطر تطبيقه على القرآن الكريم لمحمد الزبير عباسي والتي نوقشت بالجامعة الإسلامية بباكستان سنة ألفين وأربعة عشر ميلادية، وذلك في الفصل الثالث لما رأيناه يتوافق مع أهداف البحث ويخدم المنهجية المتبعة فيه، فعمدنا إلى تأسيس فكرة التناص في القرآن الكريم في الفصل الثالث من البحث، وأثبتنا نماذج مختارة من التفسير لما تناسب من التأسيس لذلك.

وكانت العمدة في الدراسة على كتب التفسير المذكورة آنفاً، من التحرير والتنوير والتفسير الكبير والبحر المحيظ، فكان من اللازم عقد الموازنة بينها وبين الدر الثمين لتبيين آراء أصحابها اتفاقاً واختلافاً.

وتمثلت الصعوبات في البحث نتيجة لما خلفه وباء كورونا، في المرحلة الفارطة. فصعب علينا إيجاد المدونة، إلى حين توفرها بعد سنتين تقريباً من أول تسجيل في الدكتوراه. فكان هذا داعياً إلى التريث والتأجيل. إضافة لما اعترى المادة المنقولة- في الدر الثمين من لبس في النقل، كما كانت الأجزاء الخمسة الأولى من التفسير هي محوره، فشككت المادة الخام للتفسير، أما ما بعدها فقد كثر فيه ذكر المعاني الإجمالية وهذا الذي كان سبباً في اقتصارنا على بعض الأجزاء منه دون البقية.

وعرفانا مني لمن أبدى حسن الصنيع، أشكر كل من كان عوناً لي من أساتذتي الكرام بدءاً بالمشرف الأستاذ بوسغادي حبيب، وانتهاءً بمن أمدني ببعض الكتب والنصائح والإرشادات، إضافة لكل من دعا لي بصدق توجه أن يُتَوَجَّح جهدي ومساري الدراسي الذي دام خمسا وعشرين سنة متواصلة بهذا البحث الذي أتشرف من خلاله بخدمة تفسير للقرآن الكريم، ولو بجزء بسيط مما استطعت إليه سبيلاً. فإن كان من خلل أو من زلل فعدم العصمة حجتني في ذلك، وإن كان من توفيق فالله وليّ ذلك، وهو يتولى الصالحين، فنسأل الله التوفيق في العمل، وأن يرزقنا القبول في النية والعزائم. والحمد لله رب العالمين.

رقيق صلاح الدين، عين تموشنت، في: 23 رمضان 1445هـ الموافق ل 02 /04 /2024

مدخل:

1/ النّصّ 2 /التعريف بالمؤلف 3 /التعريف بالمؤلف

تمهيد:

لا بد للمشتغل بمجمل معرّفِي من ضبط مصطلحات بحثه ليسهل عليه الوصول للنتائج المرضية من خلال ما يبتغيه من منهجية علمية، ولما كان هذا البحث يدور حول اللسانيات النصية وما يتطلبه البحث فيها وجب تقديم نقاط لا بد من الوقوف عليها، وذلك فيما يلي بيانه:

## 1- النص في المعجمية اللغوية العربية القديمة:

وردت كلمة "نص" في المعاجم العربية القديمة على تنوعها حول معنى: السير الشديد، الانتهاء، البلوغ والرفع وما لا يحتمل إلا معنى واحدا؛ ثم تطورت إلى إسناد الكلام ورفعها إلى منشئه الأصلي.

ففي "تاج اللغة وصحاح العربية" لأبي نصر الجوهري (ت 400 هـ) قوله: "نصت ناقتي، قال الأصمعي: النص: السير الشديد حتى يستخرج أقصى ما عندها؛ قال: ولهذا قيل: نصت الشيء: رفعته، ومنه منصة العروس، ونصت الحديث إلى فلان، أي رفعته إليه... ونصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. ونص كل شيء منتهاه، وفي حديث علي رضي الله عنه: "إذا بلغ النساء نص الحقائق" يعني منتهى بلوغ العقل...

ويقال: نصت الشيء: حركته.<sup>1</sup>

وفي "أساس البلاغة" لجار الله الزمخشري (ت 538 هـ) قوله: "ومن المجاز: نص الحديث إلى صاحبه."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر الجوهري، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998، مادة "نص"، ج3، ص83.

<sup>2</sup> أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، مادة "نص"، ج2، ص275.

وفي "لسان العرب" لابن منظور (ت 711 هـ)، وهو يتحدث بشأن مادة (نصص) قوله:  
"النص: الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما"<sup>1</sup>.  
وفي "التعريفات للجرجاني" (ت 816 هـ) ما نصه: "النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصا في بيان محبته.

-وما لا يحتمل إلا معنى واحدا.

-وقيل: مالا يحتمل التأويل.<sup>2</sup>

ولا يخفى على باحث في هذا الشأن أن الشافعي قد أشار إلى مفهوم النص اصطلاحا وهو ما تعرض له الشريف الجرجاني فيما سبق إيراده، إذ عني الأصوليون دون غيرهم بقضية "النص" كونها تحمل مضمون الخطاب الإلهي الذي لا يقبل تأويلا ولا تعددا في الدلالة، اللهم إلا ما كان من قبيل المؤول الذي يخرج عن النصية عندهم فيضعون له شروطا وضوابط تناسبه في بابه.

2- النص عند المحدثين:

1-2 عند الغرب:

صرحت المراجع بأن أصل كلمة "Texte" في اللغة الفرنسية، وكلمة "Text" في اللغة الإنجليزية؛ بل وفي كثير من اللغات الأوربية الأخرى بما فيها بعض اللغات السلافية لها الجذر اللغوي نفسه والدلالة نفسها وترجع إلى الأصل اللاتيني "Textus" بمعنى "النسيج"، أو "الضفيرة من الشعر"، ومنه تطلق كلمة "Textil" على ما له علاقة بإنتاج النسيج بدءًا بمرحلة تحضير المواد وانتهاء بمرحلة النسيج النهائي وبيعه، وقد ترجمت كلمة "Text" و"Texte" إلى اللغة العربية بكلمة

<sup>1</sup> لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط3، 1994، بيروت، لبنان، مادة "نصص"، ج7، ص98.

<sup>2</sup> التعريفات، الشريف الجرجاني، ط1، 2005، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص167.

"نص" ، والأصل اللاتيني يحيل إلى "النسيج" وهذه المادة توحى بدلالات منها: دقة التنظيم، وبراعة الصنع، والجهد والقصد، والكمال والاستواء.<sup>1</sup>

لقد أشار رولان بارت "R. Barth" إلى أن كلمة "Texte" تدلّ على "النسيج"، وهذا النسيج يوصف بأنه نتاج وستار يختفي وراءه المعنى، وقد شبه نسيج النص بأنه نسيج عنكبوت، لبراعة نسجه وتماسكه؛ بحيث يتعلق بعضه ببعض، وهنا تبرز خصيصة أساسية وجوهرية، وهي ترابط مكوناته وتشابكها.<sup>2</sup>

ويذهب برينكر "Brinker" في تحديده للنص إلى أنه تتابع مترابط من الجمل، واستنتج من ذلك أن الجملة هي جزء صغير من النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع علامة من علامات التنصيص، أي أن بنية النص بنية معقدة متشابكة، وأن ثمة علاقة بين الجزء أو الجملة، والكل أو النص من خلال إشارة الأول إلى الثاني.<sup>3</sup>

ويرى هارتمان "p.Hartman" أن النص علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسميائي، ومع ما يتسم به من عمومية إلا أنه يقدم خصيصة ارتباط النص بموقف اتصالي من جهة، وإمكان تعدد تفسير العلامة النصية من جهة أخرى.<sup>4</sup>

## 2-2 عند العرب:

شاع استعمال كلمة "نص" في أوائل النهضة العربية الحديثة في نهايات القرن التاسع عشر على قصيدة الشاعر وغيرها من النصوص، وإن أغلب الناس من الناطقين بالعربية اليوم يفهمون المعنى العام للنص بأنه قول المؤلف الأصلي، الموثوق به. يذكر بهذا اللفظ لتمييزه من الشروح والتفسير والإيضاح،

<sup>1</sup> ينظر: تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، منشورات دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط1، 2009، ص33.

<sup>2</sup> ينظر: لذة النص، رولان بارت، ترجمة فؤاد صفا وحسين سبحان، ص62، 63.

<sup>3</sup> ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بجيري، ص96.

<sup>4</sup> ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مرجع سابق، ص99.

فيقال: ذكر فلان ما نصه كذا وكذا، وقال أو كتب ما نصه كذا وكذا، أو هذا ما سمعته نصًا وغيره.<sup>1</sup>

قال "محمد مفتاح": "إن النص مدونة كلامية، وإنه حدث يقع في زمان ومكان معينين، يهدف إلى توصيل معلومات، ونقل تجارب إلى المتلقي"<sup>2</sup>

والحق أن النص ليس منبثقًا من عدم، وإنما يتولد من أحداث لغوية سابقة، ويمكن أن تتولد منه أحداث لغوية لاحقة.

ويعرّف سعد مصلوح النص بقوله: "أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع إفادة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلية في تشكيله."<sup>3</sup>

وينطلق عبد الفتاح كليطو، في كتابه "الأدب والغرابة"<sup>4</sup>، من ثنائية الأدب والنص، مبينا أن كلمة الأدب تستعمل بطريقة فضفاضة واعتباطية، دون مساءلة دلالاته اللغوية والاصطلاحية ومقاصده السياقية والمفهومية... ومن ثم، يُفتقر إلى تصورات حقيقية حول الأدب وماهيته ووظيفته، وما يميز النص الأدبي عن باقي النصوص الأخرى.

فالبحث ليس عما يجعل النصوص الأدبية أدبية، بل بما يربطها بالاجتماع أو ما تتركه من آثار نفسية في المتلقي. وينطبق هذا أيضا على مصطلح النص الذي يثير إشكالا على مستوى التحديد والضبط والتدقيق. هذا ما دفع كليطو لتعريفه باستحضار مقابله الذي يتمثل في مفهوم (اللانص)

<sup>1</sup> ينظر: أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص، عبد الوهاب محمد علي، بحث منشور في مجلة المورد، المجلد السادس، العدد الأول، 1977، ص 119.

<sup>2</sup> تحليل الخطاب الشعري "إستراتيجية التناس"، محمد مفتاح، ص 120.

<sup>3</sup> نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001، القاهرة، مصر، ص 24.

<sup>4</sup> ينظر: الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطو، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة 1983.

ومن هنا، فالنص -حسب كيليطو- هو الذي يتميز بالنظام والانفتاح، ويحمل مدلولاً ثقافياً، ويكون قابلاً للتدوين والتعليم والتفسير والتأويل، وقابلاً للاستشهاد به، حينما ينسب إلى مؤلف حجة، معترف بقيمته الأدبية والفكرية، ومكانته العلمية والثقافية...

### 3 - من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص:

عرفت الجملة النحوية تعريفات عدة ومختلفة. فهناك من يعتبرها كلاماً مفيداً. وهناك من يعتبرها فعلاً وفاعلاً، أو مبتدأً وخبراً، أو هي عبارة عن مسند ومسند إليه، وعلاقتها إسنادية. ويعني هذا أن الجملة إسناد وعمدة، وقد تتجاوز ذلك إلى مكملات موسعة أو فضلة توسيعية. أي: إن الجملة عبارة لغوية تتركب من حمل نووي أو موسع، ومكون أو مكونات خارجية. ومن ثم، تنقسم الجملة إلى جملة بسيطة ذات محمول نووي واحد، أو جملة مركبة ذات محمولين فأكثر.

ويرى عبد السلام سليمي أن الجملة نسق ثلاثي التركيب يتمثل في: المسند، والمسند إليه، والتكملة، ونسق نحوي يعتمد على تمام التكوين، وصحة التأليف. وهي أيضاً ذات نسق متصرف، إذ تقبل التحليل والتحويل والإعراب.<sup>1</sup>

كما يرى بعض الباحثين أن النحاة العرب لم يولوا اهتماماً كبيراً، في دراساتهم النحوية، بمسألة دراسة الجملة العربية، من حيث تأليفها وتركيبها والعلاقات داخلها وفيما بينها، فيما عدا ما قام به ابن قاسم المرادي (ت 749 هـ) الذي كتب رسالة في جمل الإعراب، وتلاه بعد ذلك ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) الذي عقد للجملة بحثاً مستقلاً هو الباب الثاني من كتابه "مغني اللبيب".

وفي هذه الفترة أيضاً كتب شهاب الدين الأصبحي العنابي (ت 776 هـ) رسالة نحوية صغيرة بعنوان: **الحلل في الكلام على الجمل**. وباستثناء هذه الأمثلة، لا يوجد -فيما يعتقد- اهتمام واضح بالجملة في الدراسات النحوية، إلا ما لوحظ مؤخراً من اهتمام جيد بدراستها من قبل بعض الدارسين

<sup>1</sup> دراسة في التركيب، عبد السلام سليمي، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، سلا، ط 1، 2010، ص 19 -

المحدثين.<sup>1</sup>

ومن هؤلاء الدارسين المحدثين: فخر الدين قباوة في كتابه "إعراب الجمل وأشباه الجمل"<sup>2</sup>، وحسني عبد الجليل يوسف في كتابه "إعراب النص... دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب"<sup>3</sup>، وإبراهيم صالح الحندود في "الجمل المختلف في إعرابها"<sup>4</sup>، وصالح فضل السامرائي في "الجملة العربية... تأليفها، وأقسامها"<sup>5</sup>، وشكر محمود عبد الله في "دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم"<sup>6</sup> ومحمد حماسة عبد اللطيف في كتابيه: "العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث"<sup>7</sup>، و"في بناء الجملة العربية"<sup>8</sup> وغيرهم الكثير...

هذا وقد تحدث النحاة العرب القدامى عن الجملة الفعلية والجملة الاسمية. لكن هناك من أضاف الجملة الظرفية، مثل: ابن هشام الأنصاري (761هـ)، وتبعه في ذلك السيوطي (911هـ) ومن أمثلة هذه الجملة: أعندك زيد؟ أفي الدار زيد؟ وأضاف الزمخشري الجملة الشرطية إلى الجملتين الأساسيتين الفعلية والاسمية، وقد أشار إليها من قبل كل من الخليل والمبرد.

<sup>1</sup> الجملة العربية، حسين منصور الشيخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 13-14

<sup>2</sup> إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1981 م.

<sup>3</sup> إعراب النص... دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب، حسني عبد الجليل يوسف، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 1997 م.

<sup>4</sup> الجمل المختلف في إعرابها، إبراهيم صالح الحندود، الدراسات اللغوية. 2004 م، 5/1

<sup>5</sup> الجملة العربية... تأليفها وأقسامها، صالح فضل السامرائي، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى سنة، 2002.

<sup>6</sup> دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، دار دجلة، الطبعة الأولى سنة 2009 م.

<sup>7</sup> العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

<sup>8</sup> في بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى سنة 1982 م.

وقد انطلقت الدراسات اللسانية الحديثة في محاولة لتجاوز الجملة كونها لا تخدم النص ككل من لسانيات الملفوظ مع بنفست E. Benvenis<sup>1</sup>، بمعرفة البنى التي تساعد على انتقال الملفوظ من الجملة إلى النص والخطاب، والانتقال من الشفوي إلى المكتوب النصي. ويعني هذا أن لسانيات النص هي التي تدرس النص، وتحلل الخطاب، ولا تهتم بالجملة المنعزلة، بل تهتم بالنص باعتباره مجموعة من الجمل المترابطة ظاهريا وضمينيا...

ومن هنا، فلسانيات النص **Text linguistics** هو فرع من فروع علم اللسانيات **Linguistique/Linguistics** ويتعامل مع النص باعتباره نظاما للتواصل والإبلاغ السياقي.

وفي هذا، يقول فان ديك " : "Van Dijk" إن كل خطاب مرتبط على وجه الاطراد بالفعل التواصلية وبعبارة أخرى، فإن المركب التداولي ينبغي ألا يخصص الشروط المناسبة للجمل ومقتضى الحال فيها، بل يخصص هذا المركب ضروب الخطاب أيضا. وإذا، فإن أحد الأغراض السامية لهذا الكتاب هو الإعراب والإفصاح عن العلاقات المتسقة الاطراد بين النص والسياق التداولي"<sup>2</sup>.

ومن ثم، تهدف هذه اللسانيات إلى وصف النصوص والخطابات نحويا ولسانيا، في ضوء مستوياتها الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية، والبلاغية... كما توصف الجمل حسب المدارس اللسانية؛ لأن النص جملة كبرى. وما ينطبق على الجملة الصغرى ينطبق أيضا على الجملة الكبرى.

وذهب هاليداي haliday ورقية حسن R. hassen إلى أنه إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع، أو مجرد مجموع جمل، أو جملة كبرى وإنما هو وحدة دلالية لها

<sup>1</sup> Benveniste, E. : Problèmes de linguistique générale. Paris : Gallimard.1976.

<sup>2</sup> النص والسياق، فان ديك، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، 1999، ص 20.

معنى في سياق معين، هذه الوحدة الدلالية تتحقق أو تتجسد في شكل جمل، وهذا يفسر علاقة النص بالجملة، فالأخيرة مجسدة للوحدة الدلالية التي يشكلها النص في موقف اتصالي ما، وقد تتجسد الوحدة الدلالية في جملة واحدة، كفقولة امرئ القيس: "اليوم خمر وغدا أمر"<sup>1</sup>، وقد تتجسد في أقل من جملة، كما هي الحال في التنيهات والإشارات والعناوين والإعلانات التي تتكون غالبا من حرف واسم "للبيع" مثلا، أو "لا للتدخين"، وما إلى ذلك<sup>2</sup>

وقد حدد دي بوجراندي De beaugrande ودريسلر Dressler سبعة معايير للنصية Texutuality تمثل القواعد والأسس التي يقوم عليها المنطوق أو المكتوب ليكون نصا.<sup>3</sup> وقد عرّف النص استنادًا إلى هذه المعايير بأنه فعل اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير، وهي: الترابط اللفظي، والتماسك المعنوي، والقصدية، والتقبلية/المقبولية، والإعلامية، والموقفية، والتناص.<sup>4</sup>

وقد صنف "روبرت دي بوجراندي" هذه المعايير إلى معيارين تبدو لهما صلة وثيقة بالنص، وهما معيارا "السبك والحبك"، واثنان نفسيان: وهما معيارا "المقامية والتناص"، وترك المعيارين المتصلين بمنهج النص ومتلقيه، وهما "القصدية" و"التقبلية" من دون أن يصنفهما، وترك أيضا "الإعلامية" لتقدير المنتج والمتلقي.<sup>5</sup>

كما استند سعد مصلوح إلى التصنيف السابق مع تحوير في الترتيب، وصنفها كما يلي:

<sup>1</sup> مجمع الأمثال: الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المثل رقم 4685، ج2، ص417.

<sup>2</sup> ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص68

<sup>3</sup> علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2004، ص128.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص128.

<sup>5</sup> ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراندي، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2، 2007، ص106.

- 1- ما يتصل بالنص في ذاته، وهما معيارا "السبك والحبك".
- 2- ما يتصل بمستعملي النص، منتجا ومتلقيا، وهما معيارا "القصدية والتقبلية".
- 3- ما يتصل بالسياق المحيط بالنص، وهي المعايير الثلاث المتبقية "الإعلامية، والمقامية، والتناس".<sup>1</sup>
- 4- **التعريف بالمؤلف:**<sup>2</sup> ( التواتي بن التواتي )

هو التواتي بن التواتي من أعلام الأغواط، من مواليد 1946 م بمدينة الأغواط بالجزائر. أخذ القرآن الكريم بالزاوية الرحمانية بالأغواط عن كويسي المبروك وتعلم بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم التحق بجيش التحرير، وبعد الاستقلال أعاد حفظ القرآن على يد عالم محمود.

أخذ الفقه عن أبي بكر الحاج عيسى، وبالتحديد اتصل بهذا الأخير وأخذ عنه كتاب "الموافقات" للشاطبي، و"بدائع الفوائد" لابن القيم، وكتاب "المحصل في علم الأصول" للرازي، وذلك بعد التخرج من الجامعة.

- عمل في حقل التربية والتعليم أكثر من 46 سنة في مختلف الأطوار التعليمية. وما يزال يدرّس بجامعة عمار ثليجي بالأغواط.

- أشرف على العديد من البحوث العلمية: رسائل الماجستير في اللغة والفقه.
- عضو اللجنة القطرية لمشروع الذخيرة العربية الذي تبنته جامعة الدول العربية.
- عضو هيئة التحرير لمجلة مجمع اللغة العربية الجزائري.
- متحصل على شهادة الليسانس في الحقوق.
- متحصل على شهادة الماجستير في النحو العربي وأصوله "درجة مشرف جدا".
- دكتوراه الدولة في القراءات "القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي" بدرجة مشرف جدا.

---

<sup>1</sup> ينظر: نحو آجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح، بحث منشور في مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو 1991 م، ص154.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2016، ص: 5-

للشيخ عدة مؤلفات في علوم عدة:

### 1-6 في الفقه:

- "المبسط في الفقه المالكي بالأدلة" خمس مجلدات.  
"الإمام المازري المالكي": بحث يتناول الفقه والأدلة التي اعتمدها.  
"الفقه المقارن": وهو كتاب خص للمقارنة بين فقه المالكية والإباضية.  
"محاضرات في الفقه المالكي".  
"أصول المذهبين" (المالكي والاباضي)، دراسة تقابلية بين موطأ مالك ومسند الربيع في 5 مجلدات.

### 2-6 في أصول الفقه :

- "التحفة البهية في أصول الفقه" (منظومة من 2000 بيت)  
"شرح التحفة البهية في أصول الفقه"، 3 مجلدات.

### 3-6 في علوم القرآن:

- "إرشاد العلي المنان في معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن". 3 مجلدات  
"قراءة نافع برواية ورش في المغرب الأوسط".  
"الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"، 20 مجلدا.  
"التفسير اللغوي للقرآن الكريم". 10 مجلدات.

### 4-6 في الحديث:

- "منهج السالك في شرح موطأ مالك". 20 مجلدا.  
"الدروس الوعظية من خلال الأحاديث النبوية"، فيه عدة أجزاء.

### 5-6 في النحو وأصوله ومباحث في الدراسات اللغوية:

- "الأخفش الأوسط وآراؤه النحوية".  
"المصطلحات بين الفقهاء والنحاة".  
"محاضرات في أصول النحو".

"أصول النحو العربي من خلال" معاني القرآن" للأخفش الأوسط.

"معاني القراءات عند الأخفش الأوسط وتوجيهها النحوي"، 12 جزءا.

"مفاهيم في علم اللسان أو ما يسمى باللسانيات الحديثة".

"المدارس النحوية".

"الموجز في قواعد العربية"، جزءان.

"الخصائص اللغوية والنحوية لهجة بني تميم"، رسالة صغيرة.

"المدارس اللسانية": تشمل أهم المدارس اللسانية: الوظيفية والتوليدية- التحويلية والتحليلية.

"القراءات وأثرها في الدرس النحوي والفقهاء الإسلاميين".

كما له عدة مقالات نشرت في مجلة اللسانيات - الصادرة عن مركز ترقية اللغة العربية، ومجلة المخبر

التابعة لمعهد أصول الدين بالجزائر، ومجلة مجمع اللغة العربية بالجزائر، ومجلة قسم اللغة والأدب العربي

جامعة الأغواط، ومجلة الواحات الصادرة عن المركز الجامعي ولاية غرداية.

## 5- التعريف بالمؤلف (الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين)

ويأتي تفسير "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"، بعد تفسير هود ابن محكم الهواري الجزائري

(ت 258 هـ) الموسوم بتفسير كتاب الله العزيز، الذي قام بتحقيقه بلحاج شريفني، وهو التفسير

الذي يعود إلى القرن الثالث الهجري.

وبعد تفسير عبد الرحمن الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي المالكي

(ت 875 هـ). بل وهناك عدة تفاسير منها ما بقي مخطوطا ومنها ما ضاع وبقي ذكره عند العلماء

في الفهارس والتراجم.

وقد قسم الشيخ تفسيره -الصادر عن دار الحكمة، بالجزائر سنة 2016 في طبعته الأولى -إلى

مجلدات متقاربة حجما، مرتبة منها ووضعا على النحو التالي:

المضمون	رقم المجلد
---------	------------

مدخل: النص /التعريف بالمؤلف/التعريف بالمؤلف

1	يحتوي على مقدمة عن الكتاب وتمهيد عن علم التفسير ومعناه وشرفه ومدارسه... كما قدم الشيخ فصلا متحدثا عن القراءات ومباحث فيها وانتقل بعدها مباشرة لتفسير سورة الفاتحة والقسم الأول من البقرة؛ من الآية الأولى إلى الآية 54. أما صفحاته بدون الفهرس فهي في حدود 589 صفحة.
2	يشمل القسم الثاني من تفسير سورة البقرة من الآية 55 إلى 141، وهو في حدود 532 صفحة.
3	يشمل القسم الثالث من تفسير سورة البقرة، من الآية 142 إلى الآية 210، وهو في حدود 570 صفحة.
4	يشمل القسم الرابع من تفسير سورة البقرة، من الآية 211 إلى الآية 286، وهو في حدود 590 صفحة.
5	يشمل تفسير سورة آل عمران في 477 صفحة.
6	يشمل تكملة سورة آل عمران وقسم من سورة النساء، يقع في 479 صفحة.
7	يشمل تكملة تفسير سورة النساء وقسم من سورة المائدة، ويقع في 496 صفحة.
8	يشمل تكملة تفسير سورة المائدة وسورة الأنعام، ويقع في 493 صفحة.
9	يشمل تكملة تفسير سورة الأنعام وسورة الأعراف، ويقع في 483 صفحة.
10	يشمل تفسير سورة الأنفال وسورة التوبة، ويقع في 490 صفحة.
11	يشمل تفسير سورة: هود، يوسف، الرعد، إبراهيم والحجر. ويقع في 503 صفحة.
12	يشمل تفسير سورة: النحل، الإسراء، الكهف ومريم. ويقع في 494 صفحة.
13	يشمل تفسير سورة: طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون والنور. يقع في 490 صفحة.
14	يشمل تفسير سورة: الفرقان، الشعراء، النمل، القصص والعنكبوت. ويقع في 489 صفحة.

15	يشمل تفسير سورة: الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ وفاطر. ويقع في 450 صفحة.
16	يشمل تفسير سورة: يس، الصافات، ص والزمر. ويقع في 434 صفحة.
17	يشمل تفسير سورة: غافر، فصلت، الشورى، الزحرف، الدخان، الجاثية والأحقاف. يقع في 497 صفحة.
18	يشمل تفسير سورة: محمد، الفتح، الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة والحديد. ويقع في 575 صفحة.
19	يشمل تفسير سورة: المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان والمرسلات. ويقع في 546 صفحة.
20	ويشمل تفسير سورة: النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، المطففين، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق والناس. ويقع في 545 صفحة.

## 8- منهجه في الكتاب

جمع التواتي على حد قوله: " بين الأثر والنظر (...) واعتمد على 250 كتاب تناولت علوم القرآن، 120 منها في التفسير (...) وقد تتبعها آية آية (...) سلك في ذلك الطريقة التقريرية الوصفية، والتحليلية."<sup>1</sup>

كما اعتمد على بيان القراءات وتوجيهها حسب ترتيب السور. وبيّن الإعراب والنحو والأحكام

<sup>1</sup> الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي، ص 29-30.

وما يتعلق بذلك تكميماً للفائدة، سالكا في ذلك على حد قوله: " طريق الاختصار ما استطعت، وربما أطيل حيث رأيت الفائدة، وأقدم عند ذكر المصنفات ما وجد له أثر، مكتفيا به عما ذهب وغبر، إذ الذي فات، لم تبق منه إلا الحسرات، وقد أذكر بعضها تذكيرا بفضل علم السلف، ولعل اسمها يشير شيئا في نفوسنا فيقوم البعض بكتابة شيء على وفق ما تلف<sup>1</sup> ".  
والملاحظ في الكتاب أنه قد رُتّب وفق عناوين اختارها المؤلف؛ يضبط الآية، ثم يعنون بأوجه القراءات، فالفوائد، فالأحكام، فالإعراب، فالمعنى الإجمالي، تسهيلا في نظره على القارئ لفهم النص والاستفادة منه دون تعقيد أو صعوبة في تلمس الفائدة.

---

<sup>1</sup> الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي، ص31.

## الفصل الأول:

السُّبُكُ فِي الدَّرِّ الثَّمِينِ فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ المَبِينِ للشيخ التَّوَاتِي بن  
التَّوَاتِي

تمهيد:

ينطلق هذا الفصل من إشكالية مفادها: كيف تجلّى السبك في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للتواتي بن التواتي؟ وما أهمّ وسائله التي حفل بها هذا التفسير؟ بالإضافة لما يسعى إليه التواتي من خلال توسله بهذا المعيار النصي، وكيف شق بذلك الطريق لبيان مقاصد الآيات؟  
جاء في لسان العرب: "سبك الذهب والفضة ونحوه من الذائب: يسبُّكُه ويسبِّكُه سبْكَاً وسبَّكُه ذَوْبُهُ وأفرغُه في قالبٍ".<sup>1</sup>

قال الجاحظ متحدثاً عن الشعر: "وأجود الشعر ما رأيتُه مُتَلاحِمَ الأجزاء سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إ فراغاً جيداً وسبك سبكا واحداً".<sup>2</sup>

ويعرفها الباحثون في الدراسات اللسانية النصية بقولهم: "أما من حيث مفهوم لسانيات النص؛ فهو إحكام علاقات الأجزاء. ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية؛ إلى حين تدعو دواعي اختيار الأسلوبية ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل".<sup>3</sup>

وقد اختلف الباحثون في ترجمتهم للمصطلح "cohesion"، فمنهم من ترجمه لمصطلح "السبك"، ومنهم من ترجمه لمصطلح "الاتساق"، ومنهم من ترجمه لمصطلح "الربط" ومنهم إلى "التماسك"، ومنهم إلى "التنضيد"....<sup>4</sup>

<sup>1</sup> لسان العرب، ابن منظور، مادة (سبك)، ج10، ص 438

<sup>2</sup> البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ج 1، دار الجيل، بيروت، ص 67

<sup>3</sup> البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، عبد المجيد جميل، ص 78-79

<sup>4</sup> وذلك من خلال الترجمات العربية لمؤلفات أجنبية، ككتاب: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، ونسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً للأزهر الزناد، وغيرها من كتب محمد مفتاح وسعيد

فكل دارس ترجمه بناء على ما يراه مناسباً للمفهوم في اللغة الناقل عنها، ويرى أشرف الشامي أن مصطلح "السبك" هو الأنسب؛ وذكر بأنه يلتقي مع معناها الاصطلاحي، أي التعريف المعجمي للكلمة يلتقي مع معناها الاصطلاحي، حيث أن السبك يقصد به: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص أو خطاب ما. ويهتم فيه بالوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته... كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص أو الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذاً.

ويظهر الالتقاء بين المعنيين: "المعجمي والاصطلاحي" في قول ابن منظور-السابق ذكره-: "ذوّبه وأفرغه في قالب" وقوله: "ويشكل كلا متآخذاً".<sup>1</sup>

إن الدور الذي تقوم به الوسائل اللغوية من ربط بين أجزاء النص؛ فتجعله كلا متماسكا لا يمكن التفريق بين أجزائه. والأجزاء المقصودة هنا هي أجزاءه السطحية، والروابط التي بينها هي روابط شكلية، وليست معنوية... تماماً مثل الذهب، فما هو إلا أجزاء مادية أذيت، لتصبّ في قالب واحد، وحينها لا يمكن التفريق بين أجزائه.

ويؤكد أشرف الشامي أن التقاد العرب القدامى واللغويين قد اعتمدوا على مصطلح "السبك" في وصفهم لتلاحم أجزاء القصيدة الشعرية، وهو ما سبق الإشارة إليه في قول الجاحظ. ومن هنا يعلم أن معيار "السبك" مرتبط بالعلاقات النحوية والمعجمية، ومنها إلى الدلالية... فالعلاقات النحوية والمعجمية تشكل عنصراً شكلياً للنص، وما تؤدي إليه هذه العلاقات النحوية والمعجمية من عنصر دلالي معنوي. فالنص إذن يقوم على شكل نحوي ومعجمي ودلالي، وهو المعنى المقصود أو الذي

---

بحيري...

<sup>1</sup> ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط 1، ص 5. ينظر أيضاً: معايير

النصية دراسة في نحو النص، أشرف الشامي، جامعة الأهرام الكندية، عالم الكتب، ط 2020، ص 16

يؤديه هذا النص، ويعبر عنها بالوظيفة التواصلية التي تؤديها النصوص على اختلاف أشكالها. ولذلك فالاهتمام بالوسائل التي تحقق استمرارية تأدية المعنى في ظاهر النص، هو اهتمام بمقصدية النص.<sup>1</sup>

يمكن القول مما سبق ذكره أن قضية "السبك" وما تعلق بمفهومه؛ هو تعريف لما يقتضيه النحو العربي من ترتيب الكلام وسوقه في سياق معين مضبوط، مبني على التقديم والتأخير، وإرساء دعامة الجمل على مبان ظاهرة، يقتضيهما الوضع العربي، ليفهم من خلالها معنى تؤديه.

وما يؤكد هذا الاستنتاج هو ما سيأتي بيانه من آليات السبك من خلال تفسير الدرّ الثمين، فكلها في نهاية المطاف مباحث نحوية، لا يكاد يوجد كتاب في النحو قديما كان أو حديثا إلا وتناول كلها أو جزءا منها بالتفصيل أو بالإجمال، وذلك أن اللغة لا تقوم إلا وفق نظام مضبوط تؤدي من خلاله وظيفتها التواصلية.

## 1- أهمية السبك في الدرّ الثمين:

يقول التواتي في تناوله لمسألة الإعجاز في النظم والإعراب للآيات الكريمة من سورة البقرة:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُا بِهِءَ مُتَشَابِهًا ۗ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يقول: "مما يدل على الإعجاز التأليفي في القرآن الكريم، أن آيات هذا القرآن مترابطة في تأليفها، متناسقة في تركيبها، معجزة في أساليبها ومعانيها، فصيحة في ألفاظها؛ حتى حيرت

<sup>1</sup> ينظر: معايير النصية دراسة في نحو النص، أشرف الشامي، ص 16 - 17

أربابَ البيان والفصاحة. وإنّ ما أتى به الرّسول صلى الله عليه وسلم من القرآن وغيره ظاهر الحال لا تمويه فيه ولا تلبيس فيه<sup>1</sup>

فالترايط والتناسق في التركيب من أحسن وجوه السبك في الكلام، ولا يكون ذلك إلا من خلال المفردات التي تشكل تلك البنى المسبوكة في انتظام الكلام لتأدية المقصود. ووصفه للقرآن بأنه أتى "ظاهر الحال لا تمويه فيه ولا تلبيس فيه" يقتضي كونه-القرآن-جملة واحدة، أي نص واحد مسبوك بكل أجزائه، وهذا التعبير عند المفسرين بمعنى أنه لحمّة وكتلة واحدة، لها دلالة وقصد. إذ لولا ذلك لكان كما وصف الله هذا القرآن في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٥٦﴾﴾

يقول أيضا: "والقرآن الكريم معجز في نظمه ووصفه، وفصاحة معانيه، معجز في بيانه، معجز بما يشتمل عليه من ظواهر العلمية، معجز في تشريعاته (...). فقد نقل الزركشي<sup>2</sup> عن عز الدين بن عبد السلام: "المناسبة علمٌ حسن، ويشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد، مرتبط أوله بآخره. فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يقع فيه ارتباط. والقرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض".<sup>3</sup>

يعتبر التواتي من خلال ما ساقه حول نظم القرآن من كلامه وكلام من سبقه من المفسرين النص بأنه جملة واحدة، وهو ما عبر عنه بالرصف (أي الرصف المعجمي وفق نظام نحوي، يؤدي دلالة وقصدية). وذلك بسبب التماسك الشديد الذي أحدثه السبك، حتى إن الحكم على طول الجملة لا

<sup>1</sup> الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي، ج 1، ص 390.

<sup>2</sup> البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، جمال حمدي، وإبراهيم عبد الله الكردي طبعة دار المعرفة لبنان، 1990، ج 1، ص 132، 133.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 1، ص 391

يكون بمقياس السطر، لكن بمقياس ما تتوافر عليه جمل النص من خلال وسائل التسبك، فتجعلها جميعا جملة واحدة.<sup>1</sup>

وسياقي الكلام في علم المناسبة في الفصل الثاني من هذه الدراسة، والمهم في هذا الموضوع هو قول عز الدين بن عبد السلام -فيما سبق نقله عند الزركشي ولم يحل إلى مصدره-: "ويشترط في حسن الكلام أن يقع في أمر متحد، مرتبط أوله بآخره..." ضرورة السبك عند المفسرين تظهر جلية من عبارة العز بن عبد السلام، وأنهم إنما اشترطوا في الكلام عموما أن يكون مرتبطا ببعضه. وما ذلك إلا لضرورة "القصدية والموضوعية"، وذلك في قوله: "أمر متحد.."

ثم وصف ظاهرة السبك وما يلتقي معها من الحبك في النص اللغوي بأنه "لو وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط"، فالأسباب المختلفة هي الأنساق والسياقات الخارجية، والذي يكفل سلامة إيصالها للمتلقي هو حسن الارتباط. ونقله هذا يوافق ما سبق سابقا من الآية 82 من سورة النساء. وهذه الخاصية قطعا لا توجد في غير القرآن.

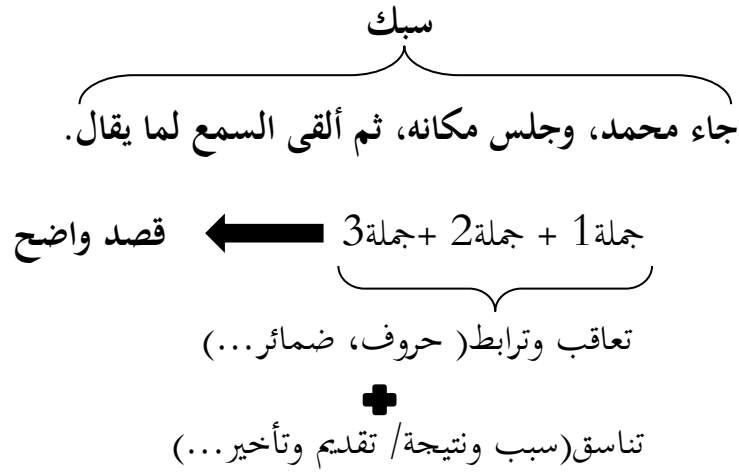
ثم نقل عن شمس الدين محمود الأصفهاني، في تفسيره، نقلا عن الفخر الرازي أنه قال: "إنّ القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، هو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا أنه معجز بسبب أسلوبه أراد ذلك"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> والقرآن بذلك الاعتبار أطول نص لا مثيل له مرتبط أوله بآخره وإن تعددت موضوعاته وكان نزوله منجما، يقول في ذلك الرازي بعد أن تحدث عن وجه النظم في أواخر سورة البقرة في الجزء السابع، طبعة دار الفكر، 1981، ط 1، ص 139: "فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها"

<sup>2</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 1، ص 391 نقلا عن التفسير الكبير، الرازي، ج 7، ص 139

يقول التواتي في تناوله الكلام عن ﴿آلَمَ﴾ من سورة البقرة: "وهذه الفواتح قرآن لا شك في قرآنيّتها، ولكن اختلف القراء في أنها آيات مستقلة؛ والأظهر أنها ليست بآيات مستقلة، بل هي أجزاء من الآيات الموالية لها، على المختار من مذاهب جمهور القراء..."<sup>1</sup>

ويظهر جلياً من قوله: "بل هي أجزاء من الآيات الموالية..." إدراكه لقيمة السبك ووظيفته النصية، وهو ما يوافق الدراسات النصية من كون السبك يفرق بين ما هو نص وما هو غير نص. فنفيه لقول القائلين بأن الحروف المقطعة ليست جزءاً من السور بل هي مستقلة يؤكد ذلك؛ فالجموعة من الجمل إذا خلت من السبك فلن تكون إلا توالياً من الجمل خالية من الدلالة، ولن تمثل نصاً ولن تعطيه معنى التكامل، فالشّروط الأساسي في هذه الجمل أن تقوم بينها علاقات سبك تؤدي إلى تعاقب أفقي متناسق لوحداث لغوية مترابطة.<sup>2</sup>



يقول التواتي في تفسير مطلع سورة البقرة: "والصحيح عن الكوفيين أن جميعها آيات، وهو اللائق بأصحاب هذا القول (...). والوجه عندي؛ أنها آيات، لأن لها دلالة تعريضية كنائية، إذ

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، التواتي، ج 1، ص 255

<sup>2</sup> ينظر: مدخل إلى علم لغة النص فولفانج هاينه من ودينز فيهفيجر، تر: فالخ بن شبيب العجمي، الناشر جامعة الملك سعود، 1419 هـ، ص 25

المقصود: إظهار عجزهم، أو نحو ذلك. فهي تطابق مقتضى الحال مع ما يعقبها من الكلام، ولا يشترط في دلالة الكلام على معنى كئائي أن يكون له معنى صريح، بل تعتبر دلالة المطابقة في هذه الحروف تقديرية، إن قلنا باشتراط ملازمة دلالة المطابقة لدلالة الالتزام.<sup>1</sup>

تكمن أهمية السبك من خلال ما ذكره المفسر من جعل الكلام نصا، بحيث له دلالة (أيا كان نوعها)، وهو عبارة عن مجموعة من الجمل المتتالية المترابطة التي تقوم على شروط صحة نحوية، لقوله: "...مع ما يعقبها من الكلام..." فالتعاقب شرطه التركيب النحوي إضافة للدلالة.

ومن أمثلة ضرورة السبك في الكلام ما نقله<sup>2</sup> عن أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط<sup>3</sup>: "والأولى جعل كلّ جملة مستقلة، ف: ﴿ذَلِكَ أَلْكَتَبُ﴾ جملة، و ﴿لَا رَيْبَ﴾ جملة، و ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ جملة. ولم يحتج إلى حرف عطف لأن بعضها آخذ بعنق بعض.

فالأولى: أخبرت بأن المشار إليه هو الكتاب الكامل، كما تقول: زيد الرجل، أي الكامل في الأوصاف.

والثانية: نعت، لا يكون شيئا ما من ريب.

والثالثة: أخبرت أن فيه الهدى للمتقين"

وعليه يمكن القول أن المفسر يدرك آلية السبك وضرورته في القرآن الكريم-ويتبين ذلك من نقله لكلام أبي حيان الذي يصف الآيات بأن بعضها آخذ بعنق بعض، لترتيبها وحسن سبكها. - قد سهل ذلك عليه مهمة تناول الآي القرآنية، وهو ما يذهب إليه الباحثون في اللسانيات النصية ويحاولون إثباته في نصية النص. فالسبك يفيد كثيرا في اختصار النص، ويرى اللسانيون أنه من خلال

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، التواتي، ج1، ص 255

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 266

<sup>3</sup> تفسير البحر المحيط، أبي حيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1993، ج1، صفحة 161

هذه الآلية يمكن لمنشئ النص<sup>1</sup> أن يأتي بكلمة واحدة تنشط كمّا كبيراً من المعلومات، وتحلّ محلّها في النصّ. كما يستغنى بها عن كثير من تلك المعلومات. وبذلك يؤدي إلى اختصار النصّ.

كما يؤدي السبك إلى الفهم الصحيح للمفردات، فالمفردات لها معاني معجمية ربما تتعدد، ولا يرجح أحد هذه المعاني إلا النص<sup>2</sup>، بما يمتلك من وسائل تؤدي إلى سبكه، وإبراز معاني مفرداته. نختار من ذلك ما قاله في تفسير سورة النجم بعد أن ساق اختلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾<sup>3</sup>، فقد اختلفوا في معنى النجم المقسم به هنا، منهم من قال أنه الثريا ومنهم من قال أنه القرآن، ومنهم من قال بأنها النجوم يوم القيامة، ومنهم من قال بأنه النبي - صلى الله عليه وسلم -... إلى أن قال بعد ذلك: "وهذه الآيات موجهة لمشركي قريش للتعريض بهم (...). والآية نص على أن الله أقسم بعظم مخلوقاته وهي النجوم السيارة (...). ولمكانتها في نفوسهم حتى أن منهم من عبدها (...). وقد خاطب سبحانه بهذا القسم العرب الذين يعرفون ما للنجوم من جزيل الفضل عليهم، في تعيين المواسم والفصول..."<sup>3</sup>

فالمفسر في هذا الموضع حكّم السياق اللغوي لضبط المقصود بلفظ النجم في مفتتح السورة، فدلالة اللفظ يحكمها السياق في ضبط دلالتها، مع أن المفسرين إنما يعتمدون على النقل لما يصلهم من مادة علمية، فمنهم من يرجح وفق ما يراه مناسباً من آليات علمية، ومنهم من يكتفي بقوله: "وفيه نظر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> هذا في غير القرآن، إذ لا يتوافق إسقاط كلام الغربيين على كلام الله تعالى كما سيأتي في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

<sup>2</sup> وسيأتي الكلام في ذلك في عنصر السياق الذي يتضمنه الحبك النصي (الفصل الثاني).

<sup>3</sup> الدر الثمين، ج18، ص 313، 314

<sup>4</sup> ينظر: في ذلك ابن كثير في تفسيره المشهور في كثير من المواضع ينقل أقوال السلف ويكتفي بعدها بقوله: "وفيه نظر"... ينظر مثلاً في تفسيره في سورة الكهف، في مسألة بناء المسجد على أصحاب الكهف، كذلك في

## 2- وسائل السبك في الدر الثمين:

هناك علاقة بين المفردات تؤدي إلى تكوين جملة متماسكة، لها معنى معين، هذه الجملة ترتبط مع السابقة واللاحقة بوسائل سبك، تجعل من الجمل فقرة متماسكة، منسبكة، وهذه الفقرة ترتبط بفقرات أخرى سابقة ولاحقة بوسائل سبك تجعل منها نصّا متماسكا، متلاحم الأجزاء، تقوم على مبدأ الاعتماد النحوي؛ والذي يتحقق في شبكة من العلاقات الهرمية والمتداخلة، ويكون على مستويات: صوتية، صرفية، وتركيبية، ومعجمية، ودلالية.<sup>1</sup>

إن المفسر في حديثه عن الآيات التالية من سورة البقرة قد أطنب واسترسل في وصف السبك فيها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ١٣ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ١٤ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٥ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ١٦ ﴾

الذي أتى بعرش بلقيس، في سورة النمل...

<sup>1</sup> ينظر: نحو آجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد 10، العدد 1 و2، يوليو-أغسطس، 1991 صفحة 157

قال: "نظم هذه الآيات.." <sup>1</sup> في عنوان مستقل ليؤكد على ضرورة ما يود تبيانه. ثم يعقب بقوله بعد ذلك: "إن وجه النظم واتساق الجملة، وبين مدلولاتها وإشارات إلى التوبيخ على النفاق، ثم تشنيعه، ثم تقبيحهم، ثم التهديد عليه، ثم ترهيبهم، ثم التعجب منهم، ثم بيان مقصدهم من قولهم المذكور، ثم بيان علة قولهم، ثم بيان أول الجنايات الأربع الناشئة من النفاق؛ وهي الخداع، والإفساد، وتسفيه المؤمنين، والاستهزاء بهم، ثم تمثيل جناياتهم وحيدهم بأسلوب استعارة تمثيلية هكذا..." <sup>2</sup>

إن حديثه عن الاتساق-وهو نفسه السبك-، وعن مدلولات وإشارات الآيات التي تصف المنافقين يجعلنا ندرك مدى أهمية السبك التي أكدنا عليها في ما سبق تناوله، خصوصاً أن القرآن الكريم قد تضمن ذلك. ثم يشير إلى تلك المدلولات وأن معاملتهم مع أحكام الله تعالى، ومع النبي - عليه الصلاة والسلام- والمؤمنين مع إبطان الكفر إنما لسفهمهم وحمقهم.

ثم بيّن وجه ذلك السبك البديع فيقول: "أما نظم الجملة: الجناية الأولى، من قوله تعالى: "يُخَدِّعُونَ" إلى قوله تعالى: "بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾"، فانظر إلى ما تضمنت من النتائج المتسلسلة المترتبة في الجملة السبع..."

قوله: "النتائج المتسلسلة.." لا يخرج عن إطار ماهية السبك، والذي من خلاله تجري الدلالات في نسق محدد لتؤدي وظيفة القصدية<sup>3</sup>، كما يشير قوله: "الجملة السبع" إلى مفهوم النصيبة التي يؤكد ما قبلها من الترتيب والتسلسل، وأنها أسباب ونواتج.

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 314، 315

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 314، 315

<sup>3</sup> ويجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الكلام في النتيجة والسبب يدخل ضمن إطار الحبك، غير أن أي باحث في هذا المجال لا يمكن أن يفصل بين السبك والحبك للتعالق الشديد بينهما، كما أن عنصر القصدية حاضر بشدة

وبعد أن ذكر تلك النتائج المتسلسلة من تحميقهم بطلب المحال، ثم تسفيهم بإضرار أنفسهم، ثم تجهيلهم بعدم التمييز بين الضر والنفع، ثم ترذيلهم ببحث طباعهم ومرض نفوسهم، ثم تذييلهم بتزييد المرض في طلب الشفاء، ثم تهديدهم بألم محض يولد ألماً صرفاً، ثم تشهيرهم بين الناس بأقبح العلامات كالكذب...

قال واصفا علة السبك والانتظام في الجمل التي وصفها من الآيات السابقة: "وأما اتساق وانتظام تلك الجمل السبع وانصباب الحكم فيما بينها؛ فهو أنك كما إذا أردت زجر واحد عن شيء ونصحته، تقول له:

أولاً: يا هذا، إن كان لك عقل فهذا محال. ثم إن كنت تحب نفسك فهذا يضرها، ثم إن كان لك حس فلم لا تميز بين الضر والنفع؟ ثم إن لم يكن لك اختيار، فلا أقل من أن تعرف فساد سجيتك، وفيها مرض يحرف الحقيقة ويريك الحلو مرا، ثم أن تطلب الشفاء؛ فهذا يزيد مرضك ولا يشفي، مثلك كمثل من ابتلي بداء السهر، فاجتهد في النوم فأنتج له قلقاً طير نعاسه (...). ثم أتمه بقوله: "بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾" لتوسيمهم بأشنع الوسم، أي: إن لم تنتهبوا ولم تنتهبوا لم يبق إلا أن تشهروا بين الناس بالكذب المانع للاعتماد لئلا يتعدى مرضكم.<sup>1</sup>

فغرض هذا الاتساق-السبك-هو ترتيب النتائج إلى أقصى حد بلغه المنافقون، وهو أنهم لما كان منهم كل ما ذكر في الآيات السابقة ولم ينتهبوا فضحهم الله وأشهر صفاتهم وختم على قلوبهم بنفاقهم، ثم كانوا عند الناس كاذبين. خصوصاً إذا علمنا أن الكذب في ذلك الزمن كان أشنع وصف

فيهما، خصوصاً في الحبك. أما التسلسل المذكور هنا فالذي يعنى به هو الترابط النحوي، أي السبك النصي.  
<sup>1</sup> الدر الثمين، ج1، ص 315، نقلاً عن: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، سعيد النورسي، ص 94. في

الطبعة 3، بدار سوزلر، القاهرة، 2002، ص 97

يمكن أن يوصف به الإنسان، وكانت العرب تتحاشاه لمروءتها. فلذلك كانت هذه النتيجة صاعقة لهم.

## 2-1- وسائل السبك النحوية في الدر الثمين

### 2-1-1- الإحالة:

يعرّف لاينز في سياق حديثه عن المفهوم المتعلق بالإحالة بأنها: "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"، قال: "وهي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات".<sup>1</sup>

وتعتبر الإحالة عند بعض الدارسين في اللسانيات النصية، بأنه لولاها لكنا ملزمين بإحضار ما نتحدث عنه حتى يمكننا التواصل؛ فإن المتحدث بطريقة الإحالة يتحدث عن أشياء، هي في ذهن السامع. وما على السامع إلا أن يعمل فكره ليفهم المعنى، ويشغل ذاكرته ليحدث التواصل.<sup>2</sup>

يقول التواتي في تفسير سورة الفاتحة: "من اللطائف البلاغية للالتفات: التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلوينٌ للنظم من باب إلى باب، جار على نهج البلاغة، في اهتمام الكلام، ومسلك البراعة، حسب ما يقتضي المقام، لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب، أدخل في استجلاب النفوس، واستمالة القلوب، يقع من كل واحد من المتكلم، والخطاب، والغيبة، إلى كل واحد من الآخرين.

ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة، والاستعانة به تعالى، لما أجري عليه من النوعات الجليلة، التي أوجبت له تعالى أكمل التمييز،

<sup>1</sup> انظر: تحليل الخطاب، جيم براون وجيم يول، تر: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 1997، ص 36

<sup>2</sup> ينظر: لسانيات النص؛ نشأتها ومفهومها وأسسها، محمد عبد الرحمن أحمد محمد، 2015، دار الكتب المصرية، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية، بنين بجرجا، ج 3، ص 80

وأتم الظهور؛ بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور، فاستدعى استعمال صيغة الخطاب...<sup>1</sup>

فالالتفات من الغيبة إلى الحضور، والتنقل من الغيبة إلى الخطاب، هو استعمال ما يتطلبه الخطاب من إحالة مباشرة من خلال الضمير المتصل، والذي يعنيه هنا هو قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فكاف الخطاب، هو ما عبر عنه بتلوين النظم، وتبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور، وعلل لذلك بأن المقام استدعى أي تطلّب استعمال صيغة الخطاب، أي الإحالة لله تعالى المذكور في أول السورة ثم في الآيات بعدها بأسماء وصفات شرحها قبل أن يأتي على الكلام في وجه النظام وبلاغة الالتفات.

ويذكر في تفسير الفاتحة شيئاً مما لفته في هذا التلوين الخطابي ويعلل لذلك بقوله: "ففي الآيات الأولى لسورة الفاتحة، نلاحظ أن الكلام بعضه على وجه المغايرة، وبعضه على وجه المخاطبة، لأنه افتتح السورة بلفظ المغايرة، وهو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم ذكر بلفظ المخاطبة، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾"<sup>2</sup> فالمغايرة ظاهرة أسلوبية تظهر في السبك النصي، أي على مستوى البنى السطحية.

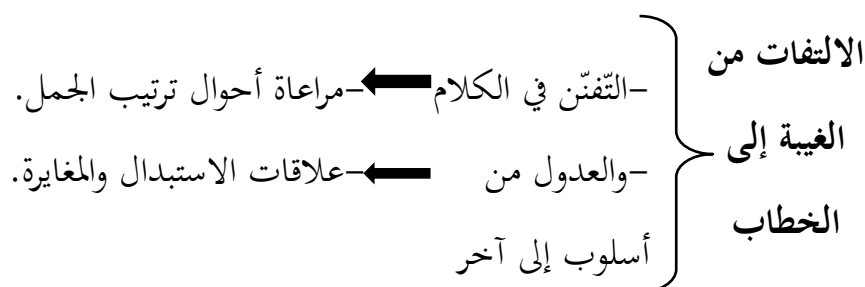
ثم يصف بعد ذلك سر هذا الالتفات، والانتقال الإحالي، يقول: "سرّ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وقد ازدحمت فيه أذهان العلماء، بعد بيان نكته العامة؛ وهي: التفنّن في الكلام، والعدول من أسلوب إلى آخر، تطرية له وتنشيطاً للسامع"<sup>3</sup>

يُلحظ مما سبق بعض من مظاهر السبك؛ وهي كالتالي:

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 1، ص 222

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 223

<sup>3</sup> الدرّ الثمين، ج 1، ص 226



### شد انتباه السامع/ المتلقي قصد التأثير فيه والتنبيه له لأهمية الموضوع

والذي يبدو من هذه العلاقات التي يشرحها المفسر، والتي أوضحناها في الشكل أعلاه؛ أن سبك القرآن الكريم يمتاز بحسن الرصف والارتباط والنظم، شكلا ومضمونا، وهو ما دعا العلماء أن تزدهم أذهانهم - كما وصف في ما نقلناه- حول مظهر من مظاهره. فالالتفات بكونه ظاهرة نصية تقوم على الإحالة، والرصف، والاستبدال؛ تعطي الدلالة قيمة معتبرة. ولعل ما ذكره من نقله عن الرازي- فيم سبق- أن هذا الأسلوب القرآني الذي يبنى على الإحالة بأنواعها، هو السبب في إعجاز القرآن.

فالإحالة بذلك من أهم وسائل السبك النحوية؛ لكونها تضم الكثير من الوسائل التي تؤدي معنى وظيفا، كالتكلم، والخطاب، والغيبة، والقرب، والبعد، والتذكير، والتأنيث. ولكنها مبهمة، إذ لا يفهم المقصود منها إلا بالرجوع إلى عنصر محال إليه.

تتمثل هذه الوسائل في: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة. والتي تعتبر واسطة بين عناصر النص. إذ تدلّ على ما سبق الكلام عنه، أو ما سيأتي، في سياق متسق، يؤدي قصدا دلاليا، ومعنى موحدًا. إذا كان هذا العنصر المحال إليه مبهما سمي "عنصرا إيجابيا"، يتعلق بسابق، أو لاحق

يرجع إليه. فإذا كان في النص المذكور سمي "عنصرا إشاريا لغويا"، وإن كان في خارج النص، سمي "عنصرا مقاميا" أو "عنصرا إشاريا" غير لغوي.<sup>1</sup> وسيأتي التمثيل لهذه العناصر فيما سيأتي معنا.

## 2-1-2 الإحالة عند النحاة وتفسير الدرّ الثمين:

مما يتبادر إلى الأذهان أثناء البحث خصوصا، أن أدوات السبك النصي مستمدة من الدراسات الغربية، وأن العرب القدامى-النحاة خصوصا- قد أهملوا هذا الجانب المتعلق بالإحالة. لكن من خلال المتابعة يظهر أنه لم تكن قضايا الإحالة غائبة عنهم، بل إنهم قاربوا هذا المصطلح من أبواب خاصة، فصلّوا فيها في أبواب الدرس النحوي. فقد درسوا الإحالة وأشاروا إليها ضمن موضوعات: "الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة... كما سيأتي. وهذه الأخيرة؛ قد صنفت ضمن أدوات الإحالة باللسانيات النصية، لكن النحاة قد فصلوا القول في ذكر أنواعها، وأثرها في تحقيق المعاني. فميزوا بين الضمائر، وأشاروا إلى دلالتها، وحددوا عائدتها. فهم بذلك يثبتون القيمة والأثر الوظيفيين، وفسروا كل ما يتعلق بهذا الجانب، ثم انتقلوا إلى المضمرة، كونها معارف تضرر الاسم العلم، الذي يعود في السياق على اسم ظاهر، محدد الدلالة، له أثر في ربط الكلام بما يسبقه ويلحقه.

وقد تناول النحاة القدامى ما يتعلق بالتمييز بين النكرة والمعرفة، فجعلوا المعرف التعريف، باستثناء العلم. وأدخلوا في هذه الضمائر، والإشارة، والصلة... كما أدخلوا النكرة المقصودة وغير المقصودة، والتي تنتقل من حيز النكرة إلى المعرفة، وذلك حين تحيل على معلوم له وجود خارجي، يعرفه المتكلم بعينه. وقد اشترطوا في ذلك توافر جملة صلة الموصول على ضمير عائد، تفسره جملة

<sup>1</sup> ينظر: نسيح النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1،

الصلة، التي ينبغي أن تكون معلومة لدى السامع. وبهذا نجد أنهم قد أعطوا أهمية وأولوية للضمير، الذي يؤدي وظيفة الربط، والإحالة.<sup>1</sup>

والملاحظ أن الإحالة في التراكيب النحوية إما من قبيل الإحالة القبلية، وهي التي يرجع فيها الضمير إلى مفسّر سابق في النص، يبين مقصود الضمير. وإما من قبيل الإحالة البعدية... وكلاهما يعتبر من قبيل الإحالة الداخلية لأن الضمير، أو مرجع الضمير مصرح به في النص. وإذا كانت الإحالة إحدى وسائل الربط بين عناصر النص فإن ذلك لا يتحقق بالضمير فقط، إنما بما يقوم مقام الضمير، في عملية الربط، يراد من ذلك كله أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وهذه دلالة واضحة على وجود الفكر الإحالي النصي عند نخاة العرب.

أما يدل على اهتمامهم بالإحالة، وإدراكهم لأهميتها الدلالية. مثلاً: سيبويه المتوفى سنة 180هـ، في الكتاب الذي عدّه الدارسون آية/ قرآن التّحو؛ إذ استند إلى ضوابط لغوية خالصة، تركيبية، وصرفية، ودلالية، وصوتية. كما اعتمد على ضوابط خاضعة للموقف الكلامي، أو ما يعرف بسياق الحال، فيمكن للمتكلم أن يستغني عن بعض مكونات الكلام، لما يوفره سياق الحال للمخاطب من معرفة. ينظر في ذلك الكتاب، لسيبويه، ج 1، تح: عبد السلام هارون، ط3، 1988، 69-72.

أيضاً الفراء المتوفى سنة 207 هـ، في كتابه "معاني القرآن"، يطلق على الضمير أو المضمّر المكّئ أو الكناية ومشتقاتها، كما استعمل مصطلح الضمير، "ولا فرق بين المضمّر والمكّئ عند الكوفيين، فهما من قبيل الأسماء المترادفة، فمعناها واحد، وإن اختلفا من جهة اللفظ." هذا نصه. كذلك ذكر مصطلحا آخر للضمير؛ هو مصطلح "العائد"، أو الراجع ذكره. وهذا المصطلح يبين أهمية الضمير في تأدية الوظيفة الدلالية، من حيث ارتباطه بالمفسّر، أو المحال إليه... وغيرهم كثير. ينظر: معاني القرآن، يحيى بن يزيد الديلمي الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

ولا شك في أن التواتي في تفسيره "الدر الثمين"، قد اعتمد على ما خلّفه النحاة في كتب النحو، خصوصاً وهو يعنون في أكثر من موضع بـ: "التحليل النحوي" وينقل ما ذكره سيبويه والأخفش والكسائي وغيرهم، ثم يرحّح قولاً يراه مناسباً في الباب المراد تبيينه. وليس هذا في الإحالة فقط بل في ضبط بعض المعاني التي يحكمها السياق اللغوي، وسيأتي بيان أمثلة في ذلك.

## 2-1-3 أنواع الإحالة:

### 2-1-3-1 إحالة إلى ما هو داخل النص:

يقول التواتي في تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿الْم ١ ذَلِكِ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢﴾، "وهنا تظهر لنا لطيفة بلاغية، لا بد من الوقوف عندها؛ وهي أن الله تعالى أشار إلى القرآن في هذه الآية إشارة البعيد، وقد أشار له في آيات أخرى إشارة القريب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٣﴾<sup>1</sup>، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٧٦﴾<sup>2</sup>، وكقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ... ٣﴾<sup>3</sup>، وكقوله تعالى: ﴿فَخُنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ... ٤﴾<sup>4</sup>، إلى غير ذلك من الآيات، وللجمع بين هذه الآيات أوجه...<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الآية 9 من سورة الإسراء

<sup>2</sup> الآية 76 من سورة النمل

<sup>3</sup> الآية 92 من سورة الأنعام

<sup>4</sup> الآية 3 من سورة يوسف

<sup>5</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص257

إن وصف التواتي للمفتتح بأن فيه لطيفة بلاغية يجب الوقوف عندها، يظهر لنا اهتمامه بما سيأتي. وذكر لنا الإشارة إلى القرآن ب: "ذلك"، أي هو إحالة لذات القرآن الذي ورد فيه لفظ ذلك، وليس ببعيد.

وقد تسارع المفسرون واللغويون والبلاغيون لشرح معنى الإحالة باسم الإشارة في هذا الموضوع تحديداً، فمنهم من وقف على تفسيره بهذا، وقد أورده المفسر في ذات السياق بعد إيراده لما سبق نقله. ومنهم من قال بأن اسم الإشارة المحيل للقرآن وإن كانت دلالة عند العرب للبعيد، غير أنه هنا دلّ على البعد المعنوي لا المحسوس، وأنه منزّه عن مشابحة كلام البشر، وهو بذلك يدلّ على عظم شأن القرآن الكريم لتنبه السامع على ذلك.<sup>1</sup>

أما كلامه عن الإشارة بالقرب في آيات أخرى، فقد ذكر أن ذلك يعني أن القرآن قريب حاضر في الأسماع والألسنة والقلوب.<sup>2</sup>

ثم يتعرض في تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿الْم ۝۱ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝۲ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝۳ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝۴ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝۵﴾

يقول في التحليل اللغوي في كلامه عن الهداية ومعانيها: "وقد ذكر علماء التفسير للفظ "الهدى" معاني كثيرة..."<sup>3</sup> وذكر منها 13 معنى محيلاً<sup>1</sup> لآيات قرآنية في مواضع عدة، نجمعها في الجدول التالي:

<sup>1</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 1، ص 258

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 258

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 280

المحيل	عدد المعاني	المعنى المحال إليه	الآيات المحال إليها
هُدَى	1	البيان	- ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ﴾ <sup>2</sup> - ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ <sup>3</sup> - ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ۖ﴾ <sup>4</sup>
	2	دين الاسلام	- ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ۗ﴾ <sup>5</sup> - ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ <sup>6</sup>
	3	المعرفة	- ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ <sup>7</sup> - ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ <sup>8</sup>
	4	الرسول	- ﴿فَأَمَّا يَا تَبِيتُكُمْ مِّمِّي هُدًى ۖ﴾ <sup>9</sup>

<sup>1</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص 281-282

<sup>2</sup> الآية 5 من سورة البقرة

<sup>3</sup> الآية 52 من سورة الشورى

<sup>4</sup> من الآية 17 من سورة فصلت

<sup>5</sup> من الآية 73 من سورة آل عمران

<sup>6</sup> من الآية 67 من سورة الحج

<sup>7</sup> من الآية 16 من سورة النحل

<sup>8</sup> الآية 41 من سورة النمل

<sup>9</sup> من الآية 38 من سورة البقرة

<p>﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾<sup>1</sup></p> <p>﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>2</sup></p> <p>﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>3</sup></p>	الرشاد	5	
<p>﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾<sup>4</sup></p>	القرآن	6	
<p>﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾<sup>5</sup></p>	بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم -	7	
<p>﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾<sup>6</sup></p>	شرح الصدور	8	
<p>﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾<sup>7</sup></p>	التوراة	9	
<p>﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾<sup>8</sup></p>	الجنة	10	
<p>﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>1</sup></p>	حج البيت	11	

<sup>1</sup> من الآية 22 من سورة ص

<sup>2</sup> من الآية 22 من سورة القصص

<sup>3</sup> الآية 6 من سورة الفاتحة

<sup>4</sup> من الآية 23 من سورة النجم

<sup>5</sup> من الآية 52 من سورة الشورى

<sup>6</sup> من الآية 125 من سورة الأنعام

<sup>7</sup> من الآية 53 من سورة غافر

<sup>8</sup> من الآية 9 من سورة يونس

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ <sup>2</sup>	لا يصلح	12	
﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ <sup>3</sup>	التوبة	13	

إن الاعتبار المتفق عليه عند المفسرين من كون القرآن يفسر بعضه بعضاً، وهو أحسنها وأيسرها، جعل من المفسر يعتمد عليه في شرح معنى الهدى الوارد في مفتتح سورة البقرة. وقد عرض جملة الآيات التي اشتملت على معاني الهدى، وذلك بأن أحال عليها وذكر المعنى إجمالاً في كل ما عرضه، حيث عدد المعاني فوجدها كما ذكر- في ما نقلناه سابقاً- 13 معنى متفرقة في مجموع الآيات التي أوردتها، وهي كذلك في الجدول أعلاه. والذي ضبط المعاني هو السياق<sup>4</sup> لا غير.

إن اعتبار القرآن نصاً واحداً، وإن تعددت سورته، واختلفت أسباب نزوله يسهّل على المفسر له عملية الاستدلال وعرض المعاني المتفرقة فيه، ولا يكون ذلك إلا من خلال الإحالة لتلك المواضع. وهو عين ما فعله التواتي في هذا الموضوع.

غير أنه يجدر الإشارة إلى كون أن هذه الإحالة إحالة موسعة، أو ما يمكن أن نطلق عليه الإحالة النصية الكبرى، والتي ينفرد بها القرآن الكريم ويمتاز بها توافقاً واطراداً. وقد أشرنا لذلك سابقاً. واللسانيات النصية، وإن نظرت في الإحالة فهي تقتصر على النص الواحد لا على جملة النصوص، وإن كان بحثها عن الإحالة لنصوص أخرى فستخرج إلى نوع آخر وهو إحالة إلى خارج النص.

<sup>1</sup> الآية 96 من سورة آل عمران

<sup>2</sup> من الآية 52 من سورة يوسف

<sup>3</sup> من الآية 156 من سورة الأعراف

<sup>4</sup> وهذا يدخل ضمن الفصل الثاني من هذا البحث، مما يدل على شدة التعالق بين السبك والحبك.

يقول الأزهر الزناد في بيان ذلك: "هي إحالة على العناصر اللغوية، الواردة في الملفوظ؛ سابقة كانت، أو لاحقة، فهي إحالة نصية."<sup>1</sup>

وهي تعود على مفسّر سبق التلفظ به، ويجري فيها تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمّر، بإحالة على اللاحق، تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، ومن ذلك ضمير الشأن في العربية أو غيره من الأساليب.<sup>2</sup>

وتظهر أهمية الإحالة في القرآن الكريم من خلال كونها تعمل على إظهار سبب النص القرآني والربط بين أجزائه؛ فهي أكثر اتصالاً به، وتأثيراً فيه من الإحالة في غيره، وتنقسم إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية.

وبهذا الاعتبار نقول أن إحالته لمعاني "هدى" في مفتتح البقرة، هي إحالة بعدية، أي أنه أحال لما سيأتي في السور التي بعد البقرة. ونعتبرها بذلك إحالة نصية كبرى<sup>3</sup> بعدية.

أما الإحالة قبلية؛ فهي إحالة إلى عنصر سبق ذكره. وهذا العنصر هو الذي يفسر المبهم، سواء كان ضميراً أم اسم إشارة أو غير ذلك. يقول التواتي في تفسير مفتتح البقرة: "... هو ذلك الكتاب، ومثله قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ...﴾"<sup>4</sup> فإن معنى قوله تعالى: ﴿لَا

<sup>1</sup> ينظر: نسيج النص، صفحة 118

<sup>2</sup> ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 118 - 119

<sup>3</sup> تقترح هذه الدراسة مصطلح الإحالة النصية الكبرى في وصف الإحالات القرآنية دون غيرها لتتميز عن بقية الإحالات التي تخدم الأجزاء القصيرة من النصوص.

<sup>4</sup> الآية 6 من سورة البقرة

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾<sup>1</sup> معنى ما قبله، وكذلك قوله تعالى بعده: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾<sup>2</sup> تأكيد ثاني...<sup>3</sup>

قوله: "معنى ما قبله": أي إحالة إلى ما قبله في الآية جميعاً، فجعل جملة "لَا يُؤْمِنُونَ" تجمع معنى ما قبلها من الآية، ثم أشار إلى الإحالة الأخرى في نفس السياق، بقوله: "تأكيد ثاني" أي أن المعنى أجمَل في جملة (النفي + الفعل)، ثم أكّد بجملة بعدها (فعل + فاعل + جار ومجرور). فصارت هكذا:

"سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ"      "لَا يُؤْمِنُونَ" + "حَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ"

إحالة لسابق

يمكن القول: إن الإحالة بالجملة على النص قبلها جعلت من معنى "نفي الإيمان" ومعنى الحتم على القلوب بالكفر والنفاق، يتطابق مع الندارة وعدمها لهذا الصنف من الكفار الذين كانوا في مجتمع المدينة المنورة. فالجملة النافية للإيمان عنهم والمؤكدة لذلك النفي بالحتم، كلتاهما سبب في إعراضهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالإحالة على السابق ربطت السبب بالنتيجة.

أما الإحالة البعدية، ففيها يذكر العنصر الإحالي أولاً، ثم يأتي بعده ما يفسره أي العنصر الإشاري، فهي إحالة إلى اسم لاحق، أو نص لاحق. والإحالة إلى سابق أكثر وروداً في الكلام من الإحالة إلى لاحق. وذلك أن الاسم يذكر، ويذكر بعده الضمير اختصاراً<sup>4</sup>، وتعويضاً عن التكرار<sup>1</sup>،

<sup>1</sup> فاصلة الآية 6 من سورة البقرة

<sup>2</sup> بداية الآية 7 من سورة البقرة

<sup>3</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 1، ص 263

<sup>4</sup> سيأتي تحليل نماذج من ذلك في الإحالة بالضمير.

الذي يحيل القارئ على ما قبله، ويسهل عمله فهم المقصود. أما إذا ذكر الضمير أولاً فإنه يقع في إبهام.

## 2-1-3-2- إحالة إلى ما هو خارج النص:

وهي "إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي، موجود في المقام الخارجي".<sup>2</sup>

يقول التواتي في تفسير الآيات الآتية من سورة البقرة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾

"إشارة إلى صنفين: كفار ميؤوس من إيمانهم، ومنافقون"

أي إحالة خارجية إلى من اتصف بالأوصاف المذكورة في الآيات

حتى إن المهتمين بالنص في الدراسات الغربية يرون أنه متى كان الشيء المحال عليه خارج النص في السياق، أو المقام، فإنّ العلاقة خارجية، بحيث يرونها لا تلعب دوراً في ترابط النص تركيبياً بقدر ما

<sup>1</sup> سيأتي دراسة نماذج من تفسير الدر الثمين فيما يتعلق بالتكرار وأهميته الإحالية.

<sup>2</sup> نسيج النص، الأزهر الزناد، ص 119

تحيل على ما هو خارجه. فالمحال عليه داخل النص علاقته داخلية، وهي تلعب دورا في تماسك أجزاء النص.<sup>1</sup>

يقول التواتي: بين يدي النص: بعد أن ذكر الله تعالى صفات المؤمنين، وما أعد لهم الله من جزاء موفور يوم لقائه، فقد ذكرهم بخمس صفات: هي الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، وإخراج الزكاة والصدقات، والإيمان بالكتب والرسل، واليقين الكامل بالحساب والجزاء. وهم بهذه الصفات أهل لهداية الله، وللفلاح، والرّشاد. وعادة القرآن أنّه لما يذكر صفات المؤمنين يقابلها بصفات الكافرين. ولذلك ها هنا أردف ما يذكر بصفات ممقوتة عنده، وهم الذين كفروا (...). والمفسدون، وحقيقة عملهم. وهل هم على الصواب، أم على بصائرهم وأبصارهم غشاوة؟ فالنص القرآني بآياته الستة يتناول هذه القضايا...<sup>2</sup>

إن عرض صفات المؤمنين وما يقابلهم من أهل الكفر هو ما يعرضه التواتي هنا، إذ مدار حديثه على الإحالة لمن وصف أولا بالإيمان، وهم الرعيل الأول من الصحابة، ثم كل من اتصف بتلك الأوصاف في الأزمنة اللاحقة.

ثانيا: لمن وصفهم الله بالكفر في زمن نزول هذه الآيات ثم ما يلحق من الأزمنة. فالموصوفون بالأوصاف الإيمانية وما يقابلها في كل زمن. وهذا لا شك إحالة على ما هو خارج النص. ولبين هذه الإحالة يقول بعدها: "سبب نزول هذه الآية"<sup>3</sup>، وهذه عادة كل مفسر يعي ضرورة معرفة سبب النزول، والتي تتمثل في السياقات الخارجية، أي ما هو خارج النص، والذي نزل النص ليعالجه أو يقرر حكما حوله.

<sup>1</sup> ينظر: تحليل الخطاب، براون يول، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، ص 230

<sup>2</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 1، ص 293

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 294

فالذين أحال عليهم النص على حسب ما نقله عن الصحابة والعلماء قبله هم:

- رؤساء اليهود، منهم حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف ونظائرهما. وهذا قول ابن عباس والكلبي.
- من قتل يوم بدر من قادة الأحزاب. وهذا قول الربيع بن أنس.

ولأن المفسر يعي ضرورة هذه الإحالة، ويعي خطورة وصف أحد بالكفر<sup>1</sup> قال في بيان من أحالت عليهم الآيات: "والأول أصح، فإن من عين أحدا فإنما مثل بمن كشف الغيب عنه بموته على الكفر..."<sup>2</sup>

وقد اختار القول الأول نظرا لكون اليهود الذين كانوا في المدينة وتستروا بالإسلام ظاهرا ففضحهم القرآن، لأنهم اتخذوا الإسلام والنبي والمؤمنين هزوا، كما نصت عليه الآيات في سياقها.

ثم يؤكد لنا مرة أخرى حول من أحالت عليهم الآيات فيقول في التحليل اللغوي في تفسير هذه الآيات: "أما معنى الكفر، في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا.."، فإنه الجحود، وذلك أن الأخبار من يهود المدينة جحدوا نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم-، وستروه عن الناس، وكنتموا أمره، وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم.<sup>3</sup> فالمدكورون قطعا في هذا النص إنما هم أشخاص اتصفوا بذلك. فمعرفة سبب النزول أحالتنا عليهم، ليتم المعنى المشار إليه في الآيات لدى المتلقي.

ثم ينقلنا إلى إحالة لصنف ثالث مذكور في الآيات الآتفة الذكر، يقول: "بعد أن ذكر المؤمنين الموقنين، وذكر من كفر وصرح بالكفر، وعاند وكابر. وهؤلاء أقل خطرا، فهم جاهروا بالكفر،

<sup>1</sup> وهذا مبحث فقهي، في التعيين بالكفر.

<sup>2</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 1، ص 294

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 294

فلا يخشى لهم جانب، فهم معروفون. أما الصنف الثالث؛ هو يظهر الإيمان، ويكتم الكفر، وهم أشد خطرا وضررا، وهذا الصنف أطلق عليه لفظ المنافقين، وما أكثرهم في زماننا.<sup>1</sup>

الصنف الثالث، هم أشخاص وصفوا في النص، ولا شك أنهم في ذلك الزمن قد استفحل فيهم النفاق حتى نزل فيهم القرآن فاضحا لهم ولخبثهم. وقد أحال المفسر هنا لزماننا، بقوله: "وما أكثرهم في زماننا"... إذن إن الإحالة خارج النص تستدعي ذكر الأوصاف حتى تُعلم، وإلا انعدمت من أساسها، كأن يقال ناس مثلا، أو شخص بهذا الإطلاق. فالقرآن الكريم دقيق في هذا حتى كأنك تشهد بعينك وتسمع بأذنك ما يصفه من سياقات مختلفة.

#### 2-1-4- مجمل حول الإحالة في الدرّ الثمين:

في الإحالة الداخلية لا بدّ للمحلل أن يرجع إلى مفسر موجود في النص؛ هو المحال إليه، المذكور بصيغته داخل النص. وبمثله ما شرحناه في الجدول حول لفظ: هدى في مفتتح سورة البقرة. أما فيما يتعلق بالإحالة الخارجية أو المقامية فإنّ المحلّ يعود إلى تصوّره عن البيئة المحيطة بالنص أو المقام المحيط به، أو المعنى الذي يحال إليه، وليس موجودا في النص. وقد مثلنا لذلك بما نقلناه في تفسير التواتي حول صفات المومنين والكافرين والمنافقين. أي لا بد من تثبيت تصوّر في الذهن يرجع إليه كمفسّر كلما أحيل إلى هذا المفسّر، كالصفات التي جاءت في حق المومنين كالإيمان وغيره، وكالكفر والختم في حق الكافرين وكالاستهزاء والعبث وغيره في حق المنافقين.

لكن في الإحالة الخارجية يكون هذا التصور مطابقا لما هو موجود في عالم النص، وهذا لا شك فيه، فالقرآن صادق تمام الصدق في تصويره لأحوال من وصفهم. أما ما يتعلق بالنص فإن التصور يكون من صنع الخطاب من خلال العنصر اللغوي الممثل له. والذي يفيد تصورا ذهنيا،

<sup>1</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 390

فالعنصر الخارجي له تصور في الذهن ، وبالتالي كلاهما-داخلي وخارجي- له مرجع يحال اليه بألفاظ من النص. وهذه الإحالات هي أنواع ، كما سيأتي بيانها.

## 2-1-5- وسائل الإحالة في الدر الثمين:

باعتبار أن الإحالة وسيلة من وسائل السبك؛ وهي بدورها لها وسائل تنطوي تحت مفهوم السبك، تحدثنا عن بعضها، وهي كالتالي: الضمائر، الاستبدال، الإشارة، الموصول، الحذف، والتبعية. ولنمثل لها من تفسير الدر الثمين من خلال ما يأتي معنا:

## 2-1-5-1- الضمائر:

يذكر<sup>1</sup> التواتي في إعرابه لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾﴾ أن العلماء قد جوزوا في قوله تعالى: "هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"، أن يكون "هُدًى": في موضع رفع، على أنه مبتدأ. و"فِيهِ": في موضع الخبر، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو هدى.

ضمير الغائب المقدر المحيل على الكتاب.

الحالة الثانية:

أو على: "فِيهِ": مضمرة، إذا جعلنا "فِيهِ" من تمام "لَا رَيْبَ"، أو خبر بعد خبر، فتكون قد أخبرت بالكتاب عن ذلك، وبقوله: "لَا رَيْبَ فِيهِ". ثم جاء هذا خبرا ثالثا، أو كان "أَلِكِتَابُ" تابعا، و"هُدًى": خبر ثان.

الحالة الثالثة:

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 265

في موضع نصب على الحال، وبلغ بجعل المصدر حالا، وصاحب الحال اسم الإشارة،  
أو الكتاب، والعامل فيها على هذين الوجهين: معنى الإشارة أو الضمير في "فيه" ..

فالحالات الثلاث التي قدمها المفسر في هذا الموضع الإعرابي، تفيد مراعاته لإحالية الضمير  
الغائب على "أَلْكَتَبُ". وهو يشير بعد ذلك للكتاب المقصود<sup>1</sup> في سياق كلامه بعد الإعراب،  
فيقول: "المعنى الإجمالي للآية:

هذا هو الكتاب الكتاب الكامل، وهو القرآن الكريم الذي نزل، لا يرتاب فيه من رُزِقَ عقلاً  
راجحاً<sup>2</sup>

- ضمير الغائب المعطوف على الضمير الأول المشير للكتاب (وهو  
متعلق بالتقدير النحوي)

- اسم الإشارة المقدر (المحذوف عند النحاة) وهو يقابل: ذلك

- الضمير المقدر (المحذوف عند النحاة)

يمكن القول: إن التقديرات النحوية التي ساقها المفسر ليتوصل في المعنى الإجمالي إلى القول بأن  
القصد من مطلع السورة هو القرآن الكريم والبدال على ذلك ثلاث أمور:

الأول: هو تقدير "هذا" بمعنى "ذلك"، لما فيه من الإشارة إلى ما نزل منه قبل مطلع هذه السورة.

الثاني: تقدير محذوف وهو الضمير الغائب "هو" باعتبار أنه -القرآن- مسموع ومثْلُو.

<sup>1</sup> وذلك أن هناك أقوالاً ساقها للمفسرين تذكر أن الكتاب هنا هو التوراة والإنجيل معا. ينظر ذلك في صفحة:  
258 من الجزء الأول.

<sup>2</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 266

الثالث: لفظ "فيه" في الآية الثانية، وفيه إضمار يعود على "الكتاب".

أما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥﴾ فيذكر أن الضمير "هُم"، متعلق باسم الإشارة "أُولَئِكَ"، وهما إشارة (أي إحالة) إلى المذكورين قبل ذلك الموصوفين بالهدى.

ونوع هذه الإحالة بالضمير، هو إحالة لسابق، فالهدى هنا: الإرشاد، والفلاح: الظفرُ بالبغيّة، وإدراك الأمل.<sup>1</sup>

يقول في معرض اللطائف البلاغية والنحوية وهو يعرض دلالة الإحالة بالمضمر:

" في هذه الآيات، نلاحظ أنواعا من ضروب الفصاحة، والبلاغة، والتوجيه النحوي، منها (...)  
تأكيد المظهر بالمضمر، في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>2</sup>، وفي قوله: ﴿هُمُ يُوقِنُونَ﴾<sup>3</sup> (...)<sup>4</sup> ﴿مِن قَبْلِكَ﴾<sup>4</sup>: أي قبل إرسالك...<sup>5</sup>

وفي دلالة المضمر هنا-من الآية الخامسة-، يقول الأستاذ الطاهر بن عاشور: "...الضمير للفصل (...). فيكون ضمير الفصل لمجرد تأكيد النسبة، أي تأكيدا للاختصاص."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص280

<sup>2</sup> من الآية 5 من سورة البقرة

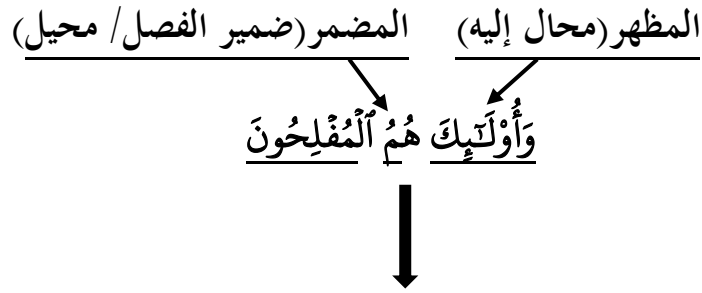
<sup>3</sup> من الآية 4 من سورة البقرة

<sup>4</sup> من الآية 4 من سورة البقرة

<sup>5</sup> الدر الثمين، ج1، ص 285 286

<sup>6</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة الدار التونسية، 1984، ج1، ص 246

لم يشر الشيخ التواتي إلى كون الضمير "هم" في الآية، أنه للفصل<sup>1</sup>، كما أوضح صاحب التحرير. أما قوله بالاختصاص فهو يتوافق مع ما ذكر التواتي من تأكيد المظهر بالمضمر، ويمكننا تمثيل ذلك على النحو التالي:



تأكيد (عن طريق إحالة لسابق) للاختصاص بالفلاح،

أي نسبة الفلاح لهم (وهم من تقدم ذكرهم)

وفي قوله تعالى: ﴿هُم يُوقِنُونَ﴾<sup>2</sup>، يرى التواتي أن الحق تبارك وتعالى ذكر الضمير العائد على المؤمنين في الإيقان، ولم يذكره في الإنفاق لكونهم يوقنون بالآخرة - وهو أعلى وصف لهم - أكثر من إيقانهم بالإنفاق، فلم يحتج لتأكيد بضمير الغيبة المحيل إليهم. ويعلل ذلك أيضا، بأنه لو ذكر الضمير مرة أخرى لكان فيه قلق لفظي "إذ كان يكون: "ومما رزقناهم هم ينفقون"، هم: ضمير فصل، وله فائدتان:

إحدهما: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة.

<sup>1</sup> بل أشار إليه بذلك في مقطع الآية 4، كما سيأتي.

<sup>2</sup> من الآية 4 من سورة البقرة

ثانيتها: حصر الخبر في المبتدأ، فإنك لو قلت: الإنسان ضاحك، فهذا لا يفيد أن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان، أما لو قلت: الإنسان هو الضاحك، فهذا يفيد أن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان.<sup>1</sup>

والضمير أو المضمّر - كما أشار هو سابقاً - بمعنى واحد، وقد يعبر عنهما بالكناية أو الألفاظ الكنائية<sup>2</sup>، بحيث يكفى به عن الظاهر اختصاراً - مثلما عبر سابقاً بقوله تأكيد المظهر بالمضمّر - فيكون بذلك التأكيد بدل التكرار المخل للنظم.<sup>3</sup>

فالإحالة بالضمير ليست على سابق أو لاحق فقط، بل لها دلالات مختلفة، كالتأكيد، والنسبة والاختصاص عن طريق الفصل.

أما في تناوله للمضمّر في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>4</sup>، فيقول: " المعنى الإجمالي: يقول الله تعالى مخاطباً نبيه - صلى الله عليه وسلم - : يا محمد إن الذين كفروا بما أنزل إليك جهراً، وسبقت لهم مني الشقاوة سرا، لا ينفع فيهم الوعظ، والإنذار، ولا البشارة، والتذكار..."<sup>4</sup>

يقول صاحب التحرير: "... لأن الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - وللأمة..."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج1، 286 - 287

<sup>2</sup> وقد سبق الإشارة لهذا في هامش الإحالة عند النحاة.

<sup>3</sup> قد بوّب لذلك الإمام السيوطي في الإتقان: في قواعد مخمة يحتاج المفسر إليها، قاعدة في الضمائر... وذكر أن ابن الأنباري ألف مجلدين في ذلك، وقال: وأصل وضع الضمير للاختصار. ، تح: شعيب أرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 2008، ص 399

<sup>4</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 304

<sup>5</sup> التحرير والتنوير، بن عاشور، ج1، ص 247

فكلا المفسرين لم يذكر في الإحالة بالضمير إلا القول بأنه خطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- ، وهذا مستفاد عندهما وعند غيرهما من الضمير المتصل بالفعل: "أنذرت"، ثم تاء الخطاب في: "تندرهم". فالإحالة بضمير الوصل هنا تشير عندهما وعند جمهور المفسرين للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد أضاف الطاهر بن عاشور قوله: "وللأمة".

ويقول في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>1</sup> يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ...<sup>1</sup> ﴿

إحالة لسابق

يقول التواتي: "مَا هُمْ: ضمير منفصل، مرفوع بما- عند أهل الحجاز- (...). يُخَدِّعُونَ: الواو ضمير متصل، في محل رفع فاعل"<sup>2</sup> (...). جملة: يخادعون في محل نصب حال من فاعل "يقول" أو من الضمير المستكن في (مؤمنين) يجوز أن تكون الجملة استئنافية لا محل لها. هذا وقد رفض ابن حيان كونها حالا من ضمير المؤمنين.<sup>3</sup> لأنه يحيل إلى الكافرين الذين ذكرهم سابقا.

ثم يشير للإحالة الثانية في نفس السياق في قوله تعالى: ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>1</sup>، فيقول: "وقيل في إعراب قوله تعالى: "وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ": حال من الضمير في يخادعون الأول، أي يخادعون في حال

<sup>1</sup> الآية 8-9 من سورة البقرة

<sup>2</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 311

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 312

كونهم لا يخادعون إلا أنفسهم، أي خداعهم مقصور عن ذواتهم، لا يرجع شيء منه إلى الله والذين آمنوا"<sup>1</sup>

فقوله: حال من الضمير في يخادعون الأول، هو قول بالإحالة لسابق، لتمييزه "يخادعون" الأول عن الثاني، ولكون هذا حالا من الضمير في المحال إليه الأول، وهو واو الجماعة، أي الضمير المتصل المحيل إلى الكفار الذين ذكرهم سابقا. أما صاحب التحرير فقد قال ما نقله الشيخ التواتي فيما سبق ذكره.<sup>2</sup>

ويشير أيضا للإحالة بالضمير في قوله تعالى:

﴿.. إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ..﴾<sup>3</sup>

فيه ضمير مستتر

يعود على لفظ الجلالة

فيقول: "نحن: ضمير منفصل، في محل رفع مبتدأ. مستهزئون: خبر (...). الله: لفظ

الجلالة مبتدأ. يستهزئ: فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا، يعود على الله..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 313

<sup>2</sup> ذكر ذلك حرفيا في الجزء الأول من تفسيره التحرير والتنوير المشار إليه سابقا، صفحة 276

<sup>3</sup> من الآيتين 14 15 من سورة البقرة

<sup>4</sup> الدر الثمين، ج1، ص 330

إن الأصل<sup>1</sup> في مرجع الضمير أن يكون متقدما على الضمير وهذا من سنن العرب في كلامها، وكان تقدير التواتي في هذا الموضع أن الفاعل مستتر جوازا، لأن الفعل مسند إلى لفظ "الله"، وهو على سبيل التمثيل وليس على وجه الحقيقة، لأن هذا الفعل قبيح، ولا يليق به سبحانه<sup>2</sup>.

### تعدد مرجع الضمير:

يقول تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾<sup>3</sup>

يقول<sup>4</sup> التواتي نقلا عن السيوطي: "...وقد يذكر شيئا ويعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب كونه الثاني، نحو قوله تعالى: "وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ"، فأعيد الضمير بالصلاة، وقيل: للاستعانة المفهومة من "أَسْتَعِينُوا"، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾<sup>5</sup> أي: "القمر"، لأنه الذي يُعلم به الشهور. وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾<sup>6</sup> أراد: يرضوهما، فأفرده، لأن الرسول هو داعي العباد، والمخاطب لهم شفاها ويلزم من رضاه رضا ربه تعالى<sup>7</sup>.

فالسويطي التزم في هذا الإرجاع بالثاني لأنه أقرب عائد، كما أشار هو في نفس الباب-وقد نقلناه في الهامش سابقا- إلى أن السياق يضبط عائد الضمير، فيكون في الغالب أقرب عائد لعدم التشبث، أي حتى لا يظنّ خلاف المعنى الذي يحتمله النص.

<sup>1</sup> "لعدم التشبث" كما قال السيوطي، ينظر: الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، ص 401

<sup>2</sup> ينظر في ذلك التحرير والتنوير، وقد فصل ابن عاشور في علة ذلك. ج 1، ص 294 وما بعدها.

<sup>3</sup> الآية 45 من سورة البقرة

<sup>4</sup> الدر الثمين، ج 1، صفح 541-540

<sup>5</sup> من الآية 5 من سورة يونس

<sup>6</sup> من الآية 62 من سورة التوبة

<sup>7</sup> نقلا عن السيوطي في الإتيان، ص 400

ولابن عاشور الرأي نفسه، الذي يراه التواتي، وينقله عن السيوطي ويصرح بما ملح به السيوطي، من احتمال العائد عليهما-أي الصبر والصلاة-، فتلميح السيوطي كان من خلال ما ساقه من آية التوبة. ويضيف-ابن عاشور- ما ذكره الزمخشري<sup>1</sup> في تفسيره مما وصفه بأنه من مبتكراته، بقوله: "وقيل راجع إلى المأمورات المتقدمة من قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾-إلى قوله- ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾<sup>2</sup>... وهذا أوضح الأقوال وأجمعها، والمحامل مرادة.<sup>3</sup>"

فالملاحظ أن المفسرين على القول بأن تعدد العائد موجود في القرآن في مواضع عدة، حتى أنه يمكن أن يتعدد لأكثر من عائدتين. وهذا لا شك فيه من الدلالة ما فيه، مما سبق وقلناه.

#### نقد ومناقشة:

إن تعدد مرجع ضمير الغائب الأصل في مرجعه أن يكون واحدا، حتى يكون الكلام محمدا- كما سبق الإشارة إليه غير مرة- لا غموض فيه. لكن من الممكن أن يتعدد، ليكون مناسبا لما يقتضيه المقام. كالأيات التي اخترناها آنفا.

في هذه الحالة يتعين أن يكون هذا المرجع الواحد هو الأقرب ذكرا إلى الضمير. كما أن الضمير يمكن أن لا يعود إلى الأقرب. يقول تمام حسان، تحت عنوان "الترخص" أنه: "يمكن الترخص في مسألة عود الضمير على أقرب ما يصلح أن يكون له مرجعا، وذلك عند أمن اللبس"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط 3، 1987، ج 1، ص

134

<sup>2</sup> من الآية 40 إلى 45 من سورة البقرة

<sup>3</sup> التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1 ص 479

<sup>4</sup> ينظر: البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، ط 1، 1993،

يُمثّل لذلك بقوله في تفسير سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۝۱ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝۲ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝۳ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝۴ عَلَّمَهُ شَدِيدٌ الْقُوَىٰ ۝۵ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝۶ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝۷ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝۸ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝۹ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝۱۰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝۱۱ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝۱۲ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝۱۳ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝۱۴ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝۱۵ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝۱۶ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝۱۷ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝۱۸﴾

يقول التواتي بأن المحال إليه في المرتين (الآية 7 والآية 13) هو جبريل عليه السلام، مرة في الأرض بجراء، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء. والرؤية كانت على صورته التي خلقه الله عليها.<sup>1</sup> ويرى الطاهر بن عاشور، أن الضمير في ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝۶ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ يعود على جبريل لاحتمال. وذلك قبل أن ينزل إلى العالم الأرضي.<sup>2</sup> وكذلك الأمر في الآية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝۱۳﴾، الضمير عائد على جبريل عليه السلام، وذلك ليلة إسرائته كما تقدم في قول التواتي.

وفي تعدد المرجع، يقول أشرف الشامي في دراسة له: "ليس من الضروري أن يتعدد المرجع حتى يساهم السياق في التعرف عليه، لكن ربما كان المرجع واحدا، ويظل مبهما، حتى يرجع متلقي النص إلى السياق اللغوي، سواء كان سابقا للضمير أم لاحقا له."<sup>3</sup> وربما لا يكون المرجع مبهما، بل،

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 318-322

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 27، ص 96

<sup>3</sup> معايير النصية دراسة في نحو النص، أشرف الشامي، ص 37

مذكورا، ومحددا في النص، ولكن الإبهام يكون في العلاقة بين الضمير ومرجعه، حيث لا يفهم أن التطابق بينهما محقق إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي.<sup>1</sup>

ومن أمثلة ما ذكره<sup>2</sup> الشيخ التواتي مما اختلف فيه عند النحاة في عائد الضمير، في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾﴾

فقد اختلفوا في جواب "مَا"، وفي عود الضمير من "بِنُورِهِمْ"، فقيل: جواب ما محذوف، وهو طفئت. والضمير في "بِنُورِهِمْ": هذا على المنافقين.

والمتتبع للآي في سياقها السابق، يجد أن المحال إليه بعيد، دلت عليه كل الآيات قبل هذا الموضع، لكون الآيات تشرح حالهم، وعمهم، وانحرافهم العقدي والسلوكي.

نموذج آخر:

كما اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾﴾

وفي ذلك ينقل التواتي احتمالات الدلالة في السياق وما يقتضيه السبك النحوي، ليضبط مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾: متعلقان بحسب عودة الضمير، فهو أن يعود على القرآن، فهما متعلقان بمحذوف صفة ل: "سُورَةٍ".

وإما أن يعود على "عَبْدِنَا"؛ فهما متعلقان بقوله تعالى: "فَأْتُوا"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر في هذا: النحو الوافي، عباس حسن، ج 1، دار المعارف، ط13، ص 201-262

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 1، ص 351

يذكر التواتي أن هذا يدعو إلى التحقيق في مسألة "من"، فيحقق في الحرف المذكور، باعتباره حرف جر عند النحاة. فهو إما أن يكون ظرفاً مستقراً، صفة لسورة، والضمير راجع إما لما، التي هي عبارة عن القرآن المنزل. وهذا القول لقتادة، والفراء، ومقاتل.<sup>2</sup>

بناء على قول من سبق في "من"، يقول بأنها للتبعيض، أو للتبيين. أو أنها تعود على "النبى- صلى الله عليه وسلم-" فالتقدير حينها ما نقله عن أبي عبيدة وغيره: فاتوا بسورة من مثل هذا العبد الأمي. وعلى هذا القول فإن "من" لا ابتداء الغاية. فيكون المعنى: "فاتوا بسورة مماثلة للقرآن، في البلاغة، والأسلوب المعجز."

يقول أن: "هذا على الأخيرين ظاهر." أي على اعتبار "من" للتبعيض، أو للتبيين. فإذا كان اختياره للثالث لكونه أظهر منهما، يصير المعنى ما نُقل آنفاً.

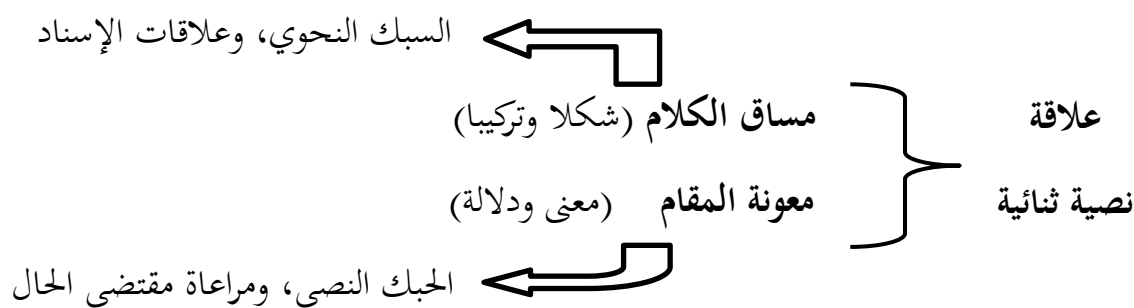
وبعد أن يعرض علة اختياره للقول الثالث في "من"، يقول بأن احتمال كونها صلة "السورة" يتعين من كون الضمير يعود على: "عبدنا". فينتفي بذلك القول بأنها بيانية لانتفاء الإبهام. كما ينتفي كونها تبعيضية، لأنها لو كانت كذلك لكان الفعل واقعاً عليه حقيقة.

وهو يرى أنه لا اعتبار لتقدير الباء في قوله تعالى: "بسورة" لوجود "من"، لأنها لو قدرت لكانت ابتدائية، فيجب حينها كون الضمير للعبد لا للقرآن/ الكتاب المنزل.

وهذه الترحيحات النحوية في تقدير "من"، إنما كان الرجوع فيها لما ذكره التواتي، بقوله: "وعليه يكون اعتبار مماثلة المأتى به للقرآن في البلاغة مستفاداً من لفظ السورة، ومساق الكلام بمعونة المقام."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 394 - 395

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 395



فمن خلال هذه العلاقة النصية، التي تظهر تواشج السبك بالحبك، يتوسل من خلالها المفسر لمعرفة عائد الضمير، فيجعله للقرآن، ولا ينفي احتمال عوده على "عبد"<sup>2</sup>، لأنّ الإعجاز وقع في الحقيقة بالسورة الواحدة، وبالقرآن، ولم يقع أن أتوا بمثل ذلك ولا ببعضه، "لأن الكلام مسوق مساق التعجيز"<sup>3</sup>

ومن خلال المتابعة لما عرضه الطاهر بن عاشور في التحرير، ظهر أنه ساق نفس الأقوال الإعرابية بتقديراتها التي سبقت من خلال الدر الثمين، غير أن الطاهر بن عاشور أفاض الكلام في لفظ "مثل"، ويرى أن كل الاحتمالات في "من مثله" واردة، لأن الغرض كان تحديدهم أن يأتوا بمماثل للقرآن أو بعض منه، ولم يفعلوا، لأمرين:  
الأول: انعدام وجود مَثَل ومماثل للقرآن.

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج1، ص 395

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 396، يقول نقلا عن الآلوسي: "والذي يدركه ذوقي ولا أركي نفسي أنه

على تقدير التعلق يكون رجوع الضمير للعبد أحلى..". روح المعاني، للآلوسي، ج 1، ص 197

<sup>3</sup> التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، ص 338

الثاني: أن القرآن بديع في ألفاظه وتراكيبه، وفي خصوصيات نظمه، إذ لو كان مما ألفه الناس في خطبهم، وأشعارهم، وخرافاتهم، وأساطيرهم، لكان إتيان بما يعارضه أسهل عليهم.

وعلى ذلك، فإنه في التحرير، يقول بجميع الوجوه المحتملة المتقدمة، " فإنه لو كان كلام بشر فأتوا بمماثله أو بمثله، وإن كان من أساطير الأولين فأتوا أنتم بجزء من ذلك، وإن كان يعلمه بشر فأتوا أنتم من عنده بسورة، فما هو ببخيل عنكم إن سألتموه، فكل هذا إرخاء لعنان المعارضة وتسجيل للإعجاز عند عدمها.<sup>1</sup>

ويستطرد التواتي بعد ذلك في عائد الضمير والمعنى المترتب على ذلك، فيقول: "فمقتضى المقام أن يقال لهم: معاشر الفصح، المرتابين في أن القرآن من عند الله، إيتوا بمقدار أقصر سورة من كلام البشر، محلاة بطراز الإعجاز ونظمه (...) سواء كان الضمير لما، أو للعبد، فإذا تعلق، ورجع الضمير للعبد فمعناه أيضا: إيتوا من مثل هذا العبد في البشرية بمقدار سورة تماثله.<sup>2</sup>

والكلام في هذا يطول، وقد أفاض الكلام فيه فيما يقرب 5 صفحات، ولا غرض من هذا العرض سوى الكشف عن مقتضيات الإحالة بالضمير، في هذا الموضع الذي أفاد فيه كثير من النحاة والمفسرين والبلاغيين معاني عدة.

وقد عرض لدلالة السياق على ما يفوق إحالية الضمير من خلال أسلوب الالتفات في الآيات السابقة الذكر بقول في اللطائف البلاغية: " وفي "نزلنا" التفات، لأنه انتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، لأن قبله "اعبدوا ربكم"، وقوله تعالى: " فلا تجعلوا لله أندادا". فلو جرى

<sup>1</sup> التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 1، ص 338

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج 1، ص 396

الكلام على هذا السياق لكان "مما نزل على عبده". لكن في هذا التفات من التفخيم للمُنزَل،  
والمنزَل عليه، ما لا يؤديه ضمير غائب. لا سيما كونه أتى بـ: "نا"، المشعرة بالتعظيم التام...<sup>1</sup>

ويضرب لذلك مثالا من آية في موضع آخر، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>2</sup> قال أنها نظير الآية السابقة.

" فتعدي نزل بـ: "على" إشارة إلى استعلاء المنزل على المنزل عليه. وتمكنه منه، وأنه قد  
صار كالملا بس له، بخلاف إلى فإنها تدل على الانتهاء والوصول.<sup>3</sup>

#### نقد ومناقشة:

قوله: بما لا يؤديه " ضمير الغائب"، إضافة لقوله بالالتفات، كلاهما لا يخرج عن مقتضى  
إحالية الضمير، فهو صرح بأن: "نا"، أفادت معنى التفخيم، وهي في الحقيقة ضمير متصل، متعلق  
بالمتكلم، فالإحالية الضميرية تثبت المعنى سواء بالسياق، أو بالالتفات.

أي أن الضمير المتعلق بالمتكلم-وهو الحق سبحانه وتعالى-أفاد معنى أعظم وأدقّ في إثبات  
إعجاز المنزل، وعليه؛ فإنّ المتحدّي على وجه الحقيقة هو الله، والمتحدّي به هو القرآن، ولا يقول  
عاقِل بأن هناك من يقدر على تحدي ربه، فينتفي بذلك إتيانهم بمثله أو بشيء منه.

فالضمير المتصل أدى بوجه بليغ ما أراد التواتي أن يقوله-مما نقلناه-. إضافة لمعنى حرف الجر  
الذي أفاد معنى الاستعلاء، وهو لا يليق على وجه الحقيقة إلا بالله تعالى. وكل الخلق دونه.

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج1، ص 400

<sup>2</sup> من الآية 99 من سورة الأنعام

<sup>3</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 400

فقوله: ما لا يؤديه ضمير الغائب، يقابله: ما يؤديه ضمير الحاضر. ولو لم يصرح به كما تقدم، فدلالة السياق تقتضي ذلك، خصوصا أن الضمير باختلاف أنواعه يوجه السياق، وفق مقتضى الحال ليؤدي معنى معيناً دون آخر، وقد عرض هو لهذا الاختلاف باعتبار إحالية الضمير الواحد على مراجع متعددة. فالضمير في إحاليته على المراجع يرتبط بالقرائن اللغوية والسياقات المختلفة.

### نموذجين آخرين عن تعدد المرجع:

وفي تفسيره لقوله تبارك وتعالى من سورة البقرة: ﴿وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِّقُونَ﴾<sup>1</sup>

يذكر توضيحا لربط المعنى بالإعراب أنّ جمع الضمير في: "تَكُونُوا" مع إفراد لفظ "كَافِرٍ"، يدل على أن المراد من "الكافر": فريق ثبت له الكفر، لا فرد واحد. فتكون إضافة "أَوَّلَ" إلى "كَافِرٍ"، بيانية، تفيد معنى فريق<sup>1</sup>.

"والضمير المجرور في "بِهِ" : ظاهره أنه عائد إلى "بِمَا أَنْزَلْتُ"، لأنه المقصود. وهو عطف على جملة: "وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ". وهو ارتقاء في الدعوة واستجلاب القلوب<sup>2</sup>... وهذا ترجيحه للعائد.

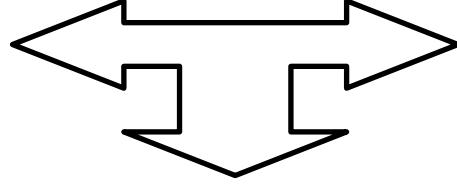
أما الأقوال التي قيلت، وقد نقلها في مرجع الضمير، فهي كالتالي:

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 508

<sup>2</sup> الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 508

ط  
بِهِ

التوراة



القرآن الكريم

النبي صلى عليه وسلم

القائلون بأنه على النبي: قالوا لأن هو الذي أنزل عليه القرآن، ولاعتبار أنهم كانوا يعرفونه قبل أن يبعث، فلما بعث من العرب كفروا به.

والقائلون بأنه على القرآن، فباعثار العطف، وهو الذي اختاره الشيخ التواتي<sup>1</sup>.

أما القائلون بأن مرجعه التوراة، فهو استناد لمقتضى قوله تعالى: ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾<sup>2</sup>. وقد توسع صاحب التحرير في تتبع هذه الأقوال، مضيفا ما رآه راجحا من خلال إحالة الضمير، وما تقتضيه دلالة اللزوم والتطابق في الآية، من الإيمان والكفر، والنهي عن هذا الأخير.

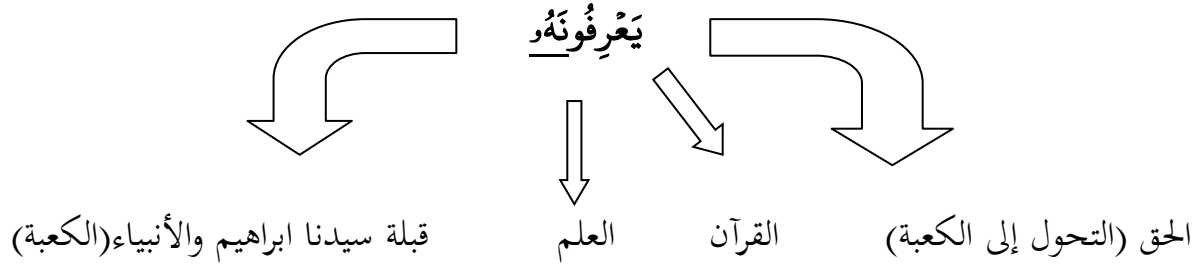
-أيضا في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ط وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

ذكر التواتي أن الضمير يعود على النبي-صلى الله عليه وسلم-، لدلالة ما بعده "كما يعرفون أبناءهم"، باعتبار تشبيه معرفته بمعرفة الأبناء. وهذا القول الذي اختاره ذكر أنه للزمخشري والزمجاج وغيرهما من أهل العلم.

<sup>1</sup> هذا القول للطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ج1، ص 460 وما بعدها. إضافة إلى الأقوال الأخرى، فقد نقلها بن عاشور في تفسيره.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، من ص 508 إلى ص 513

ثم ذكر أقوالاً<sup>1</sup>، هي كالتالي:



يقول التواتي: "وقيل: المرجع المذكور فيما سبق صريحاً بطريق الخطاب، فلا حاجة إلى اعتبار التقديم المعنوي..."<sup>2</sup> أي خطاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في الآية قبلها.

ويرى أنّ التشبيه بالأبناء المراد به المعرفة بالوصف وجهاً وصورة، ويقوي ذلك أن الضمير عائد على الرسول -صلى الله عليه وسلم- لتعلق المعرفة بالمحسوس المشاهد.

يرى الطاهر بن عاشور<sup>3</sup> أنّ ما قبلها وما بعدها لا يدل على أن الضمير عائد على القبلة، وإلا كان تكراراً، فهو عائد على النبي لا باعتبار ذكره، بل لأنه عُلم من الكلام السابق، وهو نفس ما ذكره الشيخ التواتي في ثلاث صفحات متتابة. أي كلاهما يحكّم السياق في هذا الاختيار.

### نموذج عن تعدد الضمير في سياق واحد:

تعرض الشيخ التواتي في هذه الجزئية في تفسيره لسورة البقرة لنموذج، وذلك في قوله تعالى:

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنَّ جِئَتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦١﴾﴾

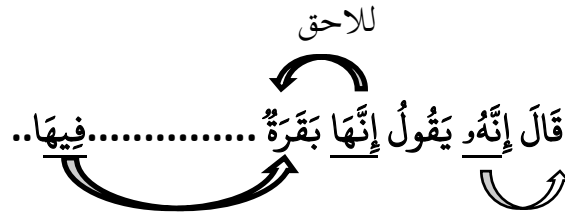
<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 3، ص 43

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 44

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 2، ص 39، 40

وقد نقل تمثيل الزمخشري: "مررت بقوم، لا بخيل ولا جبان فيهم. أو حيث هم"<sup>1</sup>. وقال عنه بأنه صحيح، وعلل ذلك بكون الجملة الواقعة صفة لـ: "قوم" - قبل هذه الآية - ليس الرابط فيها العموم، بل الرابط هذا الضمير، وكذلك ما قرره الزمخشري، الرابط فيه الضمير. والتقدير إذ ذاك: "لا ذلول هناك"، أي؛ حيث هي. فيقول بأن هذا الضمير عائد على البقرة، وحصل به الربط، كما حصل في تمثيل الزمخشري<sup>2</sup>.

ولم يشر في الحقيقة للضمير الذي أتى قبل لفظ "بقرة"<sup>3</sup>، بل أشار للثاني عند الوقف. وعلى كل، فالآية تتضمن ضمائر محيلة، على هذا الشكل:



لسابق

لسابق (الله)

} إحالة

- وأيضاً في تفسيره آية الكرسي، حيث يتجلى تعدد الضمير مع اتحاد المرجع، وهي قوله تعالى

من سورة البقرة:

<sup>1</sup> الكشاف، الزمخشري، ج1، ص151

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج2، ص 64

<sup>3</sup> لم يتكلم في التحرير والتنوير حول تعدد الضمائر في هذه الآية، بقدر ما كان الكلام عن الدلالة العامة للآية وتعلقها بالأمر الإلهي..

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

يذكر التواتي في تناوله لآية الكرسي موضوعات شتى، متعلقة بالآية، حتى أنه فسرها في صفحات عدة، والذي يهمنا في هذا الموضوع، هو ذكره للمُظهر والمضمر في الآية، فيقول بأنها اشتملت على ما لم تشتمل عليه آية، وهو أنها اشتملت على "سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى، ظاهرا في بعضها، ومستكنا في بعضها الآخر"<sup>1</sup>.

فقوله بالظاهر هو نفسه المظهر، أما "المستكن" فهو المضمر، وغالبه متصل، وهو كما رتبها على النحو التالي، الموضح في الجدول:

المحال إليه (المرجع)	اللفظ المحيل	نوعه	نوع الإحالة
"الله" -جل جلاله-	هو	ضمير منفصل (غائب)	لسابق (قبلية)
	الحي	اسم ظاهر	
	القيوم	اسم ظاهر	
	لا تأخذه	ضمير متصل (غائب)	
	له	ضمير متصل (غائب)	
	عنده	ضمير متصل (غائب)	
	بإذنه	ضمير متصل (غائب)	
	يعلم	ضمير مستتر (مقدر) غائب	

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج4، ص 327

## الفصل الأول: التسبك في التّر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

	علمه	ضمير متصل (غائب)
	شاء	ضمير مستتر (مقدر غائب)
	كرسيه	ضمير متصل (غائب)
	يئوده	ضمير متصل (غائب)
	وهو	ضمير منفصل
	العلي	اسم ظاهر
	العظيم	اسم ظاهر
	حفظهما	ضمير مستكن / مستتر (مقدر غائب)

ومن خلال المتابعة في التحرير والتنوير، فإنّ التواتي لم يختلف عن الطاهر بن عاشور، في تناوله لهذا الموضوع، إلا ما كان من سبيل التفصيل في المسائل العقديّة، وتتابع الجمل المتضمنة للمضمّر والمستكن العائد على الله سبحانه وتعالى.

فكلاهما يقرر، أن الآية وما احتوت، من اسمه المفرد، وصفاته العلى-جل جلاله-، وما أضمّر إحالة لاسمه، كل ذلك لأجل إثبات وحدانيته، وقيوميته على خلقه، وأنه الملك المدبر لشؤون خلقه دون استثناء.

والملاحظ من الجدول أعلاه، أن ضمير الغيبة المتصل يغلب على الآية، أما المنفصل فهو أقل بكثير، وأما الأسماء الدالة على الله تعالى، فهي خمسة أسماء. فالغيبة، ظاهرة كانت أو مقدرّة، لها دلالة قوية عند المتكلمين والمفسرين، تتعلق بالله سبحانه لكونها تحيل إليه.

حتى أن الطاهر بن عاشور أشار إلى كون، الاسم المفرد "الله"، يجمع كل المعاني المندرجة تحته، فكان هو المجمل، وما دونه مفصّلاً، إما على جهة التقرير، أو على جهة التأكيد والإبانة لأوصافه الكاملة- سبحانه-<sup>1</sup>.

يمكن القول: إنّ الاختصار الذي يؤديه الضمير، إضافة للربط النحوي، يؤدي ذلك إلى دقة المعنى، وتقويته، وتصويره في أبلغ صورة. وقد تقدم معنا في النماذج التي عرضناها، إيضاحاً لإدراك التواتي بأهمية الإحالة بالضمير. وذلك دأب كل مفسّر.

والسياق هو الدليل على مرجع الضمير، فالضمائر رغم أنها من المعارف، إلا أنها مبهمة، لا يتبيّن المراد منها إلا بالرجوع إلى مفسّر يفسّرها. وإن أشكل، فالسياق هو الذي يقوم بدور المرجع والمفسر لهذا الضمير، حينها لا يوجد دليل على مرجع بعض الضمائر إلا من خلال القرينة الموجودة في السياق، أو قرينة السياق والمعنى الدلالي للآية.

## 2-1-5-2- الاستبدال:

في تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

يقول: "من أسرار النظم: وتنكير: "جَنَّتْ" .. يدل على أنما هم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة، وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 3، ص 17 إلى 25

آيتهم بأن بين أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله. وذلك لأنهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا إلى التخصص بمكارمه. " وفصل آية هؤلاء بقوله تعالى: "وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ"، لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير، ولعل تبديل لفظ "الجزاء" بـ"الأجر" لهذه النكته، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك. يعني المغفرة والجنات"<sup>1</sup>

يرى الشيخ في هذه الموضوع أن المقام الذي يذكر صفات المتقين اقتضى وصفهم بالمحسنين، وأن الله-تعالى- يحبهم لذلك، فهذه أعظم من التي بعدها. فالذين ارتكبوا الفواحش ثم تداركوا تقصيرهم فتابوا واستغفروا الله، فغفر لهم، هم بلا شك أقل درجة من الذي اختصه الله بمحبته بعد إحسانه. فالتنكير للجنات ورد لهذا السبب في نظره. ثم إن استبدال لفظ الجزاء بالأجر لهذه اللطيفة البلاغية، التي اقتضاها السياق اللغوي والمقام البلاغي. فصار التقدير بهذه الإحالة الإبدالية يقتضي كون الأجر مشتملا للجزاء الذي هو المغفرة.

ويشرح صاحب التحرير<sup>2</sup> هذه اللفظة التي ذكرها الشيخ هنا، فيقول بأن الجزاء سمي أجرا، لأنه كان عن وعد للعامل بما عمل، وهو تفضّل من الله تعالى عليهم. كما أنه تنبه لما لم يلتفت إليه الشيخ التواتي في هتين الآيتين، من كون اسم الإشارة المحيل على المذكورين بأوصافهم في الآية 135، إنما يلخص معنى المرجع، وقد "جاء به هنا لإفادة أن المشار إليهم (المحال إليهم) صاروا أحرىء بالحكم الوارد بعد اسم الإشارة."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 6، ص 76

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 4، ص 95

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إذ ترى اللسانيات النصية أن الاستبدال: أن يستبدل لفظ لاحق بلفظ، أو فعل، أو جملة سابقة- كمثالنا السابق-. وهذا يؤدي إلى تماسك النص وسبكه، ويعمل على اختصاره، حيث تقوم الكلمة الواحدة مقام الجملة.

ويمكن للضمير أن يقوم مقام الكلمة كما يمكن للإشارة- كما في الآية السابقة- أيضا أن تقوم مقام ما سبق الكلام عنه- وهو ما تنبه إليه صاحب التحرير- من خبر (يقول عنها الطاهر بن عاشور: "بأنها عطف الإنشاء على الإخبار"<sup>1</sup>) أو حدث.

ويرى محمد خطابي<sup>2</sup> بأن الاستبدال لا يمكن أن يقسم من خلال أن الاسم المستبدل أو المستبدل، إذا كان اسما فهو استبدال اسمي، وإذا كان فعلا فهو استبدال فعلي. أما إذا كان جملة، فهو استبدال قولي، وهو من أكثر الأنواع إظهارا لأهمية الاستبدال في سبك النص. بحيث يوجب الرجوع الى القول المقصود ليفهم المعنى بكليته.

ومن الأمثلة الدالة على هذا الاستبدال، قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَّةٍ لَهُمُ الْآبُوتَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَّةٍ لَهُمُ الْآبُوتَابُ ﴿٥٢﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٣﴾ \* وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظَّرِفِ أَتْرَابٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٦﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٧﴾﴾

<sup>1</sup> التحرير والتنوير، ج 4، ص 95.

<sup>2</sup> ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 19-20

"هذا": فصل/ اقتضاب/ استئناف ← أفاد إحالة على ما سبق، واختصاراً/ انتقالاً من كلام لآخر.

يقول التواتي<sup>1</sup> بأن هنا لطيفة بلاغية، وأن استعمال لفظ "هذا" قد حسن للفصل دون الوصل، وهي علاقة وطيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره. أي هي استئنافية في المواضع التي ذكرت فيها، وهو اقتضاب كما قال صاحب التحرير<sup>2</sup>، وفي ذلك يذكر أمثلة أخرى في غير هذه السورة.

يظهر لنا من خلال ذلك ملمح السبك، وهو الاستمرار أي استمرار المستبدل بشكل ما في المستبدل، ويتجلى ذلك من قول "هاليداي ورقية حسن": أما الاستبدال؛ فإنه علاقة داخل النص، ويستعمل عوض تكرار بعض الوحدات الخاصة<sup>3</sup>. فالآيات السابقة استمرت في سياق واحد مع أن الكلام انتقل من موضوع لآخر، لكن يشير التواتي أن هذا الاستئناف هو من قبيل التطابق. كما سيأتي الكلام عنه مع التحليل في موضعه إن شاء الله.

## 2-1-5-3- الإشارة:

أسماء الإشارة في العربية كثيرة تتعلق بالإفراد، والتثنية، والجمع. كما تتعلق بالقرب، والتوسط، والبعد. وباعتبار أنها مبهمّة، تحتاج إلى المشار إليه ليفسر المقصود بها. وهذا الاحتياج هو ما يؤدي إلى تماسك النص في أجزائه، وسبكه، وقد كثر استخدامها في القرآن الكريم. من ذلك ما يأتي مما اخترناه من كلام المفسر في المواضع التي فيها أسماء الإشارة:

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج 16، ص 274-284

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 23، ص 281

<sup>3</sup> نقلاً عن: الاتساق والانسجام في القرآن، مفتاح بن عروس، أطروحة دكتوراه تح: زويير سعدي، جامعة الجزائر،

-يقول في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ..﴾<sup>1</sup>، "... وقيل: قوله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ، أي: هذا الكتاب، وهو القرآن.

وقيل: هذا فيه مضمّر، أي: هذا ذلك الكتاب"<sup>2</sup>  
اسم إشارة (للقريب)      اسم إشارة (للبعيد)

ويفصّل ذلك بأن: "ذلك" اسم إشارة، "يفيد أن الكتاب(القرآن) مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب، ولكنه مع هذا، هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله..<sup>3</sup>

ثم يشير إلى أن معنى اسم الإشارة هنا، اختلف في دلالاته: على أن هناك من يقول أنه بمعنى هذا، لأن القرآن ليس بعيدا، ومنهم، كما تقدم معنا من يقدر "هذا" قبل "ذلك"، وكل تلك الأقوال يجعلها مطية لما يقرره بقوله: "وهنا تظهر لنا لطيفة بلاغية، لا بد من الوقوف عندها، وهي أن الله تعالى أشار إلى القرآن في هذه الآية إشارة البعيد، وقد أشار له في آيات أخر إشارة القريب. وللجمع بين هذه الآيات أوجه..<sup>4</sup>

ويمكن إجمال الأوجه التي ذكرها<sup>5</sup> في التالي:

1- القرآن حاضر قريب تلاوة وسماعا، وفي قلوب المؤمنين، فأشير إليه بالقريب في آيات أخرى.

<sup>1</sup> من الآية 2 من سورة البقرة

<sup>2</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 1، ص 258

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 257

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 258

<sup>5</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص 258

- 2- وجه الإشارة إليه بالبعيد يفيد مكانته، وتنزهه عن مشابحة كلام البشر..
  - 3- قول الطبري بأن ذلك، عائد على "ألم"<sup>1</sup>، باعتبار انقضائه..
  - 4- قول القرطبي أن المعنى باسم الإشارة: هذا القرآن ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل.
- ويرى الطاهر بن عاشور<sup>2</sup> أن "ذلك" إشارة إلى القرآن، قال وهو الأظهر عنده. باعتبار نزول ما قبله من الآيات والسور، فكان ما نزل قبل هذا قرآنا وما بعده قرآنا. فالإشارة تحيل إلى كله، لا إلى بعض منه.

هناك دراسة "السعيد بحيري"، يذكر فيها أنه يمكن التبادل بين أسماء الإشارة، دون أن يؤثر هذا على المعنى. ويأتي بأمثلة على إمكانية التبادل بين: هذا وذلك، ويذكر أمثلة من القرآن. ويقول بأن الجامع لهذه السياقات كما بين من خلال ما ساقه: التنبيه إلى أمر عظيم، سواء بهذا، أو بذلك. وهي دلالة إزالة الفروق التي حدها النحاة للإشارة إلى المدى، وجعلت منهما رابطا نصيا. وبذلك تكون الإحالة في أغلب السياقات السابقة إحالة نصية.<sup>3</sup>

### نموذجين عن الجمع:

- 1- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

"أولئك": اسم إشارة (يفيد الجمع، وهو للبعيد)

<sup>1</sup> يذكر ابن عاشور في التحرير أن هذا الكلام قال به أيضا الزمخشري (في الكشاف، ج 1، ص 33)، ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 1، ص 219.

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص 219 - 220

<sup>3</sup> ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن البحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2005، ص 137 - 138

يقول التواتي: " في هذه الآية إشارة إلى المذكورين، والهدى هنا: الإرشاد." <sup>1</sup>

ويذكر في اللطائف البلاغية والنحوية لهذه الآية من سورة البقرة، أن لفظ الإشارة "أولئك"، وإن كان مكررا لفظا، غير أن-الثاني- أفاد معنى غير الأول، باعتبار الأول أثبت لمن ذكروا(المحال إليهم سابقا) اختصاصهم بالهدى، والثاني(إشارة للمحال إليهم سابقا) أفاد اختصاصهم بالفلاح. فأثبت لهم الوصفين. <sup>2</sup>

يقول مثبتا نوع اسم الإشارة هنا: " أولئك، اسم إشارة للجمع، يشترك فيه المذكر والمؤنث." <sup>3</sup>

يقول الطاهر بن عاشور بأن أصل اسم الإشارة أن يعود إلى ذات مشاهدة، معينة، والعرب تخرج بها عن أصلها إلى ذات مستحضرة من الكلام <sup>4</sup>.. ويشير إلى أن الاستحضار إنما يكون بالأوصاف، والأحوال التي تجعل من الغائب حاضرا، كأنه معين مشاهد. <sup>5</sup>

2- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَت

تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

يقول عنها التواتي: "أما نظم هيئات الجمل؛ فلفظ "أولئك"، موضوع لإحضار محسوس بعيد. أما الإحضار: فإشارة إلى أن من شأن كل سامع إذا سمع تلك الجنايات المذكورة، أن يحصل شيئا فشيئا في قلبه نفرة وغيظ، يتشدد تدريجا بحيث يريد أن يراهم ليتشفوا الغيظ

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج1، ص 280

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 285

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 287

<sup>4</sup> ينظر بتصرف: التحرير والتنوير، ج 1، ص 241

<sup>5</sup> ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

منهم. ويقابلهم بالنفرة والتحقير. وأما المحسوسية فرمز إلى أن الاتصال بهذه الأوصاف العجيبة، يجسمهم في الذهن حتى صاروا محسوسين نصب الخيال.<sup>1</sup>

وهو ما سبق في المثال السابق، مما بينه صاحب التحرير، من دلالة اسم الإشارة. وهو-التواتي- أيضا ينتبه لضرورة بيان تلك الدلالة الموضحة عند الطاهر بن عاشور فينقل عنه كلامه فيما سيأتي بعد بيان أن المحسوسية رمز إلى علة الحكم بسر انجرار المعصية إلى المعصية. وأما البعدية فإشارة إلى شدة بعدهم عن الطريق الحق.<sup>2</sup>

قوله "نظم هيئات الجمل": يفيد دلالة السبك القرآني. خصوصا أنه أردف الكلام عن اسم الإشارة لما له من قيمة في السبك والاتساق وانتظام الكلام.

وينقل عن الطاهر بن عاشور بأن اسم الإشارة هنا غير مشار به إلى ذوات... وهو نفس ما سقناه سابقا. يقول بأن هذا استعمال كثير الورد في الكلام البليغ، وليس في هذه الإشارة إشعار ببعد أو قرب، حتى تفيد تحقير الناشئ عن البعد. لأن هذا من أسماء الإشارة الغالبة في كلام العرب. ويفصل بأنها للعدول عن المعنى الأصلي المحسوس إلى غير المحسوس.<sup>3</sup>

فللتعرف على المشار إليه بلفظ "أولئك"، لا بد أن نرجع إلى الآيات قبلها، وهذا الرجوع هو عبارة عن عملية سبك للنص وربط بين أجزائه، إضافه إلى استحضار الصورة التي يستشعرها قارئ النص في كلمة "أولئك"، كأنه ينظر إليهم. وهو ما يراه الباحثون في اللسانيات النصية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج1، ص 337-338

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 337-338

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 297 - 298

<sup>4</sup> ينظر: معايير النصية، أشرف الشامي، ص 46-47

2-1-5-4- الموصول:

الموصول من المعارف التي هي في الأصل مبهمة، فتكون معرفة بصلتها، ومبهمة لصحة وقوعها على كل شيء، من حيوان، أو نبات، أو جماد، إلى غير ذلك، فهي كأسماء الإشارة، ولها دور بارز في سبك النص، والربط بين أجزائه، كما سيأتي في هذه النماذج:

- يقول في تفسير سورة الفاتحة، في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦٦﴾

اسم موصول

قال: "والذين: في محل جر بالإضافة، وهو: اسم موصول، لافتقاره إلى صلة وعائد، وهو

جمع "الذي" في المعنى، والمشهور فيه أن يكون بالياء، رفعا، ونصبا، وجرا."<sup>1</sup>

يشير الشيخ بأن الاسم الموصول هنا يحتاج-يفتقر- إلى صلة، وإلى عائد، وهو عين ما

تحدث عنه الدراسات النصية في إحالية الاسم الموصول. ويصفه-الذين- بأنه أشبه النكرات في الإبهام، فيعامل عند النحاة واللغويين معاملة النكرات.<sup>2</sup>

فالعائد-المحال إليه-هم الذين أنعم الله عليهم، وهم موصوفون هنا بالمنعم عليهم، على وجه

الإجمال، مفصّل في أوصافهم وأحوالهم في آيات أخرى من القرآن الكريم. وقد أشار لهم المفسر، وهم

المذكورون في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾.

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج1، ص 217

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 219

ثم يشرح في سر النظم دلالة لفظ "الدين"، بناء على أنه موصول، "من شأنه أن يكون معهودا نصب العين للسامع، إشارة إلى علو شأنهم، وتلاؤهم في ظلمات البشر، كأنهم معهودون نصب العين، لكل سامع، وإن لم يتحر ولم يطلب.<sup>1</sup> وهو نفس المعنى في اسم الإشارة ودلالته الإحالية.

- يقول في تفسير قوله تعالى، من سورة البقرة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ①﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ②﴾

"الذي: اسم موصول، نعت لربكم"<sup>2</sup>، أي هو محيل لما قبله، يفيد نعته بما سيأتي من الكلام. وقد تكرر مرتين في نفس السياق، يعود في الموضعين إلى المرجع (ربكم)، غير أن الأول تعلق بقضية الخلق، والثاني بقضية الإنعام على الناس...

- يقول في تناوله لإعراب الآية، من سورة البقرة: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ③﴾ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ④﴾

النار: مفعول به، "التي": اسم موصول، في محل نصب صفة للنار.<sup>3</sup>

وعليه يمكن القول: إن الاسم الموصول "التي"، الذي يدل على التأنيث، مرجعه النار، ولو أنه لم يوضع لكان التكرار لازما، إضافة لطول الكلام. والمعلوم أن العرب كانت ترى أن الاختصار مع

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 229

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج 1، ص 376

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 399

غاية الإبداع بلاغة في الكلام، فيؤتى بالموصول لوصف المعارف بالجمل، وهذا المعنى تطرق إليه شارحا إيّاه "عبد القاهر الجرجاني"، في حديثه عن "الذي" حيث نقل عن النحاس قولهم أن الذي احتلب ليكون وصله إلى وصف المعارف بالجمل... يعنون بذلك: أنك تقول: مررت بزيد الذي أبوه منطلقا، وبالرجل الذي كان عندنا أمس، فتجدك قد توصلت بالذي، إلى أن أبنت زيدا من غيره، بالجملة التي هي قولك: أبوه منطلق ولولا "الذي" لم تصل إلى ذلك. ويذكر على أن فيه علما وأسرارا جمة.<sup>1</sup>

- ويقول في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

إنّ لفظ "الذين": إشارة إلى أن هذا نوع من التجارة عجيب خبيث تحدّث وطفق أن يصير أساسا ومسلكا يمر عليه ناس؛ إذ قد مر أن الموصول إشارة إلى الحقائق الجديدة التي أخذت في الانعقاد.<sup>2</sup>

يرى ابن عاشور أن الموصول دلّ على "أنهم قد بلغوا الغاية في اشتراء الضلالة والحرص عليها، إذ جمعوا الكفر والخداع والسفه والإفساد والاستهزاء بالمهتدين".<sup>3</sup>

إنّ دلالة الموصول في هذه الآية تتعلق بالنتيجة الحتمية، التي وصل إليها الموصوفون في الآيات قبلها، وهم أهل النفاق والشقاق والبغي، والحرص على تخريب دولة الإسلام من داخلها، فالحقائق الجديدة التي أخذت في الانعقاد، هو هذا التقرير الرباني في وصف حالهم وما آلوا إليه. كما يفيد

<sup>1</sup> ينظر: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ص 199

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج1، ص 338

<sup>3</sup> التحرير والتنوير، ج1، ص 299

وصف دلالة الموصول في قول التواتي بأنه-الموصول- يقرر شيئاً جديداً، أو حقيقة كما وصفه بذلك، ويذكر ذلك بعده، ولا يخرج عن الإحالة لسابق.

## 2-1-5-5 الحذف:

الكثير من الناس يحسن التحدث والإبانة، والذكر، لكن القلة منهم من يحسن الصمت/ الحذف. يقول الجرجاني: "ولكن أقصد به أنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدر أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأنتم ما تكون بيانا إذا لم تبين".<sup>1</sup>

إذن، فدلالة الحذف في اللغة هي إفادة السامع، أو المتلقي أن المحذوف عظيم، وإن الحذف إنما استخدم لإثارة الذهن لاستنباط ذلك المحذوف. منه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>١٥٨</sup>

يقول التواتي، بأن في الآية مبتدأ محذوفاً، تقديره "هم"، "لأنّ المعنى: هم غير قائلين للحق بسبب عما هم وصممهم".<sup>2</sup> والخبر متعدد، أي: صم، وبكم، وعمي، والضمير المحذوف عائد على "مثلهم" كما يقول الشيخ بن عاشور. إذ ينقل عن السكاكي "أنّ الحذف هنا، يسمى الحذف الذي اتبع فيه الاستعمال الوارد على تركه"<sup>3</sup> فالصفات الثلاث التي وردت فيهم من باب التشبيه البليغ، اجتمعت في كل واحد منهم. أي أنهم لا يعودون على الهدى بسبب ما هم عليه من العمى، والصمم، والبكم المعنوي.

- ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>١٦٣</sup>

<sup>1</sup> التحرير والتنوير، ج1، ص 146

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج1، ص 354

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 313

يقول في التحليل النحوي في إعرابه "في ريب": الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر "كنتم"<sup>1</sup>

- "مما": الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة "لريب" و"ما": موصولة على عبدنا. الجار والمجرور متعلقان "بنزلنا"، والعائد محذوف، أي "نزلناه" ولم يقل "أنزلناه"، لأنّ القرآن، نزل منجّما على سبيل التدرّج.<sup>2</sup> فالشيخ تنبّه لثلاث محذوفات في هذه الآية:

الأول: خبر كنتم.

الثاني: صفة ريب.

الثالث: العائد المتعلق بنزلنا.

ولا شك أن هذه المحذوفات، أفادت إحالة، تستفاد من السياق، إضافة للاختصار الذي تكلمنا عنه أكثر من مرة فيما سبق. وكل ذلك له دلالة عميقة، أفادت السامع معاني عظيمة. إذ يرجع من خلال المحذوف إلى ما يحيل إليه، فيحصل حينها ربطاً بالسابق.

- وفي تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا

### الْفُسَيْقِينَ ﴿٢٦﴾

يرى التواتي أن في مطلع الآية حذفاً، وهو ضمير قدره ب: هي، أو هو بعوضة<sup>1</sup>. أي أن المبتدأ محذوف، وبقي الخبر، ومعلوم أن العرب لما تهتم بالخبر تقدمه أو تحذف المبتدأ، لتنبّه السامع للخبر،

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 1، ص 392

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 1، ص 393

وذلك لضرورته. كما يمكن أن تكون ما صلة وهي بعوضة جملة تفسيرية لما مضى من الكلام. وهذا التعليق بما مضى من الكلام هو إحالة تفيد سبكا-ربطاً-لما سبق وما لحق من السياق.

- وفي تفسيره لقوله تعالى، من سورة البقرة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۗ﴾

يذكر التواتي في مطلع هذه الآية أن "موسى" فاعل مرفوع بالضمّة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. ومفعول "استسقى" محذوف، أي استسقى موسى ربه. فيكون المستسقى منه هو المحذوف.<sup>2</sup>

ويمكن أن يقدر -على قول آخر- المفعول المحذوف: "ماء". فتعدى إليه الفعل كما تعدى إليه في قول أبي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل<sup>3</sup>

وذكر بعد هذا كلاماً في غاية الأهمية، مفاده أن قوله تعالى "لقومه" متعلق بالفعل، واللام للعلّة أي لأجل، أو تكون للبيان لما كان المراد به الدعاء. فتتعلق بمحذوف كنظيرتها "فانفجرت"، ونقل عن ابن عصفور أن هذه الفاء الموجودة هي الداخلة على ذلك الفعل المحذوف. والفاء الداخلة على انفجرت محذوفة.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 421

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 2، ص 23

<sup>3</sup> الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، بولاق، مصر، طبعة السلطانية، 1311 هـ، كتاب

الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا فحطوا، حديث رقم 1009، ج 2، ص 27

ووضح قول ابن عصفور في أن حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، وحذفت الفاء الثانية لدلالة الأولى عليها. وينقد هذا القول بقوله: "ولا حاجة تدعو إلى ذلك، بل يقال: حذفت الفاء وما عطفته قبلها. وجعلها الزمخشري جواب شرط مقدر. وانفجرت ماض لفظا ومعنى. إذ لا تدخل الفاء على الماضي إلا إذا كان دعاء، أو ماضيا، لفظا ومعنى...<sup>1</sup> وبعد مناقشته وعرضه للأقوال في التقدير، يشير بأن المفهوم من الآية هو الذي يوضح دلالة المحذوف، أي ما يؤديه من معنى. ويؤكد ذلك بأن "أن اضرب.." أمر مضمن معنى الشرط، وليس فيه حذف، أي كأنه يقول إذا ضربت كان كذا وكذا.. أي أن الحذف متعلق بالجواب لا بهذه الجملة المتضمنة لمعنى الشرط. إذ ليست شرطا.

يذكر ابن عاشور<sup>2</sup> في الفاء أنها فاء الفصيحة، أي العاطفة، إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفا على ما قبلها، فيتعين حينها تقدير محذوف بعدها، أي بينها وبين الكلام المذكور "انفجرت"، قال وهي الطريقة المثلى، ونسبها للسكاكي. وبيّن سبب تسميتها بالفصيحة، فيقول لأنها تفصح عن محذوف. وساق نفس الكلام الذي ذكره التواتي، مبينا أن التقدير يكون: فاضرب فانفجرت.

ثم يعقب بأنّ الذي عنده أنّها ليست فصيحة إلا إذا لم يستقم عطف ما قبلها على ما بعدها، فإذا حصل ذلك تكون عاطفة. ويرى أن الحذف إيجاز، وتقدير المحذوف لبيان المعنى. فالآية تدل على أن الانفجار كان لسبب "اضرب بعصاك الحجر".

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 2، ص 24

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، ص 517-519

ويذكر بن عاشور أن هناك حذفاً أيضاً، متعلقاً بقوله تعالى: "كلوا واشربوا من رزق الله"، أنها مقول قول محذوف، هو متعلق بالأكل والشرب، ولم يقدره.<sup>1</sup>

- أما في قوله تعالى بعدها: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٦﴾

يقول التواتي<sup>2</sup> بأن جملة "مما تنبت الأرض" يستوجب تقدير محذوف: "شيئاً". وهو مفعول، لا كمن جعل ما مفعولاً، لأنه يرى بأن الأولى حذف المفعول، لا ذكره، إذا قدر، لأنه مستفاد من معنى الكلام. ويذكر أن منهم من قدر المحذوف: "ما كولا". ويستترسل في نقل الخلاف<sup>3</sup> في تقدير المحذوف عند النحاة، فيضيف إلى ما سبق أن هناك محذوفاً آخر في الآية، يتعلق بـ: "ما"، وهو الضمير، أي: "تنبتة".

- يقول في الجزء الثاني في تفسيره لقوله تعالى، من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِينَ وَالصَّبِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾

يذكر<sup>4</sup> الشيخ في التحليل النحوي لهذه الآية، أن فيها محذوفات:

<sup>1</sup> ينظر: المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 2، ص 25

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 26

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 32

- "إن الذين آمنوا": ..العائد محذوف تقديره: من آمن منهم، كما صرح به في موضع آخر.

- "من آمن": إذا كانت من موصولة بمعنى الذي، فتكون في محل نصب على البدل من اسم إن، أي بدل بعض من كل، والعائد محذوف.

- "فلهم أجرهم": ثابتا.

والملاحظ أن متابعة الشيخ لهذه المحذوفات تتعلق بالمعنى الكلّي للآية، ويرتبط ذلك المعنى ويوجهه ما سبق من الكلام، كما يتعلق بما يلحقه. وفي هذا إظهار لوظيفة السبك عن طريق الحذف المحيل بدوره لمعاني سبقت، أو اقتضاها الكلام.

#### \*نقد وإجمال حول الحذف في الدر الثمين:

إنّ للحذف أثرا في سبك النص؛ بحيث أنّ أول ما يلفت النظر بخصوص الحذف أنّ هناك فراغا يجب للمتلقي أن يملؤه، وما هذا إلا تفاعل بين النصّ ومتلقي ذلك عن طريق الدليل الموجود في النص، سواء كان ملفوظا، أو ملحوظا، أو استبداليا.

وحتى يقوم المتلقي بهذا فلا بد له من إحالة إلى سابق، وهذه الأخيرة تكون إلى دليل، وبهذه المرجعية يكون السبك بين أجزاء النص، وكلما كانت المسافة بين الفراغ-أي المحذوف والدليل عليه- كان أثر الحذف أقوى، بحيث يغطي منطقة أكبر من النص. وذلك أنه يفتح بابا للمتلقي في البحث عن هذا المحذوف، وقد تقدم معنا في ما ذكره صاحب الدر الثمين من أوجه الحذف في ما اخترناه من نماذج، وفي كل منها وضح المفسر معنى المحذوف بتقديره، لدلالة الكلام وما يقتضيه المقام.

وفي مقارنة المحذوف بالدليل نجد أمرين:

الأول: التكرار، فالمحذوف هو عينه الدليل المذكور في السابق.

الثاني: المرجعية، فالمتلقي لم يتعرف على المحذوف إلا بالرجوع إلى الدليل، عن طريق الإحالة الداخلية، وعن طريق كلا الأمرين: التكرار والمرجعية يتحقق سبب هذا النص. وبذلك يقول الباحثون في علم النص.<sup>1</sup>

كما أنّ للحذف أسبابا كثيرة، منها: دفع الملل عن القارئ، وقلة الحشو، و تفادي التكرار في النص، فدلالة الحذف تتجلى في صوغ المعاني الكثيرة، من خلال الاقتصار على ألفاظ قليلة.

كما أن للحذف أنماطا، قد عرضنا جملة منها، من خلال الدر الثمين، نجملها في التالي:

- حذف الاسم، من أمثله المبتدأ، والخبر، وحذف المضاف، والمفعول، والصفة وغيرها.. كما تقدم معنا.

- حذف الفعل.

- حذف الجملة.

## 2-1-5-6- التبعية:

- في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ

وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٢٢﴾

يرى التواتي أن جملة "وبشر" تعود إما على الرسول أو على كل سامع، والواو عاطفة، أي عطفت الكلام السابق على اللاحق<sup>2</sup>. فقد سبق كلامه عن المشركين الذين تحداهم وتوعدهم بالنار،

<sup>1</sup> ينظر: علم لغة النص، بين النظرية والتطبيق، ج 2، 191-222.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 410

ومن كان على شاكلتهم من أهل الكفر، وانتقل بعدها لما يقابلهم من أهل الإيمان، الذين آمنوا. وما أعد لهم من نعيم في تلك الجنات.

ويعلل ذلك صاحب التحرير بنقله عن الزحشري أن من عادته تعالى في كتابه أن يذكر مع الترهيب الترغيب. ويرى-ابن عاشور- أن جملة "وبشر" معطوفة على الجمل المسوقة قبلها، يقول: "عطف مجموع أخبار عن ثواب المومنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين، والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع، وليس هو عطفًا لجملة معينة على جملة معينة..."<sup>1</sup>

إن توضيح الشيخ بن عاشور يظهر أهمية العطف البالغة، فيما سماه بعطف المجموع على المجموع، موضحاً أن ذلك ليس متعلقاً بالجملة فقط، ونرى أن هذه العبارة تلخص ما تسعى إليه اللسانيات النصية من إثبات أنها تنظر للنص باعتباره وحدة كبرى، وأنها قد تجاوزت حدود الجملة.

وبعد أن فصل التواتي في مسائل الإعراب في الآية، انتقل إلى بيان علة العطف، ونقل<sup>2</sup> عن الزحشري قوله: "فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر، حتى يطلب له مشاكل من أمر، أو نهي يرتفع عليه. إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين... ثم يقول عن قول الزحشري أن فيه نظراً لا يخفى على المتأمل. وينقل عن الشيخ

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 350

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 411

الطاهر بن عاشور ما سقناه سابقا. ويختار التواتي قول الجرجاني<sup>1</sup> في تصنيف نوع هذا العطف، وهو "عطف القصة على القصة"<sup>2</sup>.

- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يقول التواتي في هذه الآية: "والجملة بما فيها عطف على ما قبلها، عطف القصة على القصة- كذا قيل- وأنت تعلم أن المشهور القول الأخير، ولعله الأولى، فتدبر (...). ولا يخفى لطف الرب هنا، مضافا إلى ضميره- صلى الله عليه وسلم- بطريق الخطاب، وكان فيه تنويع والخروج من عام إلى خاص"<sup>3</sup>

ويذكر الطاهر بن عاشور مفصلا عطف القصة على القصة هنا، فيقول بأن الواو عطفت قصة خلق آدم على قصة خلق السماوات والأرض، ردا على شركهم واستدلالاته على وحدانيته وتفردته بالخلق، معلما للمسلمين ما كان أهل الكتاب يتباهون به عليهم، ثم تخصيص ذكر المكلف بشؤون الخلافة، المسخر له ما خلق في السماوات والأرض والكون، ويدل على ذلك، قوله تعالى: "لكم"<sup>4</sup>.

إن ما فصله صاحب التحرير هنا، أجمله صاحب الدر الثمين بقوله: "...الخروج من عام إلى خاص"، أي من قصة خلق الكون، إلى قصة خلق آدم. ولا شك أن دلالة العطف إنما استفيدت من

<sup>1</sup> في دلائل الإعجاز، عن عطف المجموع على المجموع في ص 244 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 412

<sup>3</sup> الدر الثمين، ج1، ص 441

<sup>4</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 395

الواو التي تشرك ما بعدها مع ما قبلها في الحكم<sup>1</sup>، فيكون هنا الإشراك في معنى الخلق. أي أن الذي قال- سبحانه- بأنه جاعل في الأرض خليفة، بحيث يخلقه، هو الذي خلق ما قبله. فله كامل التصرف، ولا يحتاج إلى مستشار.

- يقول تعالى بعدها في سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتَشْبُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

يقول التواتي على أن هذه الآيات جملة، محتملة لكيفيات ما قدمه، وعلى أن الناس متفقة على أن القدرة الإلهية على تعليم آدم من قضية الإلهام، وقضية التلقين، وجميع لغات البشر، إلى غير ذلك. ثم يقول: ففي قوله تعالى: "ثم عرضهم على الملائكة... إن كنتم صادقين".

قيل: عطفه بـ: "ثم"، لأن بين ابتداء التعليم، وبين العرض مهلة، وهي مدة تلقين الأسماء لآدم، أو مدة إلهامه وضع الأسماء للمسميات، والأظهر أن "ثم" هنا للتراخي الرتبي، كشأنها في عطفها الجمل. لأن رتبة هذا العرض، وظهور عدم علم الملائكة، وظهور علم آدم، وظهور أثر علم الله وحكمته، كل ذلك أرفع رتبة في إظهار مزية آدم، واستحقاقها الخلافة من رتبة مجرد تعلمه الأسماء، لو بقي غير متصل به ما حدث من الحادثة كلها..<sup>2</sup>

يُلحظ من نقل<sup>3</sup> التواتي في معنى "ثم" التالي:

<sup>1</sup> ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 224

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج 1، ص 446

<sup>3</sup> التحرير والتنوير، ج 1، ص 411

- أنها تفيد التراخي.
- ترتيب الأحداث كالتالي: تعليم آدم-العرض-عدم علم الملائكة-ظهور علم آدم- ظهور أثر علم الله وحكمته.
- إفادة المزية، وفضل آدم لارتباطه بالحادثة، واختصاصه بالخلافة.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَاتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

يقول التواتي<sup>1</sup> في "إيائي فاتقون"، ما يأتي مجملاً:

- الواو عاطفة.
- الفاء: هي زائدة، جيء بها لتوكيد معنى.
- وقيل: هي عاطفة، عطفت الجملة المذكورة على الجملة المقدرّة: "ارهبوا" أو على جملة مقدرّة جديدة، أي: "تنبهوا فاتقوني"، وهو اختيار أبي حيان.

ويرى صاحب التحرير أن الواو عطفت الجملة على ما قبلها، على طريقة الانتقال من معنى إلى المعنى المتولد عنه، أما الفاء فإنها تدل على شرط محذوف، يقول: "والتقديم إذا اقترن بالفاء كان فيه مبالغة"<sup>2</sup> ويقصد بالتقديم، تقديم: "إيائي" على فعل الأمر: "اتقون"، فوجود الفاء دل على وجود شرط مقدر.

- وفي قوله تعالى، من سورة البقرة: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾﴾

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، 510-511

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 455 وما بعدها.

يقول التواتي: "وتكتموا الحق": مجزوم عظفا على "تلبسوا"، والمعنى: النهي عن كل واحد من الفعلين. كما قالوا: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.<sup>1</sup>

أي أن الواو عطفت جملة "تكتموا" على جملة النهي قبلها، فأشركتها في حكمها، أي في النهي، فهم-بنو إسرائيل-مأمورون بعدم تلبس الحق بالباطل، وبعدم كتم الحق. والشيخ يتناول ذلك بالمثل الذي ساقه، لإيضاح أن الواو عطفت الجملة التي بعدها حتى ولو لم يرد بعده حرف النهي "لا". ويذكر أن النحاة ذكروا أن الفعل "تكتموا" هنا، إما مجزوم، أو منصوب<sup>2</sup>. والثاني معطوف عليه في الحكم. ويرى أن الأول-الجزم- أظهر، لأن الفعلين قبيحان، لذلك يكون الجزم مناسبا لكليهما.

كما يرى الطاهر بن عاشور<sup>3</sup> أن الآيات قبل هذه، إلى غاية هنا معطوفة على بعضها، لا عطف جملة على جملة فقط، بل كما تقدم، عطف مجموع على مجموع، ثم يشير أن في الآية انتقالا من التحذير من الضلال(الآيات قبلها) إلى التحذير من الإضلال. ثم يقول بأن في الآية نفسها عطف جملة على جملة، وهو الأظهر للنهي عن الفعلين القبيحين.

- وفي تفسيره لقوله تعالى، من سورة البقرة ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُخِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾﴾

يعنون التواتي، حول حرف "أو" بعنوان: "التحقيق في معنى "أو" وما أفادته"<sup>4</sup> فهي عند المحققين

من أهل العلم، تفيد أحد الأمور التالية:

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج1، ص 520

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 521

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 470

<sup>4</sup> الدر الثمين، ج1، ص 355

- الشك/ الإبهام/ التخيير

- التساوي/ معنى الواو

- الإشتراك/ التفصيل

- معنى بل

أو:

وكأنّ من نظر إلى حالهم، منهم من يشبهه بحال المستوقد، ومنهم من يشبهه بحال ذوي صيب، وقد ادعوا أن الإباحة وكذا التخيير، لا يكونان إلا في الأمر، أو فيما معناه. ويقول: "بأنه لا يخفى على من نظر في معناه، وقد ذكر ابن مالك أن أكثر ورود "أو" للإباحة في التشبيه، نحو قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>1</sup> والتقدير كقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

3112

فاستشهد التواتي بقول ابن مالك يدلّ على اختياره أنها للإباحة في التشبيه، فيما يرى ابن عاشور أن "أو" عطفت لفظ "صيب" على "الذي استوقد" بتقدير مَثَلٌ بين الكاف وصيب. فالتمثيل لحال المنافقين حين حضورهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مجلسه. فهو تشبيه للمنافقين بحال السائرين في أرض قوم بليل أصابها غيث، إذ أهلها -الأرض- في بيوتهم، منتفعون بالغيث، والسائرون لم ينتفعوا به، بقدر ما تضرروا بالغيث والصواعق.

- وفي قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ أُنثَىٰ عَشْرَةٌ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا

<sup>1</sup> من الآية 74 من سورة البقرة

<sup>2</sup> الآية 9 من سورة النجم

<sup>3</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 1، ص 355

مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَثَائِبِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ  
أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ  
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢١﴾

يقول التواتي بأنه قد ورد في الحديث أن رجلا قال: "من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: بس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى." ويعلل الشيخ ذلك بقوله: "إنما ذمه لأنه جمع في الضمير بين الله تعالى ورسوله في قوله: ومن يعصهما، فأمره أن يأتي بالمظهر، ليرتب اسم الله تعالى في الذكر، قبل اسم الرسول. وفيه دليل على أن الواو تفيد: الترتيب."<sup>1</sup>

والآيتان مليتان بحرف العطف "واو"، والاستدلال بالحديث الذي أشار إليه الشيخ يفيد أنه يشير إلى أن الواو في الآيتين رتبت المعاني، وذلك موافق لما تقتضيه دلالة الآيتين من سرد قصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى -عليه السلام- في الاستسقاء. ويرى الطاهر بن عاشور أن الواو في الآيات رتبت النعمة على ذلك الصنيع، فتكون هنا أيضا نعمة.<sup>2</sup>

#### \*مجمل حول الإحالة بالعطف في الدر الثمين:

تبيّن من خلال ما أوضحه التواتي في تفسيره، لما سبق تناوله من تفسيره، أن العطف لا يخلو منه القرآن الكريم، إذ إنه بأدواته، قد حظي بدراسات عديدة، تحت مسمى "العطف"، أو "الوصل"، أو "التوابع" .. إلى غير ذلك.

<sup>1</sup> الدر الثمين، التواتي، ج2، ص 21

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، ص 520

وقد تناولته النحاة وعلماء البلاغة- كما تقدم معنا- في باب الفصل والوصل، وله أدوات كثيرة، منها: الواو، والفاء، وثم، وأم، وبل، ولا، ولكن... على اختلاف في معانيها، ونكتفي هنا بتوضيح دور العطف عموماً، خصوصاً أننا اخترنا نماذج منه من تفسير الشيخ التواتي.

فالعطف باعتباره وسيلة للربط بين المفردات، بين المفرد والمفرد، والجملة والجملة، والمجموع والمجموع، هو من أهم الآليات الإحالية التي تنبّه المتلقي إلى ضرورة الربط، بين ما سبق من الكلام أو ضُمن في السياق، وكلاهما مرجع يحال إليه، فينسبك النص.

إذن؛ فالمعطوف تابع في حكم النحو لما قبله، وهو بذلك يمثل امتداداً نصياً للمتبوع، إذ نلاحظ أن صدى المتبوع يظهر في التابع<sup>1</sup>، من ذلك الاشتراك في الحكم، وهو في كل ما تقدم معنا من أمثلة. والتابع عند النحاة<sup>2</sup>، هو الاسم المشارك لما قبله في إعرابه، باعتباره يتبعه في كل حالاته، نصباً، وجراً، ورفعاً، وجزماً. فالتابع بذلك يختلف عن الخبر الذي يتبع المبتدأ، فهي ليست تبعية مطلقة. وإن كان يتعلق بالاسم، وما مر معنا جمل فعلية، غير أن العطف جعل الجمل تابعة في حكمها الإعرابي بسبب دخول حروف العطف عليها.

كما أنه لا يخلو نص من أدوات الربط بأنواعها، وهي التي تربط بين كلمات الجمل، أو تربط بين الجمل، وتربط بين الفقرات، حتى يكون النص مسبوكة، كأنه جملة واحدة، لها دلالة محددة، وموحدة. فحروف المعاني مثلاً؛ تعتبر من أهم أدوات الربط في جميع النصوص، وعلى اختلاف مستوياتها، وتعدد موضوعاتها.

<sup>1</sup> ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم الفقي، ج1، 243

<sup>2</sup> ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، ط 20، ج 3، ص 190، رمضان 1400،

يوليو 1980.

كما أن أدوات الربط في العربية تفيد معنى في غيرها، وهي بذلك تقوي الصلة بين المفردات الداخلة في حيزها، فهي تسهم بذلك في سبك النص وإثبات أهميتها البالغة، في ذلك الواو مثلا، أو التخيير، ثم، لكن، بل، إلى غير ذلك، كلها تحضر بكثرة في النصوص.

## 2-2- الواسائل المعجمية للسبك

### 2-2-1 التكرار:

- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الْم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾

يذكر التواتي<sup>1</sup> أن من اللطائف البلاغية والنحوية في هذه الآيات، وجوها، منها: "التكرار" في قوله تعالى: "يؤمنون بالغيب"، "يؤمنون بما أنزل إليك".

وفي قوله تعالى: "الذين"، و"الذين". يقول: "إن كان الموصوف واحدًا، فهو تكرار للفظ والمعنى. وإن كان مختلفًا كان من تكرار اللفظ دون المعنى."<sup>2</sup>

ويذكر أن من التكرار أيضا: "أولئك"، و"أولئك". يقول فيها: "في تكرير "أولئك" تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى، ثبت لهم الاختصاص بالفلاح أيضا، فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 285

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها

<sup>3</sup> المرجع السابق، الصفحة نفسها

وقد تمثل لنا من قوله في التكرار هنا ما يلي:

- تكرار الفعل (بنفس الصيغة الصرفية) ← يومنون
- تكرار الاسم الموصول (جمع) ← الذين
- تكرار اسم الإشارة (جمع) ← أولئك

أولاً: الفعل "يومنون"، هو يحيل إلى المتقين المقيمين الصلاة، والموتين الزكاة، والمؤمنين بالغيب، وبما أنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وما أنزل من قبله من الكتب السماوية، فهم يصدقون تصديقا جازما بكل ما ينطق به الكتاب والرسول المبعوث.

ثانياً: الموصول "الذين"، يحيل إلى جملة من ذكرناهم بتلك الصفات السنية، فكما أنهم يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، فهم أيضا يؤمنون بما أنزل على النبي صلى عليه وسلم، فالموصول يدل على نفس المذكورين، ولا ينصرف لغيرهم. نظرا للسياق الدال على ذلك، فلم يذكر قبلهم أو معهم غيرهم حتى يحال إليه. والذي دلّ على أن المرجع واحد-المحال إليه- هو دلالة حرف العطف قبل "الذين" الثانية.

ثالثاً: اسم الإشارة "أولئك"، يدل على نفس المذكورين بالصفات السابقة والدال على ذلك السياق وحرف العطف "الواو"، إضافة للضمير المنفصل المحيل إليهم "هم"، ويثبت لهم اختصاصين:

1- الهدى: فهم هداة مهديون، لورود المصدر، فاحتمل بذلك أن يكونوا كذلك.

2- المفلحون: أي فلاح في الدنيا والآخرة، وهو تمام النجاح.

بينما يرى ابن عاشور بأن "الذين يومنون.." متصل بالمتقين، بعد الإجمال في الوصف أتى بتفصيل فيه بما بعد. غير أن "الذين" الأولى تتعلق بمن آمن من المشركين أولا فصاروا بذلك الإيمان

متقين، أي بعد أن كانوا يكفرون بالبعث والغيب ولا ينفقون صاروا بعد إيمانهم بالقرآن مهتدين به، فكانوا من فريق المتقين، ولهم أوصاف: الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإنفاق.

أما "الذين" الثانية، فهي للفريق الثاني، وهم الذين آمنوا بعد هؤلاء بما أنزل على النبي وما أنزل من قبله، أي من سمع بالدعوة المحمدية فكان مؤمنا قبلها بما أنزل على الأنبياء والرسل قبله، وآمن بالنبي فاجتمع فيه الوصفان. ولهم أوصاف: الإيمان بما أنزل على النبي، والإيمان بما أنزل قبله، والإيقان بالآخرة.<sup>1</sup>

ويستطرد-ابن عاشور- ذاكرا بأن الزمخشري يرى أن "أولئك على هدى" خبر لجملة "الذين يومنون بالغيب.."، ويرد عليه ذلك بأنه لا يليق، إذ لو كان خبرا لجملة "الذين يومنون"، لكانت استئنافا، والاستئناف يقتضي الانتقال من عرض للآخر.<sup>2</sup>

والحاصل من خلال ما تقدم معنا أن التكرار أفاد معاني كثيرة في الآيات المذكورة آنفا، ولا غرض من ذلك إلا إفادة الاختصاص بالأوصاف المذكورة للمتقين، وهو ما نستنتجه من كلام المفسرين.

- وفي قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾

يقول التواتي: "وذهب المبرد إلى أنّ جواب "لما" الأولى هو: "كفروا به"، وكرر "لما" لطول الكلام، ويقيد ذلك تقريبا للذنب وتأكيدا له، وهذا القول كان يكون أحسن لولا أن الفاء تمنع من التأكيد."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، 228

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، 228

يرى المفسر من خلال نقله عن المبرد أن الفاء في قوله تعالى "فلما" لو لم تكن موجودة لكان التكرار مفيدا للتأكيد. فالعامل واحد، والغرض إظهار اتحاد مفاد الجملتين المفتحتين بلما وزيادة الربط بين المعنيين، كما يقول بذلك ابن عاشور.<sup>2</sup> يقول: "فحصل بذلك نظم عجيب وإيجاز بديع، وطريقة تكرير العامل مع كون المعمول واحدا طريقة عربية فصحي."<sup>3</sup>

والملاحظ أن تعقيب المفسرين اقتصر على ما ذكره المبرد وغيره من كون لما المكررة أفادت التأكيد، ولم يعلقا على معنى تقرير الذنب، مما يحيلنا إلى القول بأنهما لم يخالفا المبرد في كون التكرار هنا أفاد تقرير الذنب الذي اقترفه بنو إسرائيل. فقد عرفوا أن الذي نزل على النبي-صلى الله عليه وسلم- هو الحق الذي كانوا ينتصرون من خلال الاستفتاح به، فما كان منهم بعد ظهوره إلا أنهم كفروا به لا لجهلهم بل لاستكبارهم، فجمعوا بذلك ذنبين، فكان معنى تقرير الذنب لائقا-فيما نرى- من خلال تكرار "لما". والله أعلم.

- وفي سورة القمر، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٧﴾

يقول التواتي: "هذه الآية تتكرر في السورة، وإن تكرر لحكمة بالغة يعلمها الله تعالى، وهي: بيان أن هذا القرآن سهّله، وبينه وفصله الله تعالى على من فتح عليه استظهاره، والعمل بمقتضى أحكامه، والإسراع إلى ما جاء فيه من أوامر والحجم على ما ورد في نواهي، فذلكم التيسير الذي شمله هذا ويسره للحفظ والتلاوة."<sup>4</sup>

وهذا يلخص ما نقله عن الرازي في تفسيره، وقد نقل عنه ذلك بعد ما قاله في أوجه أربعة:

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج2، ص 188

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 602

<sup>3</sup> التحرير والتنوير، نفس الصفحة.

<sup>4</sup> الدر الثمين، ج18، ص 383

- 1- الحفظ
- 2- الاتعاظ
- 3- التلذذ بسماعه وعدم الملل
- 4- وهو الأظهر عنده-الرازي-: لما ذكر نوح عليه السلام وكان له معجزة قيل له: إن معدرتك القرآن.<sup>1</sup>

يقول التواتي بأن فائدة التكرار هنا: "التحريض وتنبية الأنفس"<sup>2</sup> ومعلوم أن التحريض لا يكون إلا من خلال ما يحال إليه، وهو القرآن الكريم، فالتحريض وقع من خلاله إليه. أي أنه أحال إلى نفسه، من خلال ما سبق من الآية. وينبني عليه بعدها تنبيه السامعين إلى جوهر القرآن، فهو الذي وإن تلي كثيرا فلن تزدادوا إلا تعلقا به ومحبة في سماعه والاتعاظ به، والمبادرة لحفظه.. وهذه المعاني كلها أفادها التكرار الإحالي هنا. إذ يرى صاحب التحرير<sup>3</sup> أن التكرار في السورة-القمر- من مقتضى مقام الامتنان، والحث على التدبر في القرآن ليُجتنب به الضلال.

- يقول أيضا في سورة القمر ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالُ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾﴾

يذكر التواتي أن فائدة تكرير هذه الآيات عبر هذه السورة فيما يلي:

<sup>1</sup> ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ج 29، ص 43-44

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 384

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 27، ص 203

## الفصل الأول: التسبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

- أن الفائدة منه أن يجدد عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكارا واتعاضا.
  - وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا.
  - لكي لا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة... يقول: "وهذا حكم التكرير"<sup>1</sup>
- ويقول ابن عاشور بأن التكرار هنا: تكرير ثالث، تنويها بشأن القرآن للخصوصية المتقدمة في الآيات.<sup>2</sup>

- وفي قوله تعالى، من سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ١٣﴾

تكررت هذه الآيات بالسورة 31 مرة، على النحو التالي:

مواضع التكرار	الآية
13-16-18-21-23-25-28	فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ
30-32-34-36-38-40-42	
45-47-49-51-53-55-57	
59-61-63-65-67-69-71	
73-75-77	

يذكر التواتي نقلا عن أسرار التكرار في القرآن<sup>3</sup>، أن لهذا التكرار أسراراً، منها:

- ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم.
- ثم سبعة منها عقيب آيات ذكر النار، وشدائدها على عدد أبواب جهنم.

<sup>1</sup> ينظر بتصرف: الدر الثمين، ج 18، ص 394

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 27، ص 207

<sup>3</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 420، نقلا عن أسرار التكرار في القرآن، محمد بن حمزة الكرماني، تح: عبد

القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ص 198

- وحسن ذكر الآلاء عقيبتها، لأن في صرفها ودفعها نعمًا توازن النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء، وذلك يعد أكبر نعمة.

- وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة الثمانية.

- وثمانية أخرى بعد الجنتين اللتين من دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين، ومن الله ووقاه السبعة السابقة.

ثم يقول: " وهذا تكرار على مدار 31 مرة، لم يكن بدون غاية وقصد، وإنما كان في كل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة، لأن التأكيد لا يزيد عليها...<sup>1</sup> "

ويرى ابن عاشور<sup>2</sup> أن الأولى أن يقال تعداد وليس تكراراً، لأنه ليس تكريراً لمجرد التأكيد، فالفاء تفيد تفرّيعاً. وعليه يرى أن تكرارها له فائدتان: التأكيد والتقرير.

يستفاد من كلاهما-المفسرين- أن التكرار أفاد:

- تفرّيعاً للنعم المذكورة قبل: فبأيّ آلاء..

- تأكيداً على ما أنعم الله على الناس، للتنبيه.

- تقرير تلك النعم، لمن غفل عنها.

وقد اختلف المفسرون، في كونها تخاطب الإنس فقط: ذكرانا وإناثا، أم تخاطب الإنس والجن، ولكل فريق استدلالته من القرآن والحديث النبوي. وقد فصل ذلك الشيخ التواتي والإمام ابن عاشور في تفسيريهما. فاختر ابن عاشور أنه للإنس<sup>3</sup>، واختار التواتي أنه للإنس والجن.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 18، ص 420

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 27، ص 246

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 243 وما بعدها.

- وفي قوله تعالى من سورة البقرة:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

يذكر التواتي بأن التكرار في الآيتين للمبالغة في التحذير، والزجر عما استحکم في الطباع من الافتخار بالآباء، والاتكال عليهم.<sup>2</sup> في حين يرى ابن عاشور<sup>3</sup> أنه تكرير لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين، اهتماما بما تضمنه لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين.

يتحصل لنا فائدة أخرى للتكرار، تتمثل في:

- المبالغة في التحذير.
- الزجر.
- زيادة رسوخ المدلول.
- مراعاة حال المخاطب (لكونه لم يسبق له سابق معرفة بالكلام المخاطب به)

\*مجمّل حول التكرار ودوره في سبک النص:

إن التكرار من أهم الوسائل المعجمية، لتحقيق السبک النصي، والأصل في التكرار يرجع إلى مادة "كرر" أي من الكرّ، وهو الرجوع، ومنه: كرر الشيء، أي أعاده.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 433

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 2، ص 529

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، ص 748

<sup>4</sup> ينظر: لسان العرب، ج 5، ص 135

يقول صبحي ابراهيم الفقي: "التكرار هو إعادة ذكر لفظ، أو عبارة، أو جملة، أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه، أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمها: تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة."<sup>1</sup>

وعليه يمكن القول أن للتكرار فوائد، تمثلت في:

- أمن اللبس.

- التذكير.

- التأكيد.

- التقرير...

كما يظهر -من خلال ما سبق تناوله- أن له أنماطا:

- تكرار الكلمة الواحدة، مع اتحاد المرجع أو تعدده.

- تكرار الآية، مع اختلاف أو اتحاد في الدلالة.

## 2-2-2- المصاحبة المعجمية:

- في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت

تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

نقل التواتي<sup>2</sup> عن الزمخشري أن:

---

<sup>1</sup> علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء

للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ج2، ص 20

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 282-283

- "الضلالة" وقعت مقابل "الهدى".

- وأن مقابل "الهدى" "الإضلال" ومقابل "الاهتداء" "الضلال". وجعل "الهدى" مقابل "الضلال" ممتنع.

أما ابن عاشور فيرى أن جملة "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى" في مقابل جملة "أولئك على هدى من ربهم"، وهي الآية 5 من سورة البقرة، وقد فصل بينهما جملة الأوصاف المتعلقة بالمنافقين. فوُجعت هذه الجملة مقابل تلك التي في المفتوح.<sup>1</sup>

إنّ لفظ الهدى، ضدّ لفظ الضلالة، هذا باعتبار ما في الآية من التطابق، كما اختاره التواتي من خلال نقله عن الزمخشري. أما من خلال السياق وانتظام الكلام، فإن الآية رقم 16 وقعت مقابل الآية رقم 5 من سورة البقرة. وهذا يدلّ على شدة الترابط وحسن التسبك في الآي القرآنية.

- ويقول في تفسير سورة النجم ﴿وَأَنَّهُ وَخَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾

"انظروا إلى عظيم قدرة الله تعالى، إنه من كمال قدرته ووفور حكمته، خلق الزوجين المزدوجين، الذكر والأنثى، من كل صنف، ونوع الجنس، وقدّر وجود الزوجين."<sup>2</sup>

فمن حكمة الله في خلقه أن نوع الجنس، فجعل في المخلوقات ذكرا وأنثى، وهذا النوع من المصاحبة المعجمية يدخل ضمن المقابلة أيضا، فالجنس في المخلوقات ثنائي، لا ثالث له، والإنسان باعتباره النموذج الفريد ضمن المخلوقات جميعا فهو إما ذكر أو أنثى، ولكل خصائصه ووظائفه. فبذلك يصير لفظ "الذكر" مصاحبا للفظ "الأنثى" حتى وإن لم يذكر أحدهما، فإن المعنى يقتضي ذلك. وكذلك الحال بالنسبة للفظ "الزوجين"، فيصاحبه لفظان "الذكر والأنثى".

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 297

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج18، ص 352

- وفي تفسيره لسورة الرحمن: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿١٠﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿١١﴾﴾

ومن التقابل أيضا ما ذكره الشيخ هنا، يقول: "أما عطف جملة "والنجم" على ما قبلها، فلتناسبها من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان".<sup>1</sup>

أي أن هناك علاقة تناسب بين الآيتين، يتمثل في التقابل، على النحو التالي:

### 1- العلاقة بين الشمس والقمر:

علاقة تضادّ	علاقة تباين	علاقة اشتراك
النهار	الشمس	كوكب
الليل	القمر	علويّ، سماويّ

بحيث يشترك الشمس والقمر في كرتي سماويان، علويان، ولا يكون ذلك إلا للكواكب، فالعلاقة تتضح أكثر من خلال الجدول، أما من حيث اللفظ ومعناه في الواقع فالشمس مباين للقمر. أما عن علاقة التضاد، فمن حيث أن الشمس نهارية والقمر ليلي، ومنه فالنهار ضد الليل. والعلاقات على هذا النحو تباين وتتعدد في اللفظ الواحد مع غيره، نظرا للاعتبار اللفظي، فالمعنوي، فالمحسوس...

### 2- العلاقة بين النجم والشجر:

علاقة تعاكس	علاقة تباين	علاقة اشتراك
بدون ساق	النجم	نبات

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص 428

## الفصل الأول: التسبك في التّر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

له ساق	الشجر	سفليّ، أرضيّ
--------	-------	--------------

إذ يشترك النجم مع الشجر في صفة النبات، ومعلوم أن النبات في الأرض، وهو سفليّ، وما كان علويًا كان ضد السفليّ. أما عن نوع علاقتهما من حيث كونهما نباتًا، فإن ما له ساق ممتاز عن ما ليس له ساق، فباعتبار كونهما من جنس واحد حددنا نوع العلاقة بينهما أنها متعاكس، لأن التعاكس يقع في الشيء الواحد.

### 3- العلاقة بين الشمس والقمر والنجم والشجر:

علاقة تضاد	علاقة تباين	نوع العلاقة
علوي	الشمس والقمر	التقابل
سفلي	النجم والشجر	

أما الجدول الثالث، فهو يجمع ما فصلّ من نوع العلاقات بين ما ذكرنا، فالتقابل الذي عناه الشيخ في الآيتين، استدعى منا وضع الجداول الثلاث، لنستبين أنواع العلاقات التي عبّر عنها الشيخ بلفظ "التقابل". وقد خلصنا إلى أن هناك علاقتين مجملتين:

الأولى: علاقة التباين، فالشمس والقمر مباينان للنجم والشجر، باعتبار الأولين من جنس الكواكب، والأخيرين من جنس النبات.

الثانية: علاقة التضاد، وتتلخص في العناصر التالية: العلو وضده السفل، الليل وضده النهار.

ثم لما كانت الآيتان تتحدثان عن نوع من المخلوقات سخرت للإنسان، انتقل إلى بيان علاقة أخرى، ليربط بين الآيتين وما مضى من قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ فيقول: "...ومن حيث أن كلاً من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله تعالى، ولما كانت هذه الأربعة

مغايرة لجنس الإنسان في ذاته، وصفاته، غير النظم بإيرادها في صورة الاسمية تحقيقا للتغاير بينهما، وضعا، وطبعاً، صورة، ومعنى.<sup>1</sup>

علاقة مغايرة	
الإنسان	الكواكب، النبات، الأرض، الماء...

يشير الشيخ إلى علاقة المفردات في السياق، فيذكر نوعاً آخر من العلاقات المعجمية، وهي علاقة التغاير، أي أن الإنسان غير النبات، وغير الكواكب، وهو غير المخلوقات في الصفات الحسية والمعنوية، بل وفي الوظائف أيضاً. والقصد من إيراد ذلك، أن الله أنعم على الإنسان بنعم أرضية وسماوية، وعدد له جملة منها.

ومن العلاقات التي أفادها التواتي أيضاً، علاقة الاشتمال، أو علاقة الجزء بالكل، يقول: "لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير، وهو السماء والأرض، وما فيهما، ذكر خلق العالم الصغير، والمراد بالإنسان هنا: آدم."<sup>2</sup>

فالإنسان جزء من هذا العالم، وعلاقته بالعالم ما سبق وتناولناه، من كونه قد سُخِّرَ له ما في هذا الكون الفسيح بما في سمائه وأرضه، بيرة وبحره... والشيخ يشير إلى أنّ الآيات ترتبت بذكر العالم وما فيه تعداداً للنعم وصولاً للإنسان، والسبب هو تشريفه على جميع المخلوقات.

فالألفاظ الواردة في الآيات الأولى من قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تصاحبت الألفاظ التالية: الشمس، القمر، النجم، الشجر،

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج18، ص 428

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج 18، ص 439

السماء، الميزان، الأرض، فاكهة، النحل، الحب، العصف، والريحان. وهذه تندرج ضمن قوله: العالم الكبير.

ثم يأتي قوله في الآية 14: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾<sup>1</sup>، وهو قوله: العالم الصغير.

\*مجل حول المصاحبة المعجمية:

المقصود بالمصاحبة المعجمية: توارد زوج من الكلمات، وذلك لارتباط إحداهما بالأخرى، بعلاقة ما؛ قد تكون التباين، وقد تكون الكل بالجزء أو الجزء بالجزء... وهو ما تثبته الدراسات النصية المعاصرة. على أننا اخترنا لفظ التباين في ما ساقه الشيخ من التقابل، باعتبار أن التباين هو تميّز اللفظ عن غيره في بنيته وفي معناه، أما التضاد فهو باعتبار ما يستحيل جمعه (كالعلو والتسفل والليل والنهار..). كما تقدم معنا. وأما التعاكس فهو في الشيء الواحد، كالطريق الذي له اتجاهان، فهما متعاكسان.

وهذه الظاهرة كثير في القرآن الكريم، إذ ألفاظه مضبوطة، لا يمكن وضع غيرها في محلها، ولا يمكن استبدالها، وإلا تغير المعنى كلياً. وفي ذلك يحزر الدكتور فاضل السامرائي مقولته عن ألفاظ القرآن، فيقول: "لقد تبين أنه لم توضع الألفاظ عبثاً ولا من غير حساب، بل هي موضوعة وضعا دقيقاً بحساب دقيق دقيق".<sup>1</sup> وذلك من خلال المتابعة والدراسة، وقد تقدم معنا جملة من ذلك.

ولإفادة هذا السبك النصي والتصاحب المعجمي في القرآن يبيّن ذلك الدكتور فاضل بقول: "إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود. كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم

---

<sup>1</sup>التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط4، 2006، ص 12

تراع في هذا الوضع الآية وحدها، ولا السورة وحدها، بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 10

## الفصل الثاني:

الحرك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن  
التواتي

## تمهيد

ينطلق هذا الفصل من إشكالية مفادها: ما مدى مقارنة الدر الثمين لآلية الحبك في الدراسات اللسانية النصية؟ وهل يتلاءم البحث في هذا التفسير وفق هذه المقاربة أم لا؟

جاء في لسان العرب: "الشّد، واحتبك بإزاره احتبا به وشدهُ إلى يديه (...). وتحبكت المرأة بنطاقها، شدته في وسطها (...). وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: والسمااء ذات الحبك، الخلق الحسن (...). والمحبوكة، ما أجيد عمله، والمحبوكة المحكم الخلق، من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه (...). وحبك الثوب يحبُّه ويحبُّه حبكا أجاد نسجه وحسنَ أثر الصنعة فيه."<sup>1</sup>

إن المعاني المعجمية الموجودة في القواميس العربية تلتقي مع المعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح، حيث يشكل العلاقات غير الخطية الموجودة بين المعاني في النص. فيرى ظاهر النص وكأنه خال من رابط يربط بين أجزائه، غير أنك تجد علاقات تحبكه، أي تقوم بهذا الدور العلائقي بين أجزاء النص، ليصبح نصا متماسكا متلاحم الأجزاء.

وهذا المعنى يلتقي مع كون الحبك هو الشد، فالعلاقات في الحبك تقوم بشد أجزاء النص، وربطها سويا، وكلها علاقات معنوية، غير ظاهرة. والواجب فيها أن تكون متقنة، يستطيع المتلقي فهمها، وقبولها. فيكون العمل المحبوكة أي الذي أجيد عمله، محكما نسيجه، من كلمات مترابطة مع بعضها، يصح أن يسمى نسيجا. وهذه الخيوط التي تجمع العناصر المختلفة والمتباعدة في كل نص، هي التي عنيت بها لسانيات النص في معيار الحبك؛ حيث تكشف عن ذلك من خلال آليات

---

<sup>1</sup> ينظر: لسان العرب، ج5، ص 135-136

تشكل لنا نصا متكاملًا محبوكًا، له معنى يؤديه ليقبله المتلقي، وتسمى هذه العلاقات بعلاقات الحبكة المفهومية التي تربط بين قضايا النص ليكون نصًا مقبولًا.

### 1- الحبكة في الدراسات اللسانية النصية:

إذا كان السبك مختصًا بالتناسق الشكلي الذي يفرضه ظاهر النص، فإن الحبكة مختص بالتناسق المعنوي الذي تفرضه المعاني، وتفرضه العلاقات الذهنية التي بينها، والتي بدورها تجعل من المفاهيم مستمرة تمثل قضايا لها أسباب، ونتائج، وتفصيلات، وتفسيرات...

"إن معيار الحبكة يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ويعني بذلك

الاستمرارية الدلالية، والتي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"<sup>1</sup>

باعتبار أن النص مكوّن من ألفاظ وجمل مسبوكة، فهو أيضًا يتكون من معاني محبوكة، وهي التي يشير إليها سعد مصلوح بأنها منظومة المفاهيم التي لا بد فيها من علاقات تربط بينها حتى يكون النص نصًا، مفهومًا، ومقبولًا لدى المتلقي.

وإذا كان النص في ظاهره مفككًا، فإن المتلقي لا يلبث أن يتبين بنية عميقة مترابطة، هذا المعنى هو الذي يذكرنا برأي "براوين ويول" في الحبكة الذي ترجمه الدكتور محمد خطابي بالانسجام. وأورد رأيهما بأنهما لا يعتبران انسجام الخطاب شيئًا معطى، أو شيئًا موجودًا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه (على مجسّداته)، وإنما هو في نظرهما شيء يُبنى، وإلا فليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي. ويحيل -خطابي- في السياق ذاته إلى أنهما ركزا على انسجام التأويل، وليس على انسجام الخطاب، فيرى من خلال ذلك أن الخطاب يستمد انسجامه من:

- فهم.

<sup>1</sup> ينظر بتصرف: نحو آجرومية للنص الشعري، سعد مصلوح، ص 154

- تأويل.

- وتلقي.<sup>1</sup>

يرى أشرف الشامي بأن النص سواء تضمن علاقات حبكة، أو لم يتضمن فلن يحكم عليه بأنه محبوك إلا المتلقي. ويحكم على الرأي السابق بأن فيه قصرا للحبكة على المتلقي فقط، بأن جعله انسجام تأويل، وليس انسجام خطاب. وكأن كل النصوص تخلو من علاقات الحبكة، وهذا غير صحيح. لأن علاقات الحبكة أحد المعايير التي يحكم بها على نصية النص، والتي بها يكون النص مقبولاً. فالنصوص في أصلها تتضمن علاقات حبكة تسهم في الربط بين معاني النص، ومن ثم فهمه وقبوله، ولن يجد بذلك المتلقي عناء في فهم هذه العلاقات، وفهمه لهذا النص وتأويله.<sup>2</sup> وهذا يتناسب مع المدونة قيد الدراسة، نظراً لما يلفت المفسر في بعض المواضع المختلف فيها، أو التي توهم لبساً كما سيأتي بيانه.

ففي بعض المواضع من القرآن الكريم، يتوقف المفسر ليستبين ما أجهم فيها من خلال الاعتماد على الموقف والظروف المصاحبة لنزول الآيات، بما يعرف بأسباب النزول. أو ما بدا مفككا في ظاهره، فلا يفهم إلا من خلال ما ذكرنا أو بعرض المناسبة. مما يجعل المتلقي يربط بين معانيه، أو ما له علاقة مقنعة على الأقل للربط عند النقطة المناسبة.<sup>3</sup> وستعرض لتفصيل جملة من ذلك.

## 2- أهمية الحبكة في الدر الثمين

تكمن أهمية الحبكة في تفسير الدر الثمين ما ذكره الشيخ التواتي في مقدمة تفسيره، في حديثه عن عدة المتصدي لعلم التفسير، وذكر شروطاً تعرض فيها لدلالة الحبكة، نأخذ منها ما يهمنا على وجه الإجمال في النقاط التالية:

<sup>1</sup> ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص 51

<sup>2</sup> ينظر: معايير النصية، أشرف الشامي، ص 83

<sup>3</sup> ينظر في هذا: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص 119

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

- علم اللغة، من حيث معاني المفردات، والمشارك منها، لأمن اللبس.
- معرفة الأحكام المتعلقة بالكلمة في أفرادها وتركيبها.
- علم المعاني والبيان والبديع لمعرفة خواص التراكيب وإفادة معانيها، وخواص اختلافها.
- تعيين المبهم وتبيين المحمل والسبب.
- معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص والتقييد.<sup>1</sup>

وكل هذه النقاط التي ذكرها الشيخ إنما تتعلق بمعنى الحبك، خصوصا أن تركيزه على المعاني المتعلقة بالكلمة أو بالتركيب هي عين ما نجد في الحبك عند النصابين. حتى أنه أشار إلى ضرورة ذلك بعد تفصيل في معنى التفسير عند العلماء، فيقول: "... والأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل".<sup>2</sup>

ف قوله بما يقتضيه الكلام، أي ما يتعلق بمعنى النص في سياقاته اللغوية وغير اللغوية، وما يرتبط بالقصد والدلالة التي يرتضيها الشرع، التي لا تخرج عن الإطار العام للأصول الشرعية واللغوية. وقد تنبه الشيخ لضرورة التأويل في تلقي القرآن بما استدل به من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ولضرورة الحبك عند المفسرين ما لا يخفى على باحث، على سبيل المثال لا الحصر السيوطي، إذ يرى أن ملاءمة الألفاظ لبعضها البعض، من حيث اقتران الغريب بمثله والمتداول بمثله، رعاية لحسن الجوار والمناسبة ضروري.<sup>3</sup> حتى أن الشيخ التواتي -فيما سبق ذكره- يتوافق مع السيوطي<sup>4</sup> في أن الألفاظ يجب أن تلائم المعنى المراد، فقد عبره عنها التواتي بما يقتضيه الكلام، وما يرتضيه الشرع، في حين عبر عنها السيوطي بالملاءمة بين الألفاظ والمعنى المراد (الذي يريد الشارح سبحانه).

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، 16-17

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 20. والحديث أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، ج1، ص 41

<sup>3</sup> ينظر بتصرف: الإتيان، السيوطي، ص 593

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

## الفصل الثاني: الحبك في التّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

فالحبك يسهم في فهم النص وتأويله عند التواتي، وقد جعله دي-بوجراند معيارا ثانيا خاصا بالنص بعد السبك، يقول عنه: "ولذا كان من الضروري لمن يتواصلون من خلال النصوص أن يصوغوا هذه الوقائع مع وصلها بالوقائع الأخرى<sup>1</sup>، وإلا فهذا الترابط في الغالب يصعب التعرف عليه (...). إن الانهيار التام لعملية الاتصال بسبب عدم الالتحام مثلا يمكن أن يكون عقبة.."<sup>2</sup>

وهكذا فإن أهمية الحبك تظهر في فهم النص، وإن غياب علاقاته قد تمثل عقبة في طريق المتلقي، فيكون النص مبهما، ويكون بذلك عبارة عن جمل مشتتة لا يجمع بينها شيء، حتى وإن توافرت أدوات السبك السطحية، والتي تعبر عنها العلاقات النحوية. وهذا مستبعد عن كتاب الله.

ولم يكن البلاغيون بمنأى عن التبصر بأهمية ذلك في الكلام، منه ما ذكره عبد القاهر الجرجاني من أنّ الألفاظ أوعية للمعاني التي تدور في النفس، ثم ترتب الألفاظ على إثرها، فيقول: "إنك تتوخى الترتيب في المعاني، وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك، أتبعها الألفاظ، وقفوت بها آثارها. وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولا حقة بها. وإنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق."<sup>3</sup>

ويؤكد أشرف الشامي<sup>4</sup> ما ذكره التواتي-فيما سبق معنا- أنّ أهمية الحبك تكمن في إظهار المعنى الصحيح لكل كلمة من كلمات النص، ومن ثم فهم النص، وتأويله وفق قصده منشئه، أو قريبا منه. وما يبرز أهمية الحبك في تحديد معنى الكلمة من خلال العلاقة التي تربطها بما يجاورها من كلمات، وإن كانت العلاقات المقصودة هي العلاقات النحوية، فهذا لا ينفي معنى الحبك؛ حيث يمكن أن

<sup>1</sup> وسيأتي نموذج في ذلك تناوله التواتي في تفسير سورة البقرة.

<sup>2</sup> ينظر: النص الخطاب الإجراء، دي بوجراند، ص 118 - 119

<sup>3</sup> دلائل الإعجاز الجرجاني، ص 54

<sup>4</sup> ينظر: معايير النصية، ص 83 وما بعدها.

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

يكون في نطاق الجملة، أو في نطاق النص، فالإسناد مثلاً بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، هو علاقة معنوية، وهي في نطاق الجملة، والقارئ يمكن له أن يميز بين علاقات الإسناد، والتقديم والتأخير، من خلال المعاني التي يؤديها النص في وحدته الكلية.

كما أن للحبكة أهمية أيضاً في ترجيح وجه نحوي معين، كضبط دلالة حروف العطف، وما تؤديه. وله أيضاً دور في ترتيب الكلام، ومنه قضايا تقديم الخبر على المبتدأ، أو تقديم المفعول على الفاعل، فإن المتلقي يفهم المقصود من النص، ويتعرف على الخبر رغم تقديمه، كما يتعرف على المفعول رغم تقديمه. فالعلاقات المعنوية في النص هي التي تفرض على المتلقي فهم علاقات المفردات في تقديمها وتأخيرها، وكل ما سيأتي معنا من نماذج يتعلق بتفصيل هذه العلاقات المعنوية.

### 3- الحبكة في نطاق الجملة من خلال الدر الثمين

ويقصد به أن أجزاء الجملة الواحدة متماسكة، ومترابطة فيما بينها بغير روابط خطية، بينما تكون مربوطة بعلاقات معنوية تجعل أحد أجزاء الجملة متمماً للمعنى.

- ففي قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>1</sup> والتي سبق وأن نقلنا قول الشيخ فيها في كلامنا عن الحذف، يذكر أن الجملة متحدة معنى، وإن تعددت فيها الأخبار.<sup>1</sup>

أي أنّ الصفات المذكورة كل واحد منها خبر، والمعنى الذي تتحد فيه ما ذكره الشيخ: "هم غير قائلين للحق بسبب عما هم وصممهم.."<sup>2</sup> ويرى الطاهر بن عاشور أن الجملة فيها أخبار ثلاثة لمن علموا لدى السامع وهي عادة عند العرب إذ يحذفون المسند إليه إذا علم المذكور بوصفه.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 354

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، ص 313

ويضيف أن الأوصاف ارتبطت بما جملة "فهم لا يرجعون"، وهي تفرّيع عن الأوصاف المذكورة، إذ من اتصف بمثل هذا عدم منه الفهم والإفهام، وتعذر رجوعه إلى رشد أو صواب.<sup>1</sup>

والملاحظ أن الجملة فيها أخبار مربوطة بدون روابط نصية ظاهرة، وهي -جملة الأوصاف- مربوطة بالجملة التفرّيعية بأداة خطية هي الفاء. وقد راعى الشيخ التواتي وابن عاشور معنى الأخبار-الصفات- وكيف ارتبطت مع بعضها، وهو ما يهمننا في هذا الباب.

إنّ للعلاقات المعنوية بين أجزاء الجملة في الدراسات النصية أهمية كبيرة، لا تقل أهمية عند المفسرين، فهي الأساس في بنائها. إذ يتوخى منشئ النص تلك العلاقات النحوية التي تترتب من خلالها المعاني، بدءاً بالمنشئ وانتهاء بالمتلقي، فالمناسبة هي معاني هذه الجمل.

فمن العلاقات التي تظهر الحبكة في نطاق الجملة علاقة المناسبة أي الحال، فهي علاقة تربط بين معاني الجملة، حيث تظهر الهيئة التي يكون عليها الفاعل أو المفعول... ومنه قوله تعالى في سورة البقرة:

- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>١٦</sup>

يرى التواتي أن جملة "يسومونكم" يحتمل أن تكون جملة مستأنفة وهي حكاية حال ماضية، ويحتمل أن تكون في موضع الحال: أي سائميكم، وهي حال من آل فرعون.<sup>2</sup>

ويذكر ابن عاشور أن الجملة الحالية هنا حصل بها بيان ما وقع الإنجاء منه، وهو العذاب الشديد الذي كان يلاقيه بنو إسرائيل.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، ص 314

<sup>2</sup> ينظر بتصرف: الدر الثمين، ج1، ص 562

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 492

فالجمل الفعلية الحالية ربطت آل فرعون بهذا المعنى، كما ربطت الإنجاء الذي تنعم به الله عليهم، فكانت الجملة بهذا تحمل معنى الحال لما يفعله آل فرعون، كما تحمل أيضا حال بني إسرائيل الذي كانوا مستضعفين ومظلومين ومستعبدين، فكان خلاصهم بعد ذلك ونجاتهم، وكلها أحوال ترتبت من ارتباط الجملة بالحال الدال على ذلك.

ومن العلاقات أيضا التي تظهر الحبكة في نطاق الجملة علاقة التفسير، والتي تظهر عن طريق التمييز، منه قوله تعالى في سورة البقرة:

- ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

يرى التواتي بأن "ليلة" تمييز منصوب، ذلك أن في العدد "أربعين" إبهاما، يقتضي تفسيرها وبيانها، ليفيد أي نوع من الأنواع هو، فينصب على هذا المعنى<sup>1</sup>. ولم يفصل فيها ابن عاشور مكتفيا بالقول أن التفتراني وغيره قد فصلوا في ذلك، وذكر أن العد عند بني إسرائيل كان بالليالي، لأن حسابهم كان بالأشهر القمرية.<sup>2</sup>

ومن ذلك أيضا، العلاقة بين النعت ومنعوتها، لقوة العلاقة التي بينهما، يقول التواتي في قوله تعالى من سورة الإسراء:

- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠٠﴾﴾

بأن جملة: "هو السميع البصير" تعود على الذي أسرى بعبده، هو المنزه سبحانه وتعالى عما يقوله الكافرون، وهو السميع لما يقولون، البصير بما يفعلون ويعملون، لا يخفى عليه شيء من ذلك.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، ص 574

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 499

<sup>3</sup> ينظر: الدر الثمين، ج12، ص 158

ويرى ابن عاشور أن الجملة عائدة على النبي صلى الله عليه، وهو الأظهر عنده، وفي عودها على الله تعالى أيضا احتمال، أو عليهما وذلك احتمال مقصود. ويفيدنا في هذا الموضوع أيضا أن هناك احتمالا كون الجملة تعليل لإسناد فعل "نزيه" إلى فاعله، وإما تعليل لتعليقه بمفعوله. والتعليل على اعتبار مرجعه إلى النبي أوقع، ومعلوم أنه لا حاجة لتعليل الفعل لله تعالى فذلك أثبت، وإنما كان هنا للنبي من باب إظهار أنه تعالى تكرم عليه بالإراءة العجيبة التي أنكرها المشركون.<sup>1</sup>

فالعلاقة التي ظهرت من خلال الوصفين: السميع- البصير، بدون رابط نصي بينهما، إنما كانت باعتبار أن كلاهما وصف لمرجع الضمير "هو". واختلفوا فيه كما تقدم، وقد جعل سيبويه النعت والمنعوت كالاسم الواحد، فلا يربط بين النعت والمنعوت رابط خطي كالواو أو غيره، وهذه العلاقات يجب أن تتوفر بين أجزاء الجملة الواحدة.

ومنه أيضا علاقة الإسناد، من ذلك جمل القرائن المعنوية التي تربط بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، أو نائبه. ومنه يقول الشيخ في قوله تعالى من سورة الفاتحة:

### - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

بأن "الحمد" الأولى أن ترفع فتكون بذلك الجملة اسمية، مكونة من مبتدأ وخبر، فالمبتدأ تعلق في السياق بجار ومجرور "الحمد لله"، والخبر محذوف يقدر بفعل أو باسم، مستقر أو يستقر "الله".<sup>2</sup> ويؤكد اختياره بأن قراءة الرفع أولى من غيرها، لأن الجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية، لأنها دالة على الثبوت.<sup>3</sup>

ويثبت صاحب التحرير بأنّ الحمد مرفوع بالابتداء، وذلك في جميع القراءات، أما قوله "الله" فهو الخبر، واللام متعلق بالكون والاستقرار العام. ويذكر أن العلماء قد ذكروا أن الأصل نصب

<sup>1</sup> ينظر بتصرف: التحرير والتنوير، ج 15، ص 22

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 1، ص 169

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 170

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

الحمد، بإضمار فعله، على أنه من المصادر التي ينصبها، ومن عادة العرب العدول عن الأصل، وقد عدل إلى الرفع للدلالة على الدوام والثبات...<sup>1</sup>

فالدلالة المستفادة من الابتداء بالجملة الاسمية في مفتتح سورة الفاتحة، رتبت معنى الثبوت، والاستقرار، والدوام، والاستحقاق للحمد له تعالى، ولو كانت فعلية كما ذكر التواتي لكانت دلالتها أقل من الجملة الاسمية من حيث الثبوت المعنوي. وهذا الربط من خلال المبتدأ والخبر جعل من المفسرين ومنهم من ذكرنا يفيضون الكلام في دلالة الابتداء بالاسم المرفوع، ثم أطنبوا بما يناسب المقام في تعليل ما أثبتوه من الدلالة في الآية بشرح معنى ال التعريف التي أفادت معاني عدة.

يقول تمام حسان: "والملاحظ أن النحاة كانوا يلمحون قرينة الإسناد بين طرفي الجملة الاسمية، والفعلية، والوصفية، كما كانوا يلمحونه أيضا بين المعاني النحوية في داخل الجملة الواحدة..."<sup>2</sup>

### 4- الحبك في نطاق النص من خلال الدر الثمين:

ما دام النص مكونا من جمل تبني على الحبك، فهو أيضا يبني على الحبك بين جملة وأجزائه، ليكون مقبولا. وقد قسم الدارسون الكلام في هذه الحيشة إلى أقسام، سنعتمدها لبيان ما في النماذج المختارة من الدر الثمين من خصائص الحبك في القرآن الكريم، وهي تتمثل في:

#### 1-4 السياق:

- قال تعالى في سورة المعارج: ﴿سَأَلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ

اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝﴾

يذكر التواتي<sup>1</sup> أن المفسرين اختلفوا في هذا السائل إلى أقوال، ولترتيبها كالتالي:

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، ص 157

<sup>2</sup> اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط 3، 1998، ص 194

الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

المقصود	القائل	السائل
النظر ابن الحارث	ابن عباس	
أبو جهل	الربيع	
الحارث ابن النعمان الفهري	قيل	
قريش كلهم الذين كذبوا رسول الله	معاوية	

ثم يقول ترجيحاً لاحتمال آخر غير ما نقله آنفاً: "وهناك احتمال آخر يؤيده سياق النص القرآني، إذ يحتمل أن يكون السائل هو النبي صلى الله عليه وسلم".

ويعمل لذلك الاختيار الذي رآه مناسباً لما يقتضيه السياق، فيقول: "فإنه أحياناً كان يتمنى لو ينزل بهؤلاء المكذبين عذاب يزحزحهم عن طريق الدعوة الإسلامية، حتى يخلو لها الطريق وتصل إلى ذوي الحياة في المعمورة".

فالتواتي يستعين بدلالة السياق ليضبط المقصود بكلمة "السائل"، ولا يقف عند الجمل فحسب، بل يتجاوزها من خلال استحضار الموقف، أو ما يعرف في الدراسات اللسانية بالسياقات الخارجية، أو المصاحبة للحدث، وهو ما يقابله علم أسباب النزول عند علماء التفسير.

ويؤيد ما ذهب إليه بأن تنكير كلمة "سائل"، على هذا لتعيينه صلى الله عليه وسلم، أو لتعظيمه. ويرتب لذلك بسبب يؤكد ذلك بالسياق أيضاً، هو أن الآية: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾<sup>1</sup> إجابة من الله لسؤاله.

فيكون قوله تعالى: فاصبر ختاماً لإجابته تعالى على سؤاله صلى الله عليه وسلم لعذاب الكافرين. والمعنى ما تطلبه وتستعجله يا محمد مهيباً للكافرين، فاصبر أيها الرسول، وقد قال تعالى في

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج 19، ص 363

تحقق ذلك العذاب للكافرين: "ليس دافع"، فليس لهم ما يقيهم من ذلك العذاب المحقق الوقوع من الله. وستكون مشيئته سبحانه وتعالى في تعذيبهم نافذة.

ومجمل المعنى عنده أن العذاب الذي طلبه هؤلاء السائلون واستبطاؤه، أو طلب النبي صلى الله عليه وسلم لهم واقع لا محالة، وإن لم ينزل بهم العذاب الآن فذلك لحكمة يعلمها الله. فهو قادر على وضعهم في الدرجات التي هم أهل لها، حسب استعدادهم، وما دسوا به أنفسهم من سيء الأعمال، والخطايا التي أحاطت بهم من كل صوب.<sup>1</sup>

فيما يرى ابن عاشور أن الآية دلت على ما أشارت إليه آيات أخرى، منها قوله تعالى في سورة الملك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وكذلك قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ومجموع ما استدلل به ابن عاشور يؤكد أن الكلام لمشركي قريش، وهذا التدليل والتعزيد بمجموع الآيات يقرر أن ابن عاشور لا يرى فقط بسياقية الآية الواحدة والسورة الواحدة فقط، بل إن نظرت بتوسيع مساحة الاستدلال من سياقات أخرى تدلّ على معنى "سائل" هي تقرير بأنه يرى أن القرآن وإن تعددت سوره فهو نص واحد، يفسر بعضه بعضا، وهو-القرآن- بذلك سياق واحد محبوك. وسيأتي تناول نماذج من ذلك في هذا الفصل وما بعده أيضا.

ولا يقف عند هذا الحد، بل ذكر ما قيل، وهو بعض ما قاله التواتي. ثم أردف قائلا: ..

فأشارت الآية إلى ذلك كله، ولذلك فالمراد بـ"سائل" فريق أو شخص".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر بتصرف: الدر الثمين، التواتي، ج 19، ص 364

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 29، ص 153

## الفصل الثاني: الحبكة في الترتيب الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

إنّ تحكيم السياق لضبط المعنى المقصود، يخضع للقارئ التي تتجلى من خلاله<sup>1</sup>-السياق- إذ يعتمد المفسر عليها لاستبيان معنى اللفظ الواحد، في الجملة الواحدة، ثم اللفظ في سياق الجمل وهو أوسع من الأول، ثم السياق الأكبر-وهو ما نقترحه لوصف سياق القرآن بـكليته- من خلال استعراض مجموع الآيات الدالة على معنى اللفظ الواحد. وهذا معتمد بكثرة عند المفسرين، إذ يرجح الواحد منهم ما يراه مناسباً لأحد السياقات الثلاثة المذكورة، أو يجمع ذلك كما فعل ابن عاشور، في هذا الموضوع وفي غيره، وقد سبق في كلامنا عن السبك نماذج من ذلك.

على أن السياق العام للآيات حتمّ أوجه، فهو بذلك يشكّل مساحة للمفسرين بما تقتضيه القرائن المعنوية والمصاحبات المعجمية، والتراكيب النحوية، إضافة للوصل والفصل والتقديم والتأخير، ودلالة المعاني في بابه أوسع. لأن المعنى والقصدية بدلالته-السياق- هي ما يستجليه المفسر بمقارنته للمعنى المقصود في كل آية.<sup>2</sup>

ويمكن إدراج ما يأتي معنا ضمن إطار السياق، لما نجد في كل واحد دلالة السياق، فيمكن القول بأنها من آياته أو من وسائله:

### 1-1-4 الفصل

- يقول تعالى في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾

<sup>1</sup> ينظر في ذلك: السياق والدلالة، مسعود بودوخة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، ط1، 2012، ص

<sup>2</sup> وهذا يؤيد ما سبق ذكره في فصل السبك من أن العلاقة بين السبك والحبكة وطيدة، يعبر عنها بالتعلق الشديد.

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

يرى التواتي بأن من لطائف النظم في مفتح سورة الرحمن إخلاء الجمل الأولى عن العطف لورودها على منهاج التعديد تنبيها على تقاعده في الشكر. ويضرب لذلك مثالا: "زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعله أحد بأحد."<sup>1</sup>

في حين يرى ابن عاشور أن الجمل الأولى والتي وردت منفصلة، أي دون روابط نصية، أتت أخبارا عن الاسم المفتح به "الرحمن". فالتعديد في مقام الامتنان والتوقيف على الحقائق، والتبكيك للخصم في إنكارهم صريح بعضها. ثم أتت أربعة بعدها معطوفة ليدلهم على أن ما أنكروه بقولهم في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾<sup>2</sup> هو اسم الله، وهو المتصرف في كل هذا.<sup>2</sup>

يعني أن الفصل من أعظم الأبواب البلاغية كما ذكر ذلك الجرجاني في دلائل الإعجاز، وأن ترك العطف واستئناف جملة بعد جملة يعد من أسرار البلاغة، وأنه لا يتأتى إلا للعرب الخُص. فقد جعلوا معرفة ذلك حدا للبلاغة، وأنه لدقة مسلكه لا يتحصل لأحد إلا أحرز سائر أبواب البلاغة.<sup>3</sup>

والواضح أن التواتي وابن عاشور قد أدركا دقة ذلك المسلك، إذ رتبا الكلام عن ذلك ضمن حديثهم عن اللطائف البلاغية. فالاستئناف الوارد أثناء ترك العطف له دلالة قوية في إثبات المعاني، إذ يقتضي أن كل جملة مستأنفة تفيد تحريك السامعين لعظم الأمر المخاطب به كما قال به في الدلائل<sup>4</sup>.

فيصير ترتيب الكلام بذكر اسم الله الرحمن، فذكر تعليمه تعالى لبني البشر القرآن، وهو دستور هذا الدين الذي يثبت حجته وأحقته على سائر الأديان، فذكره بأنه هو الخالق للإنسان المتفضل

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 428

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 27، ص 231

<sup>3</sup> ينظر: دلائل الإعجاز، ص 222

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 235 وما بعدها

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

عليه، فذكر ذلك التفضيل وأوله أنه خصه بالبيان عن سائر مخلوقات. فهو الناطق الذي يستطيع الإبانة عن كل ما يريد، وما ذلك إلا من نعم الله عليه.

والملاحظ في هذه الجملة التي وردت تباعا خالية من الروابط ظاهرا، المتصلة معنى ودلالة، فيها ذكر البيان الذي امتازت به لغة العرب، وهم المتحدّون بهذا القرآن، فكان التنبيه لهم والتقريع على جملة النعم التي يعرفون بعضها، وهم أهل بلاغة وبيان. وهذا التدرج في الذكر من خلال الاستئناف أوضح الصورة أمامهم وألزمهم الحجة.

### 4-1-2 التأكيد

قد يفصل بين معنيين؛ لأن الثاني هو الأول، ولكنه جاء لتأكيد. ومن ذلك ما تناوله التواتي في تفسير قوله تعالى من سورة الفاتحة:

- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾

يرى التواتي أن لفظ "الصراط" المكرر<sup>1</sup> في الفاتحة هو بدل، وفائدته:

- الإيضاح بعد الإبهام.

- وأنه يفيد تأكيدا من حيث المعنى، إذ هو علانية تكرار العامل.<sup>2</sup>

ويفصل ابن عاشور أن البدل هنا، إنما هو لفائدتين:

- الأولى: المقصود من الطلب ابتداء هو أن المهدي إليه وسيلة للنجاة، وهو سهل وواضح.

<sup>1</sup>الملاحظ أن هذه الجزئية تتقاطع مع عنصر التكرار في الفصل الأول، لكن طبيعة الدراسة تقتضي ذكر ذلك، خصوصا أن المقصود هنا إفادة معنى التأكيد لا التكرار، وإلا فالتأكيد لا يتوقف على التكرار فقط.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج1، 217

-الثانية: ما في أسلوب الإبدال من الإجمال المعقب بالتفصيل، يقول: "ليتمكن معنى الصراط للمطلوب فضل تمكن في نفوس المؤمنين".<sup>1</sup>

ويقرر بعد ذلك أن للبدل نفس الفائدة للتوكيد المعنوي، واللفظي أيضا، فالتثنية والتكرار اللفظي أفادا مزيد بيان، وتقريراً للحقيقة المستقرة في نفوس المؤمنين.<sup>2</sup>

يلحظ في هذا النموذج ما يلي:

- تكرار اللفظ مبني ومعنى.
- تتابعه في السياق.
- الأول مجمل، والثاني مفصّل.
- الأول معرّف، والثاني نكرة من حيث الصيغة الصرفية.
- الأول ضمن الطلب "اهدنا"، والثاني ضمن التفصيل والبيان "الذين أنعمت عليهم..".

ولهذه المعاني كانت تسوية ابن عاشور للبدل والتوكيد المعنوي، إذ يحمل أيضا معنى تكرير العامل "اهدنا"، مع أنه حذف في الثاني.

ومن التأكيد أيضا ما تناوله التواتي في معرض بيان قوله تعالى من سورة البقرة:

- ﴿وَمَنْ الْتَأَسَّيْ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

يقول بأن جملة "يخادعون" في محل نصب حال من فاعل. وأنه لم يقل: "ويخادعون"، لأن هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم: آمناء، من غير أن يكونوا مؤمنين. فهو إذا كلام أكد به كلاما آخر هو في معناه، وليس شيئا سواه.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص 192

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

ويرى صاحب التحرير بأن الخداع الثاني "وما يخادعون" هو نفس الأول في المعنى "يخادعون الله"، ولما كان وزن الفعل مفاعلة، وهو محال في حق الله وفي حق المومنين، لأن المفاعلة تقتضي تشارك الفعل، وهو عن الله محال وعن المؤمنين أيضا، تطلب ذلك أن يُصرف الوجه الأول عن حقيقته، فقال بأنه من باب الاستعارة، فيما ورد الثاني على الحقيقة.

ومنه، يتضح لنا معنى قول التواتي أن يخادعون الثانية هي من باب التأكيد مما هو في معناه، أي أن الخداع الأول والثاني هو نفسه، لكن مقتضى المقام يقتضي صرف المعنى الحقيقي في الأول دون الثاني، وهذا يفيد أن الخداع الأول لا يضر المؤمنين شيئا، في حين أنه نفسه يضرهم هم، باعتبار أن اللفظ الثاني "وما يخادعون" يقع بمعنى تقرير وقوع مضرة الخداع بهم.

### 2-4 علم المناسبة:

تعيدا في هذا الباب-المناسبة عند المفسرين أو التغريض عند الغريين<sup>2</sup> - على كلام الزركشي، وجب نقل ما ذكره لما فيه من غاية الإفهام، وما له من مراعاة الحال والمقام، إذ يقول: "المناسبة علم شريف... والمناسبة المقاربة.. وفلان يناسب فلانا، أي يقرب منه ويشاكله... ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عُرض على العقول تلقته بالقبول".<sup>3</sup>

فانظر كيف ربط المناسبة بالمعقول، وهذا يفيد معنى الحبك، الذي يهتم بالروابط المعنوية أكثر من غيرها، فالمعقول هو ما تقبله العقول، وفي هذا ذكر لمعيار القبول أو المقبولية. ثم يقول:

---

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج1، ص 312، ووجب الإشارة أنّ هذا الكلام للجرجاني في الدلائل ص 228، ولم يجل إليه.

<sup>2</sup> ينظر: المقترّب اللساني النصي لدى الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير أنموذجا، أطروحة دكتوراه، قسم العربية، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر، 2020، ص 190، نقلا عن تحليل الخطاب ولسانيات النص، براوين ويول، ص 139

<sup>3</sup> ينظر بتصرف: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص 131

"وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتيمها، ومرجعها-والله أعلم-إلى معنى ذلك ما ربط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسيّ أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه. أو التلازم الخارجي، كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر.<sup>1</sup>"

إذن، فالمناسبة لها أهميتها عند علماء الإسلام وهم يتناولون القرآن تدارسا وتفسيرا، والزركشي يشير إلى أن العلم بهذه المناسبات التي ذكرها تفصيلا يظهر مدى الترابط الحاصل في القرآن بين سوره وآياته، وهو كما أشرنا في الفصل الأول عبارة عن بنية نصية كبرى، ومادامت تلك البنية لها مقوماتها البنوية، فهي أيضا لها بنيتها الدلالية، فيتحصل لنا بنيتان:

- بنية نصية كبرى: جميع القرآن من الفاتحة إلى الناس. (مستوى السبك)

- بنية دلالية كبرى: وهي ما تؤديه البنية النصية الكبرى. (مستوى الحبك)

والحاصل من كلام الزركشي أن هذه الأخيرة تحكمها أو تميزها العلاقات المعقولة، والتي يحكم عليها بالقبول. لأنّ الذهن يتلقف الصور، ويستوعب العلل والمعلولات، والأسباب التي تترتب ضمن السياقات اللغوية ولا تفهم من خلالها بل من خارجها. وهذا ينطبق على كثير من متشابه القرآن، أو ما كان على سبيل الفصل كما تقدم ذكر نماذج منه.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ الغاية من علم المناسبة "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال الأكيد البناء المحكم، المتلائم الأجزاء."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص 131

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها

ولعل عناية العلماء بهذا العلم لما ذكره المفسر الكبير فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب، بقوله: "أكثر<sup>1</sup> لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"<sup>2</sup> ولنذكر نموذجاً في الدر الثمين قبل أن الخوض في أنواع المناسبة.

يقول التواتي: "وأمر آخر هام يظهر لمن تدبر السورتين عند التلاوة، وهو أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإنّ السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفتحة الأولى للدلالة على الاتحاد، وفي السورة المستقلة عما بعدها يكون آخر السورة نفسها مناسباً لأولها."<sup>3</sup>

وهذا التنبيه منه على أهمية التناسب بين المطالع والمقاطع في السور المتحددة، هو ما أشار إليه الزركشي فيما سبق نقله عنه أنفاً. إذ الروابط بين السور كثيرة، حتى أن صاحب الدر الثمين قد خصص في كل السور كلاماً قبل الخوض في تفسير كل سورة يتعلق بالمناسبة. وهو في هذا ينحو منحى المفسرين قبله، خصوصاً ابن عاشور في التحرير والتنوير.

ثم يقول: "وأخر سورة آل عمران مناسب لأول سورة البقرة، فإنها افتتحت بذكر المتقين، وأنهم المفلحون... وختمت سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾"

وافتتحت البقرة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>4</sup>، وختمت آل عمران بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَلْشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>5</sup> فله الحمد على ما ألهم."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> لفظ مضاف على الأصل.

<sup>2</sup> الزركشي في البرهان، ص 132، التفسير الكبير، الرازي، سورة النساء، ج 10، ص 145

<sup>3</sup> الدر الثمين: ج 5، ص 14

<sup>4</sup> ينظر بتصرف: المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقلاً عن السيوطي في تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

وقد سبق غير واحد من العلماء في كتب التفسير من تطرق لهذا التناسب، الذي أشار إليه. مثل سعيد حوى، في تفسيره الذي أفاض الكلام فيه عن الوحدة القرآنية الكلية<sup>1</sup>، وهو نفس ما تقترحه هذه الدراسة من البنية النصية/ الدلالية الكبرى.

وهذا النموذج الذي في مطلع هذا المبحث يمثل حسن الاهتمام بهذا العلم الذي يشكل معيار الحبك بمتعلقاته<sup>2</sup>، إضافة لمعاري القصديّة والمقامية.

وليكن الاعتماد في تفرّعات هذه الجزئية من هذا الفصل على الترتيب التالي:

### 1-2-4 مناسبة اسم السورة لمضمونها:

ذكر الزركشي أنه يجب النظر في أسماء السور، ولما اختصت كل سورة بما سُمّيت به. وذكر أن العرب تسمي المسميات لصفة أو غرابة أو شيء تختص به.<sup>3</sup> وعلى ذلك يرى سبب التسمية للسور. وقد أفاض التواتي فيما تعلق بهذا الجانب، وقد تعدّدت النماذج في هذا الفصل نظرا لكثرتة في الدرّ الثمين:

#### - نموذج 1: سورة آل عمران

بعد أن نقل من أقوال الصحابة والتابعين، قال: "ووجه تسميتها بسورة آل عمران، أنها ذكرت فيها فضائل آل عمران، وهو عمران بن ماتان، أبو مريم. وآله هم: زوجه حنة، وأختها

القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986، ص 74

<sup>1</sup> ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط 6، 1424هـ، دار السلام، القاهرة، مصر، ج2، ص 585

<sup>2</sup> ويجدر الإشارة هنا، إلى أنّ علم المناسبة يتقاطع فيه الحبك والسبك والتناسب، وقد سبق شيء من ذلك في الفصل الأول، وسيأتي في الفصل الثالث أيضا ما يربط بذلك.

<sup>3</sup> ينظر: البرهان، الزركشي، ص 368

زوجة زكرياء النبي، وزكرياء عليه السلام كافل مريم. إذ كان أبوها عمران توفي، وتركها حاملا، فكفلها زوج خالتها"<sup>1</sup>

فتسمية السورة بسبب ذكر فضائل آل عمران، وقد تعلق ذلك بمواضع، وإلا فليست كل السورة عن فضائلهم. ولكن لما كان لهم -آل عمران- حظوة بين الناس، وأن منهم مريم البتول وابنها المسيح عليه السلام، وقد جرى من الفتنة في شأنه ما جرى، كانت هذه السورة بمثابة الحجّة أمام النصارى تفصيلا وتنبیها لما اشتملت عليه من تصحيح العقائد، ومن الرد عليهم. فكان كما سبق ذكره من قول الزركشي أن الأنسب ذكر ما كان متعلقا بصفة خاصة توجب التنبيه.

#### - نموذج 2: سورة النساء

يقول: "سميت هذه السورة في كلام السلف سورة النساء، وينسب ذلك إلى ما في صحيح البخاري (...). ووجه تسميتها بإضافة إلى النساء: أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم، ثم بأحكام كثيرة تخص النساء الأزواج، والبنات. وختمت بأحكام تخص النساء"<sup>2</sup>

والتالي للسورة يجد أن الترتيب المذكور يتناسب مع التسمية من المطلع إلى المقطع، مع ما تخللها من:

- ضبط المعاملات مع الأقرباء، وحقوقهم.
- وأحكام النكاح، والجواري، والإنفاق.
- وأحكام القتل عمدا.
- وأحكام الطهارة والصلاة.
- وأحوال اليهود، وفضح المنافقين.
- وأحكام معاملة المشركين.
- إضافة لذكر المواعظ والعبر، إلى غير ذلك.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 6، ص 5، وهو كما نص عليه ابن عاشور، ج 3، ص 143

<sup>2</sup> الدرّ الثمين، التواتي، ج 6، ص 367، وهو كما نص عليه ابن عاشور، ج 4، ص 211

- نموذج 3: سورة الأنفال

قال: "عرفت بهذا الاسم من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (...). وتسمى أيضا سورة بدر. وتعليل تسميتها بالأنفال؛ علتان:

أولاهما: أنها زيادة على ما شرع القتال لأجله، وهو إعلاء كلمة الحق، ومحق الباطل.

والثانية: هو أن هذه الأمة اختصت بإباحتها لها بعد أن كانت محرمة على الأمم السابقة (...). وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر...<sup>2</sup>

والأنفال جمع نفل، وهي الغنائم<sup>3</sup>. فالتسمية كانت بناء على ما ذكر فيها من حق في الغنائم، فقد كانت محرمة على الأمم السابقة، وأحلت لهذه الأمة. وفيها من ذكر غزوة بدر وما جرى من تثبيت للمؤمنين، باعتبارها فيصلا في تاريخ الإسلام. وهذا التناسب بين الاسم والمضمون التشريعي يدلنا على اهتمام الصحابة والعلماء بعدهم بمعنى التناسب لرابط معنوي.

ويمكن دمج نوع التناسب في سورة الأنفال مع السور التي ناسب اسمها مطلعها.

4-2-2 مناسبة اسم السورة للفظ ورد فيها:

- نموذج 1: سورة الأنعام

قال: "نزلت بمكة (...). وفي الخبر أنها نزلت جملة واحدة (...). سبب التسمية: سميت الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات"<sup>4</sup>

هو يقصد الآيات التالية:

<sup>1</sup> ينظر مفصلا في التحرير والتنوير: ج 4، ص 212 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج 10، ص 7-8 وهو ما نص عليه ابن عاشور في التحرير، ج 9، ص 245

<sup>3</sup> ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج 4، ص 114

<sup>4</sup> الدر الثمين، ج 8، ص 320، وهو كما نص عليه ابن عاشور في التحرير، ج 7، ص 121

الفصل الثاني: الحِك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

اسم السورة	الآيات الواردة فيها الاسم
الأنعام	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾
	﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾
	﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾﴾
	﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

والظاهر أن التسمية كانت لتنبية المشركين من العرب، لما كان لهم من تولع شديد بما ساقته الآيات بما يتعلق بالأنعام، فكان من المناسب أن تسمى السورة بذلك لتنبئهم على خطورة شركهم، وسوء اعتقادهم.

- نموذج 2: سورة الأعراف

قال فيها: "هذا هو الاسم الذي عرفت به هذه السورة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم (...). ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الأعراف (...). ولم يذكر في غيرها من سور القرآن، ولأنها ذكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة، ولم يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 9، ص 207، وهو كما نص عليه ابن عاشور في التحرير، ج 8، ص 5

فالسبب في التسمية هو ورود اللفظ الذي لم يذكر إلا فيها، في الآية: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ومعناه أعالي السور المضروب بين الجنة والنار<sup>1</sup>. أي هو تنبيه بتفصيل الصورة وإجلائها، فيما تعلق بأحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة، ولما كان اللفظ واحدا فيها فقط، كان أدعى أن تعرف به.

### - نموذج 3: سورة الرعد

يقول: " هكذا سميت من عهد السلف وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لم يختلف في اسمها. وإنما سميت بإضافتها إلى الرعد، لورود ذكر الرعد فيها.. فسميت بالرعد لأن الرعد لم يذكر في سورة مثل هذه السورة"<sup>2</sup>

نستنتج أن السبب في تسميتها حسب ما ذكره الشيخ:

- لم يختلف في تسميتها.

- وردت من عهد النبي، فالتسمية توقيفية.

- ورود ذكر الرعد فيها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ

وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

والرعد ظاهرة طبيعية، لها في النفوس أثر بالغ. والظاهر أنها سميت بذلك لتعريف العرب أن ما تهابونه وتخشونه من ظواهر هذا الكون، إنما هو من صنع الله وتدبيره، وأنه لا يخرج عن تصريفه، وقدرته، وإرادته. ولعل هذا المعنى يتناسب مع ما ذكره المفسرون من الإخبار في ذكر سبب التسمية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج 4، ص 902

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج 11، ص 311، وهو كما نص عليه في التحرير، ج 13، ص 75

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 13، ص 76

3--4 مناسبة أسماء السورة الواحدة لما ذكر في سياقاتها:

يوجد الكثير من السور التي تعددت أسماؤها، وقد نقل ذلك المفسرون، ونخص منهم الشيخ التواتي، وفي هذه الجزئية سنكتفي بنموذج واحد، هو كالتالي:

- سورة التوبة

قال: "سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كلام السلف سورة "براءة". (...). وتسمى سورة "التوبة" في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة. عن ابن عباس سورة التوبة هي الفاضحة، ولهذه السورة أسماء أخر بعد ذلك وقعت في كلام الصحابة...<sup>1</sup>"

وذكر أسماءها الواردة في الروايات والأخبار<sup>2</sup>، وهي على النحو التالي:

وجه التناسب	أسمائها
ذكر فيها قصة توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك	التوبة
تفضح المنافقين ومكرهم وسوء اعتقادهم	الفاضحة
لأنها بدأت بها	براءة
تبرئ من النفاق	المقشقة
بعثرت عن أسرار المنافقين، أي أخرجتها من مكانها	المبعثرة
لذكر قوله تعالى في الأنفال: ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَّنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ <sup>٥٧</sup> وهو يتوافق مع سبب التسمية بسورة العذاب من حيث المعنى	المشردة
لذكر قوله تعالى فيها: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ <sup>٥٨</sup>	المخزية

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 10، ص 135

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 135 وما بعدها، وهو ما نص عليه ابن عاشور في التحرير ج 10، ص 95 وما بعدها، أيضا الأساس لسعيد حوى، ج 4، ص 213 وما بعدها.

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

أثارت عورات المنافقين وأظهرتها	المثيرة
كأنها حفرت عن قلوب المنافقين فكشفت ما فيها	الحافرة
نكّلت بالمنافقين ومن والاهم بذكر ما يستحقون	المنكّلة
سبب هلاك المشركين والمنافقين	المدمّمة
نقرت عما في قلوب المشركين	المنقرّة
كشفت عن المنافقين بذكر أوصافهم	البّحوث - البّاحة
شدّدت على الكافرين والمنافقين	المشدّدة
نزلت بعذاب الكفار(عذاب القتل والأخذ حين يثقفون)	سورة العذاب

إن التعدد في التسمية سببه الذي يراه المفسرون، وهو عين ما نقله الشيخ في الدر الثمين من أن النبي صلى عليه وسلم قبض قبل تسميتها<sup>1</sup>، حتى أن الاختلاف وقع في كونها والأنفال سورة واحدة. وقد اعتمدوا في ذلك التعليل-السلف والعلماء-أن السورتين تناولتا نفس الموضوع (وهو إشارة إلى إدراكهم لمعنى الحبك في صورة الوحدة الموضوعية والدلالية للسورة). فالسورتان تناولتا القتال، والعهود، ونقضها، وقد وردتا في ترتيب المصحف متتابعتين، ولأن شدة التماسك التي بينهما من حيث الموضوع ومن حيث عدم ورود البسملة في براءة، جعل الكثيرين يجعلونهما سورة واحدة.<sup>2</sup>

قال التواتي: "وكانت تدعيان القرينتين، فوجب أن تجمعهما وتضم إحداهما إلى الأخرى للووصف الذي لزمهما من الاقتران ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي"<sup>3</sup>

يشير إلى تناسب سورتين باعتبار الاقتران المعنوي والتناسب الذي بينهما، كما أشرنا في التحليل سابقاً.

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 10، ص 138

<sup>2</sup> ينظر في ذلك: المرجع نفسه، الصفحة نفسها، وهو كما نص عليه في التحرير، ج 10، ص 101، والأساس

في التفسير، ج 4، ص 213

<sup>3</sup> الدر الثمين، ج 10، ص 139

4--4 مناسبة اسم السورة وحدث/قصة مذكورة فيها:

- نموذج 1: سورة المائدة

يقول: "هذه السورة سميت في كتب التفسير وكتب السنة بسورة المائدة، لأن فيها قصة المائدة التي سألتها الحواريون من عيسى عليه السلام وقد اختصت بذكرها"<sup>1</sup>

أي أن سبب التسمية هو للقصة الواقعة في أواخرها، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ أَتَقُونِ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾

وقد ورد لفظ المائدة مرتين في سياق القصة، على سبيل الاستفهام في الأولى، وعلى سبيل الدعاء في الثانية:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ أَتَقُونِ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾	سؤال بني إسرائيل
﴿قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۗ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾	دعاء عيسى عليه السلام

وفيه من إظهار طباع بني إسرائيل ما فيه، من جراتهم، وتعديهم على أنبيائهم، وسوء أدبهم مع الله، ومع عيسى عليه السلام، وكيف أنهم طالبوه بأن يدعو ربه لينزل عليهم مائدة يأكلون منها.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج 7، ص 459، وهو كما نص عليه ابن عاشور، ج 6، ص 69

ومع ذلك كفروا واستبدّوا وادّعوا في عيسى الألوهية. فكانت التسمية تلويحا لقصة إشراكهم، وكفرهم، وقبيح اعتقادهم، فتم بذلك عليهم إقامة الحجّة

## - نموذج 2: سورة يونس

قال: "سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة سورة "يونس" لأنها انفردت بذكر

الخصوصية لقوم يونس أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب، فعفا الله عنهم لما آمنوا.<sup>1</sup>

والقصد بالخصوصية فيما ذكره، أن الأمم السابقة كانت إذا كذبت رسلها وتوعدتهم رسلهم بالعذاب، وقع بهم ما أُنذروا به. بيد أن قوم يونس -عليه السلام- اختصوا بعدم وقوع العذاب، رغم أنهم قد أُنذروا. فكان وجه التسمية -كما يقول المفسرون- متعلقا بهذا. والعلة فيه لخصوصية كرامة سيدنا يونس عليه السلام، ويشير المفسرون أنه ليس فيها ذكر ليونس غير ذلك.

علما أنه قد ذكر في سورة الصفات بأوسع مما في هذه السورة، ولكن وجه التسمية لا يوجبها كما ذكره التواتي<sup>2</sup>. والأظهر عند ابن عاشور أنها أضيفت إلى يونس تمييزا لها عن أخواتها الأربع -وهي سورة هود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر- المفتحة ب: ﴿الرَّ﴾، ولذلك أضيفت كل واحدة منها إلى نبي، أو قوم نبي، عوضا عن أن يقال أمر الأولى وأمر الثانية.<sup>3</sup>

وأثناء قراءة السورة نقف عند الآية التي فيها ذكر ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

<sup>1</sup> الدر الثمين، التواتي، ج 7، ص 339، وهو كما نص عليه في التحرير، ج 11، ص 77

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج 7، ص 339، التحرير والتنوير، ج 11، ص 77

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 11، ص 77

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

والملاحظ في اختيار المفسرين لمصطلح "وجه التسمية"، أنهم يحاولون إظهار الروابط المعنوية العامة التي تتعلق اسم السورة بما يتفق مع محاور السورة، أو موضوعها العام. وفي سورة يونس، مع أنه ذكر في الآية التي سقناها-آنفا- إلا أن فيها تنبيها للسامعين لشرف الخصوصية التي كانت لقوم يونس بسبب يونس عليه السلام. وكأنه يشير إلى وجوب اتباع النبي صلى عليه وسلم، الذي هو أمانة لأصحابه ورحمة لهم وللناس أجمعين. ولم ينزل بهم العذاب، كما لم يتوعدهم هو صلى عليه وسلم كما توعد يونس قومه بالعذاب. والله أعلم

### 5--4 المناسبات بين اسم السورة والسورة كلها:

وسنكتفي بنموذجين:

#### - نموذج 1: سورة يوسف

يقول: "ووجه تسميتها ظاهر، لأنها قصت قصة يوسف عليه السلام كلها. ولم تذكر قصته في غيره، ولم يذكر اسمه في غيرها، إلا في سورة الأنعام وغافر (...). وجاءت هذه القصة مطولة، مستوفاة، فلذلك لم يتكرر في القرآن إلا ما أخبر به مؤمن آل فرعون في سورة غافر"<sup>1</sup>

يعني أن الاسم طابق مضمون السورة كلها، من أولها لآخرها. وقد ذكر فيها اسم يوسف 25 مرة، وفي غيرها مرتين. والمقصود في قوله تعالى:

- في سورة الأنعام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾﴾
- وفي سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلَّمْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٦٧﴾﴾

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 11، ص 179-180، وهو ما نص عليه في التحرير، ج 12، ص 197

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

ويرى المفسرون<sup>1</sup> أنّ السورة استوفت جميع القصة، وأنه لم يتكرر ذكرها. وهذا كفيلاً بالقول أنهم أدركوا قيمة الترابط فيما سميناه بالوحدة النصية/ الدلالية الكبرى في القرآن الكريم. إذ إن القرآن إذا ذكر شيئاً واستوفاه حقه من الذكر لم يكرره. أما ما ورد مكرراً، فله حكمة، وقصدية بالغة، تتجلى من خلال استعراض مجموع الترابطات النصية والمعنوية.

وقد كانت أغراض السورة كما تناقلها المفسرون، ونقل ذلك عنهم التواتي<sup>2</sup>، على النحو التالي:

- قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وجوانب من حياته وما فيها من العبر.
- إثبات أصول المرثي، وما فيها من الإنباء بأمر معيّب.
- علم تعبير الرؤيا الذي يهبه لمن يشاء من عباده.
- تحاسد القرابة.
- لطف الله لمن يصطفيه من عباده.
- العبرة بحسب العواقب، والوفاء، والصدق، والأمانة، والتوبة.
- سكنى يعقوب وبنيه بمصر.
- تسلية النبي صلى عليه وسلم بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من قرابتهما.
- العبرة بصبر يعقوب عليه السلام.
- وفيها من تاريخ الأمم السابقة، وأحوالها، وأنظمتها، واسترقاق العبيد، وتجارتها...
- إضافة إلى أسلوب القصة الفريد الذي تفردت به، إيجازاً في مواضع، وإطناباً في مواضع أخرى.
- نموذج 2: سورة الفتح

يقول: "سميت في كلام الصحابة سورة الفتح (...). ولا يعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية أنها تضمنت حكاية فتح مُتَّجِهَ اللهُ للنبيّ صلى اللهُ عليه وسلم".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 11، ص 179-180، وهو ما نص عليه في التحرير، ج 12، ص 197

<sup>2</sup> ينظر: المراجع نفسها، الصفحات نفسها.

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

أي أنّ التسمية واحدة، وهي مطابقة للمضمون، فقد حكت أخبار الصلح وما تعلق به، والقتال وفتح مكة. فكانت أغراضها على النحو التالي:

- بشارة المؤمنين بصلح الحديبية، وفتح الله.
- جهاد المومنين، وبيعة الرضوان التي باركها الله.
- تحلف الأعراب والمنافقين عن القتال، وحججهم الواهية، ففضحتهم.
- رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم بدخول مكة آمنين، وتحققها.<sup>2</sup>

الملاحظ أن معنى الفتح مترتب على جميع أغراض السورة، إذ معناه التيسير والتمكين والتوفيق، وهو من معاني المعية الإلهية، التي حصل بها كل هذا.

### 4--6 ارتباط السورة بما قبلها:

- نموذج 1: ارتباط سورة آل عمران بالبقرة

ولطول ما ذكره التواتي نقلا عن الطاهر بن عاشور والسيوطي<sup>3</sup>، يمكن إجماله بطريقة العرض في جدول:

ما ورد مجملا من سورة البقرة	ما فصل من سورة آل عمران
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 2]	﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران: 3]
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: 4]	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 18، ص 59، وهو كما نص عليه ابن عاشور في التحرير، ج 26، ص 141

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 71، أيضا في التحرير والتنوير، ج 26، ص 142، وما بعدها.

<sup>3</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 5، ص 9 وما بعدها. التحرير، ج 3، ص 145 وما بعدها. تناسق الدرر في تناسب

السور، جلال الدين السيوطي، ص 70 وما بعدها

الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

<p>وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: 7]</p>	
<p>﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: 26]</p>	<p>﴿... وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: 247]</p>
<p>-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: 130]</p>	<p>-﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۖ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: 275]</p> <p>-﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: 276]</p> <p>-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: 278]</p>
<p>﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: 97]</p>	<p>﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ... ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: 196]</p>
<p>﴿... لَيْسُوا سَوَاءً ۚ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: 113]</p>	<p>﴿... ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: 83]</p>
<p>﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: 110]</p>	<p>-﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: 139]</p> <p>-﴿وكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴿١٤٢﴾﴾</p>

الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

[البقرة: 143]	
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188]	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 77]

هذه المواضع غالبها ورد مجملا في البقرة وفُصّل في آل عمران، وقد كانت تلك الموضوعات كالتالي:

- ذكر الكتاب في البقرة، وتفصيل أنه القرآن، وقبله التوراة والإنجيل في آل عمران.
- ذكر الكتاب بتعبير الإنزال في البقرة، والتصريح به وبما قبله، وأن فيه المحكم والمتشابه في آل عمران.
- ذكر الملك إجمالا في البقرة، وتفصيله أنه من الله تصريفاً وحكما في آل عمران.
- ذكر حرمة الربا من حيث اللفظ إجازا، وحلية البيع في البقرة، والنهي عن الربا بمزيد بيان "أضعافا مضاعفة" تحريما في آل عمران.
- ذكر الحج والعمرة إجمالا في البقرة، وتفصيل حكمه في آل عمران.
- ذكر أهل الكتاب القليل في البقرة، وتفصيل حكم البقية منهم في آل عمران وأنهم ليسوا سواء.
- ذكر تفضيل هذه الأمة على اليهود تعريضا في البقرة، وذكرها تصريحاً في آل عمران.
- ذكر النهي عن أكل أموال الناس بالباطل في البقرة، وذكر الوعيد المترتب على ذلك الفعل في آل عمران.

وما سيأتي ما تناسب بين السورتين في المفتتح وقبل الخواتيم<sup>1</sup>:

مطلع البقرة	مقطع آل عمران
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُؤْتُونَ﴾	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]

<sup>1</sup> ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، ص 74

الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

	<p>يُنْفِقُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ          مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ عَلَى          هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ [البقرة:          5-2]</p>
--	---

وما الفلاح إلا اتباع للصرط المستقيم، الذي يقتضي اجتناب النواهي، وامتنال الأوامر. والإيمان بالغيب جملة وتفصيلا، وهذا في آيات البقرة، وقد ناسبها ذكر إيقاع ذلك عملا وسلوكا في مقطع آل عمران. إذ الصبر، والمصابرة، والرباط، والتقوى تترتب على الإيمان بما أنزل الله. ومن محاسن ربط المقاطع بالمطالع، ما ورد في مطلع البقرة بالإنزال عموما، وفصل فيه في مقطع آل عمران، بأنه الكتاب الذي قبل القرآن، إشارة للتوراة والإنجيل. وهو كالتالي:

في مطلع البقرة	في مقطع آل عمران
<p>﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ          وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: 4]</p>	<p>﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ          إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ          بِعَآيَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ          إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: 199]</p>

فالآية من سورة البقرة وردت على سبيل الإجمال، وفصلت في سورة آل عمران، وهذا من أوثق وجوه الترابط بين السورتين. وقد سبق الإشارة للمقصد من "الذين يؤمنون بما أنزل إليك.."، في الفصل الأول.<sup>1</sup>

ومن الترابط تكرار الآية:

في سورة البقرة	في سورة آل عمران
<p>﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ          وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ          مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ          بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: 136]</p>	<p>﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ          إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا          أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ          أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 84]</p>

<sup>1</sup> وذلك في الحديث عن التكرار، في جزئية المصاحبة المعجمية.

ومن أوجه الترابط بين السورتين، ما ترتب من أغراضهما، مع وجود الإجمال والتفصيل كما ذكرنا:

- ذكر الكتاب، وما أنزل قبله.
- ذكر قصة خلق آدم، وخلق عيسى عليهما السلام.
- ذكر المومنين من أهل الكتاب، وذم الكفار والمنافقين.
- تقرير الإلهيات والرد على النصارى واليهود.
- ذكر أخبار الأمم السابقة، والأنبياء والرسل، وتجلية أحوال بني إسرائيل مع أنبيائهم، وذكر سوء أدبهم.
- ذكر الأحكام الشرعية، كالبيع والربا، والقصاص، والمكاتبه..
- ذكر الجهاد، وأحكامه، والشهادة في سبيل الله..

وهذه بعض مما لاحظناه من نقاط الترابط بين أغراض وموضوعات السورتين، بناء على ما تقدم في الجداول أعلاه، "فكانت السورة بمنزلة سورة واحدة، وبذلك يعرف أن تقديم آل عمران على النساء أنسب من تقديم النساء عليها".<sup>1</sup>

#### - نموذج 2: ارتباط سورة النساء بما قبلها من السور

وفي هذا النموذج نلاحظ ترابطا أكبر من النماذج السابقة، باعتبار أن هذه السورة من الطوال، وأنها ارتبطت بأكبر سورتين قبلها، إضافة لفاتحة الكتاب.

وإيجازا لذكر أوجه الترابط بينها وبين ما قبلها<sup>2</sup>، سنعتمد على الجداول تسهيلا لبيان المقصود:

---

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 5، ص 13، وهو كما نص عليه السيوطي في تناسق الدرر، ص 74

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 6، ص 370 وما بعدها، أيضا تناسق الدرر، ص 75 وما بعدها. والأظهر أن التواتي وابن عاشور قد نقلوا عنه-السيوطي- ما تعلق بهذا الجانب.

أولاً: تعالقتها مع سورة الفاتحة:

في سورة الفاتحة	في سورة النساء
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]

فتعالق آية الفاتحة مع آية النساء باعتبار أن الأولى وردت مجملة، ولم تبين من هم المنعم عليهم، فكانت الثانية مفصلة في شأنهم، وهم: النبيون، الصديقون، الشهداء، والصالحون.

ثانياً: تعالقتها مع سورة البقرة

ولنكتف بنماذج منها لطولها:

من سورة البقرة	من سورة النساء
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [النساء: 1]
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35]	﴿... وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾ [النساء: 1]
﴿... وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ...﴾ [البقرة: 233]	﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرٌ نَّصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: 7]
	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا يُؤْتِيهِ لِكُلِّ

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَمْ  
يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثَّلَاثُ فَإِنْ كَانَ  
لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوْصَى بِهَا أَوْ  
دَيْنٍ ؕ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ  
لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا  
حَكِيمًا ﴿١١﴾ [النساء: 11]

- ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ  
يَكُنْ لَّهُنَّ وَوَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَّهُنَّ وَوَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا  
تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ  
مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَوَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ  
وَوَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوْصُونَ  
بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَاللَّيْلِ أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ  
أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا  
أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ  
يُوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [النساء: 12]

- ﴿١٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ  
وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنْ أَلَّهَ  
كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ [النساء: 33]  
- ﴿٣٣﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ  
أَمْرٌ أَوْ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَوَلَدٌ وَوَلَدٌ أَوْ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا  
تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَوَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أُنثَىٰ  
فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً  
فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا  
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ [النساء: 176]

﴿١٧٦﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ  
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ  
فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ

﴿١٧٦﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا مَؤْمِنَةً  
خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا  
الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ

<p>بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَثُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ [النساء: 25]</p>	<p>وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [البقرة: 221]</p>
<p>﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ [النساء: 34-35]</p>	<p>﴿... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾ [البقرة: 229]</p>

إنّ الآيات التي تترابط مع بعضها من السورتين مع أنّهما متباعدتان تشكّل حبكاً شديداً، وترابطاً نفيساً، فالموضوعات التي تناسبت في سياقاتها الداخلية-باعتبار السورة الواحدة-، سبكا وحبكاً، تناسبت في سياقات أوسع-باعتبار السور-. وهذا يذكرنا بما نقل عن العز بن عبد السلام، لما تكلمنا عن أهمية الحبك. وكانت المواضع التي اخترناها كالتالي:

- ذكر الخلق إجمالاً في البقرة، وتفصيل ذلك أنه من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام في النساء.
- ذكر المتقين في البقرة، وتفصيل معنى التقوى لله في النساء.
- ذكر آدم وزوجه في البقرة، وتفصيل أن خلقها منه في النساء.
- ذكر الميراث إجمالاً في البقرة، وتفصيل أحكامه في النساء.
- ذكر النكاح إجمالاً في البقرة، وتفصيل أحكامه في النساء.

- ذكر الخلع إجمالاً في البقرة، وتفصيل ما فيه من أسباب في النساء.

ثالثاً: تعالقتها مع آل عمران

ولنكتف بنماذج، لأنها كثيرة:

سورة النساء	سورة آل عمران
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 104]	﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172]
﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162]	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

تتجلى في هذه الترابطات مزايا عديدة:

- أكمل أوجه الاحتباك كما سماه المفسرون.
- أوجه من الإجمال والتفصيل في مواضع متباعدة، نزولا وترتيا.
- ترابط لفظي، ومعنوي.
- استمرارية وتلوين للخطاب.
- الإحالة النصية والمفهومية...

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

ولعلّ هذه الجزئية تحتاج بحثاً مستقلاً للوقوف على أهم سمات الخطاب في السور الثلاث (البقرة-آل عمران- والنساء)، والكشف عن مستويات الدلالة في أوجه التناسب بينها، باعتبار تعدد الموضوعات، وتنوع أسباب النزول، ولا بدّ من إحصاء أوجه التقابل والفروق اللغوية والقرائن المعنوية التي شكلت البنية الدلالية الكبرى بين السور الثلاث.

### - نموذج 3: ارتباط سورة النحل بالحجر

سورة النحل	سورة الحجر
﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [النحل: 1]	﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 99]

ويعتمد التواتي<sup>1</sup> في بيان التناسب بين مقطع الحجر ومطلع النحل، ما نقله عن السيوطي من أن الفعل "أتى" ورد مضارعاً في الحجر، وفي النحل ورد ماضياً، للدلالة على أن آخر الحجر كان القصد منها الموت وحلول المنية. أما في النحل فيتعلق بقيام الساعة.

يمكن-مما سبق-استنتاج أن الفعل الثاني "أتى" في سورة النحل، إنما ورد كذلك باعتبار أنه لا زمن بالنسبة لله، وعليه عبر عنه بزمن الانقضاء، فهو كذلك تقديراً وتصريفاً وحكماً منه سبحانه وتعالى، أما آخر الحجر فلأنه خطاب للنبي، وهو يجري عليه الزمن، فخاطبه بما سيأتيه مستقبلاً من وقوع المنية به.

### - نموذج 4: ارتباط سورة النجم بالطور

من سورة النجم	من سورة الطور
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ [النجم: 1]	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَادْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور: 49]
﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿١﴾ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: 21]

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 12، ص 8، أيضاً تناسق الدرر للسيوطي، ص 97

الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

﴿تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: 32]	
﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 39]	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21]

يلاحظ من خلال نقل التواتي<sup>1</sup> عن السيوطي:

- أنها شديدة المناسبة لسورة الطور، فإن الطور ختمت بذكر النجوم، وافتتحت النجم بذكر النجم.
- أن سورة الطور ذكر فيها ذرية المؤمنين، وأنهم تبع لآبائهم، وفي سورة النجم ذكر ذرية اليهود.
- في سورة الطور في حديث عن المؤمنين، ذكر ما يقابله في سورة النجم من صفة الكفار.
- نموذج 5: ارتباط سورة القمر بسورة النجم

في سورة القمر	في سورة النجم
﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَذْهَقَ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]	﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ [النجم: 57]

وقد اكتفى فيها التواتي<sup>2</sup> بذكر هذا التناسب فقط، المتعلق بذكر القيامة، والإعلان عن قرب قيامها، والإنباء بعظمتها، وذكر آيات ذلك كانشقاق القمر.

وقد أضاف السيوطي أن فيها تفصيلا لذكر الأقسام الذين أهلكهم، وقد سبق ذكرهم في

النجم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 302، أيضا تناسق الدرر، ص 119

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ص 359، أيضا تناسق الدرر، ص 120

<sup>3</sup> ينظر: تناسق الدرر، السيوطي، ص 120

يقول التواتي: "وبهذا تلاقي ختام "ق" وبدء القمر، على موضوع واحد، هو وقوع يوم القيامة، واقتراب هذا الوقوع، وأن ختام سورة ق يقرر هذه الحقيقة، وبدء سورة القمر يؤكدها، ويطلع بالارهاصات التي تقوم بين يديها."<sup>1</sup>

- نموذج 6: ارتباط التغابن بالمنافقون

في سورة التغابن	في سورة المنافقون
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16]	﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 10]
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15]	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9]

كل ما أورده الشيخ<sup>2</sup> فيما تعلق بالمناسبة نقلا عن السيوطي<sup>3</sup>، يظهر مدى الترابط والاحتباك بين السور، في مجموعها، وفي آياتها. وقد ترتب على ما لخصناه من كلامه ما يأتي من نقاط:

- ذكر الإنفاق في سورة المنافقون، وعقبه بالسورة كلها-التغابن-، مما ينقل أنها سميت كذلك، للمعنى التالي: أن الإنسان يجمع المال ولا يعمل به خيرا في دنياه، حتى إذا مات انتفع به

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 18، ص 359، ينظر أيضا: سعيد حوى في الأساس، ج 10، ص 597

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 19، ص 188-189

<sup>3</sup> ينظر: تناسق الدرر، ص 125-126

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

وارثوه، فيعملون به خيرا وهم لم يتعبوا في تحصيله، فيفوزون في القيامة بذلك الإنفاق، بينما يشقى هو، ويحاسب على ما جمع، فيكون ذلك هو التغابن.

- لاحظنا أن السيوطي قد برهن على توافق معنى سورة التغابن إجمالا- بالآية 10 من المنافقون- بالآية التي في التغابن رقم 16، ولعل ذلك من باب تنبهه لمحور السورة، الذي بنيت عليه سياقاتها. أي أن الآية 16 من سورة التغابن هي محور السورة لما تتضمنه من معناها "التغابن"، والذي تتضمنه الآية 10 من سورة المنافقون.

- ذكر النهي عن الاشتغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله في سورة المنافقون، وعلل ذلك في التغابن بأنهم فتنة.

- ويضيف السيوطي ما نقله بغير عزو أن ترتيب سورة التغابن هو الثالث والستون في ترتيب السور وهو العمر الذي توفي فيه النبي صلى عليه وسلم، فهو بذلك معنى التغابن. ويربط هذا المعنى بتناسب في سورة المنافقون، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون: 11]

- نموذج 7: ارتباط سورة الطلاق بالتغابن

وهو آخر نموذج نختتم به هذه الجزئية من البحث، وقد تناولناه بناء على الكشف عن الترابطات بالسور المتتابعة سباقا ولحاقا.

في سورة الطلاق	في سورة التغابن
كل السورة	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ [التغابن: 14]

## الفصل الثاني: الحبك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

ولم يخرج<sup>1</sup> في هذا أيضا عما أورده السيوطي في تناسق الدرر، إذ يرى السيوطي<sup>2</sup> أنّ الآية 14 من التغابن ذكرت عداوة الأزواج والأولاد، والطلاق بما فيها جاءت مبينة لذلك ولسببه.

فالطلاق سبب وجيه في نفور الوالد عن أولاده ونفقتهم، وذلك لما في الطلاق من ترتيب دواعي القسوة والجفاء. فلذلك جاءت سورة الطلاق مبينة لأحكام الإنفاق بعد الطلاق على المطلقات والأولاد.

### 7--4 ارتباط السورة بما بعدها:

#### - نموذج: ارتباط سورة الرحمن بما بعدها

ولِيُكْتَفَى بنموذج واحد، وهو ارتباط سورة الرحمن بما بعدها، وهي سورة الواقعة. علما أن السيوطي قد ذكر<sup>3</sup> في سورة الواقعة ما ذكره التواتي<sup>4</sup> في سورة الرحمن ومناسبتها لما بعدها، وعنون بذلك. وقد وصف السيوطي ووافقه نقلا التواتي أن سورة الرحمن متآخية مع سورة الواقعة. لاتفاقهما في الترابط الآتي:

في القمر الترتيب على النحو التالي:	في الرحمن كان الترتيب على النحو التالي:
- ذكر القيامة	- القرآن
- صفة الجنة	- خلق الإنسان
- صفة النار	- الشمس والقمر
- خلق الإنسان	- النبات
- النبات	- السماء
- الماء	- خلق الجان

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 19، ص 212.

<sup>2</sup> ينظر: تناسق الدرر، ص 126

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 121

<sup>4</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 418 - 419

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

- صفة القيامة	- النار
- صفة النار	- النجوم
- صفة الجنة	- القرآن

الملاحظ أن تقابل السورتين على جهة التعاكس في الذكر، هو كما وصفه السيوطي: "كردّ العجز على الصّدر"<sup>1</sup>، وهو من التناسب اللفظي والمعنوي بين السورتين.

### 8--4 المناسبة بين اسم السورة والسورة عبر المطالع

وقد اعتنى التواتي في نقل ما أورده المفسرون<sup>2</sup> بهذا الخصوص، باعتبارها مجموعة من السور، وقد ذكر في تفسير سورة ق: طه- ص- ق- يس. والمعلوم أنها أكثر من ذلك، فإذا رجعنا إلى المصحف وجدناها كالتالي:

"الأنفال- التوبة- الإسراء- طه- المؤمنون- الفرقان- الروم- فاطر- يس- الصافات- ص- الفتح- ق- الذاريات- الطور- النجم- القمر- الرحمن- الواقعة- المجادلة- المنافقون- الطلاق- التحريم- الملك- القلم- الحاقة- المعارج- نوح- الجن- المزمل- المدثر- القيامة- الإنسان- المرسلات- النبأ- النازعات- عبس- التكويد- الانفطار- المطففين- الانشقاق- البروج- الطارق- الأعلى- الغاشية- الفجر- البلد- الشمس- الليل- الضحى- الشرح- التين- القدر- البينة- الزلزلة- العاديات- القارعة- التكاثر- العصر- الهمزة- الفيل- الكوثر- الكافرون- النصر- الفلق- والناس."

<sup>1</sup> تناسق الدرر، السيوطي، ص 121

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 171.

## الفصل الثاني: الحبك في التّر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

هذه السور كلها سميت بما ورد في مطالعها، ما عدا سورة التوبة لتعدد أسمائها كما سبق. مع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك ما ورد بصيغة صرفية في مطلع السورة وسميت السورة بغير تلك الصيغة. فتكون في دائرة مشتقاتها، مثل: الشرح، فإنها وردت بصيغة الفعل نشرح.

وتجدر الإشارة لما ذكره التواتي من أن التسمية بالأحرف المقطعة للدلالة وجود أكثر تلك الحروف في السورة.<sup>1</sup> أي أن تركيب الكلمات من تلك الحروف. هذا فيما يتعلق بالحروف الواردة في الملطع والمسماة بها السور.

أما بقية السور التي أشرنا إليها، والتي ليست حروفا. فإنّ السبب في ذلك هو نفسه ما سبق سوجه سابقا من قول الزركشي<sup>2</sup>، بأن العرب من عاداتها تسمية القصيدة أو الخطبة أو الأشياء بالصفة النادرة المختصة بها. وذلك يجري على ما يُفتتح به أيضا كأول كلمة.

بناء على ما سبق ذكره في الجزئيات السابقة من التناسب يمكن القول هنا: أن التناسب دليل قوي عند المفسرين على شدة الحبك الذي بين السور عموما، وبين أسمائها وما ورد فيها، من متعلقات سبب التسمية، الذي يشيرون إليه بقولهم: **وجه التسمية**. وقد مر معنا جملة من ذلك من نقولات التواتي عن ابن عاشور والسيوطي والزركشي.

### 9--4 مناسبة أول السورة لآخرها

وهو نوع من أنواع الارتباط في علم المناسبة عند المفسرين، وسنكتفي بنموذجين فقط:

#### - نموذج 1: في سورة ق

يرى التواتي<sup>1</sup> أن افتتاح السورة كان بذكر بتمجيد القرآن، وختمت بالتذكير بالقرآن، الذي هو أحسن ذكر.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها. أيضا البرهان للزركشي، ص 369.

<sup>2</sup> ينظر: البرهان، الزركشي، ص 368

مقطع السورة	مطلع السورة
﴿تَمَحَّنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۝ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ۝﴾ [ق: 45]	﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝﴾ [ق: 1]

- نموذج 2: سورة الذاريات

يرى التواتي أنه إذا ربطنا البداية بالخاتمة أي قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوَاهِ﴾ في افتتاح السورة، بقوله في آخرها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ تجلّى لنا الغرض الأسمى منها، فقد ربطت العالم البشري بالسماء. وعلقته بغيب الله المكنون، وحررته من حبال الأرض، ومن كل عائق يحول بينه وبين التجرد لعبادة الله، والانطلاق إليه بكلية ليفر إليه:

﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

فالفرار يقتضي التجرد الكلي والتحرر من كل شيء، تسبيحا لله تعالى في الكون، لتحقيق الوظيفة السامية التي من أجلها خلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>2</sup> فالذاريات: الرياح، وهي من جملة المسخّرات لخدمة الإنسان، ولها من الفوائد ما فيها، كتحريرك السحب، والمراكب في البحر، وغيرها.<sup>3</sup> فالله تعالى خلق الإنسان وسخر له ما في الكون، لتحقيق ما يحتاجه للقيام بما كلف به على الوجه الأكمل.

فالغاية من خلق الإنسان، والجن، تظهر لما يدرك أن كل ما في السماء والأرض مسخر له. حينها يعرف نفسه، ومن أدرك ذلك تحقق من معرفة الله تعالى، وعبدته، ووحدته، وأخلص له.

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 173

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 18، ص 215

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 215-216

يقول التواتي نقلا عن بديع الزمان: "سر النظم في سورة الفاتحة أن نظم درر القرآن ليس بخيط واحد، بل النظم-في كثير نقوش- تحصل من نسج خيوط نِسَبٍ متفاوتة، قريبا، وبعدا، ظهورا، وخفاء. لأنّ أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش.."<sup>1</sup>

يتجلى من اختيار الشيخ لكلام بديع الزمان في هذا الموضوع، لما وجدته فيه من دقة عبارة، تعبر عن قصدية التناسب والانتظام بين آيات السورة. وهذا التناسب كما عبر بديع الزمان متفاوت من سورة لأخرى، من موضع لآخر، قريبا في الدلالة، أو بعدا فيها بإيجاء أو تلميح، أو قرينة..

وربما كان ظاهرا في السبك، والبنى اللفظية، يعبر عنه السياق اللغوي. أو خفيا تتحمّله اللغة بوجه من وجوهها، باعتبار الحبك المعنوي الدال على ذلك من خلال القرائن المتعددة. ولعل تعبيره ب: "النقش" يعبر عن السبك والحبك، لأن ما ذكره بعدها دال عليهما، وعلى الثاني-الحبك- أدلّ.

ولهذه النسب في الحبك كان تبيان النورسي<sup>2</sup> لما في الفاتحة من وجوه التناسب، كآلاتي:

- في قوله تعالى: " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ " يناسب قوله تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ " لأن النعمة قرينة الحمد، و " رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ "، لأن كمال التربية بترادف النعم.
- و " الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ " لأن المنعم عليهم-أعني الأنبياء والشهداء والصالحين- رحمة للعالمين، ومثال ظاهر للرحمة..
- " مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ " لأنّ الدين هو النعمة الكاملة.
- " إِيَّاكَ نَعْبُدُ " لما تجلت حقائق الألوهية، وأصبغت نعم على خلقه لا تخصي، وجب إفراده، وتخصيصه بالعبادة دون سواه.

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ج1، ص 229. نقلا عن إشارات الإعجاز للنورسي مع بعض الزيادات في آخره، ص 33.

<sup>2</sup>وجله، إلا العبارات الأخيرة فيما نقله التواتي في نفس صفحة المرجع السابق، وهو في نفس الصفحة من إشارات الإعجاز.

- و "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" ﴿٥٠﴾ " ولما علم أن الله هو المعين على النائبات، مهما عظمت، لا يلتمس عوناً إلا من الله وحده، وأن المستعنين به هم الموفقون.

- "أَهْدِنَا" وهنا يدرك المناجي أن الذي خصوه بالعبادة، واستعانوا به في كل أمورهم، هم المفلحون. وجب عليه اتخاذهم إسوة بسر قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَهُمْ أَقْتَدِ﴾... ﴿٥١﴾<sup>1</sup>

#### 11--4 علاقة الإجمال والتفصيل بين الآيات

وهذا الوجه من التناسب كثير في القرآن الكريم، إذ تترتب آيات بشكل متتابع لبيان جملة مما أجمال قبلها. وقد اخترنا لبيان ذلك وما فيه من الحبك الدلالي ما يفيدنا في فصلنا هذا، وهي كالتالي:

- نموذج 1: العام والخاص

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾

يقول<sup>2</sup> نقلا عن أبي حيان<sup>3</sup>: "... وإسناد القول إلى الرب في غاية من المناسبة، والبيان؛ لأنه لما ذكر أنه خلق لهم ما في الأرض، كان في ذلك الصلاح لأحوالهم، ومعايشهم، فناسب ذكر الرب. وإضافته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه على شرفه، واختصاصه بخطابه، وهنئ لاستماع ما يُذكرُ بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنساني وابتداء أمره ومآله."

<sup>1</sup> سورة الأنعام: 90.

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج 1، ص 441

<sup>3</sup> البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420

هـ، ج 1، ص 225

قوله: "في غاية من المناسبة"، بناء على ما ذكر بعدها لبيان وجه التناسب بين المسند والمسند إليه، وهي من العلاقات التي اهتم بها النحاة، ولا تخرج عن الحُبك. مما يدل على أن النحاة لم يغفلوا عن الحُبك مفهوماً وتصوراً، ثم تطبيقاً.<sup>1</sup>

وهو يمهّد في هذه الفقرة لما يريد بيانه من انتقال الخطاب من موضع لموضع، كلاهما يتناسبان في الماهية. وتلك هي حقيقة الإيجاد والخلق، إذ خلق الله-وهو الرب-الأرض وجعلها مستقراً لبني البشر، ثم كان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تنبيهاً للسامع بخصوصيته، وشرفه، إذ خصه بالمخاطبة بصريح العبارة. وكأن الدلالة منه: يا محمد، اعلم أنه بعد خلق السماوات والأرض، خلقت آدم، وقد أعلمت الملائكة بذلك، فكان قولهم كذا وكذا...

فالخطاب من الله لرسوله تعليم كمن شاهد وعاین الحقائق، فكان قول الألويسي منبهاً لأهمية ذلك. والله أعلم. ثم يذكر بعد ذلك هذا الانتقال في الخطاب من الآية التي تسبق هذه، فقال:

"وهذا تنويع في الخطاب وخروج من الخطاب العام إلى الخطاب الخاص. وفي ذلك أيضاً إشارة لطيفة إلى أن المقبّل عليه بالخطاب له الحظ الأعظم، والقسم الأوفر من الجملة المخبر بها، إذ هو في الحقيقة أعظم خلفائه. ألا ترى إلى عموم رسالته، ودعائه، وجعل أفضل أنبيائه أمّ بهم ليلة إسرائه، وجعل آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه."

وهذه الفقرة مزيد بيان على ما تقدم ذكره، ولنمثّل لذلك بالرسم البياني، وهو كالتالي:

<sup>1</sup> ينظر: معايير النصية، أشرف الشامي، ص 90-91

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ  
أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية 29

خطاب عام

خطاب خاص

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي  
الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ  
فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ  
وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾  
[البقرة: 30]

خروج / انتقال /  
تنويع في الخطاب

يعتمد المفسر في فهم الانتقال الخطابى أو ما سماه بالتنويع في الخطاب، على الضمير المتصل، فالآية رقم 29 فيها ضمير الجمع المتصل: "كم"، أما الآية رقم 30، ففيها الضمير المفرد المتصل: "ك"، وهذا ما جعل من المفسر يشير إلى دلالة الخطاب. ثم هو يحاول فهم هذا الخطاب، فالأول متصل بالجماعة وهم المخاطبون من الناس وعلى رأسهم من سمعوه من النبي صلى عليه وسلم يتلى. وقد دلهم على خلق لهذا العالم الكبير.

ثم أشار لما ذكرناه سابقا للذات المحمدية، لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بالخطاب الإلهي، في بيان هذا الشأن العظيم، وهو شأن الخلافة في الأرض. وهو بذلك يخصّه بالخلافة، على أشرف معانيها، وفي أرقى ما تكون عليه، من إقامة الشرائع الإلهية وبيانها للناس. وقد أشار ابن عاشور لهذا التنويع في الخطاب بدلالة العطف بالواو، فسامها عطف قصة على قصة، أي قصة خلق السماوات

والأرض، وهو العالم الأكبر، على قصة خلق الإنسان وهو العالم الأصغر. وسمى ذلك الانتقال "تخلّصاً".<sup>1</sup>

- نموذج 2: الانتقال من التقرير إلى التعليل

يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾

قال التواتي: "وأراد القرآن أن يصل حاضرهم بماضيهم، فانظر كيف وضع بينهما حلقة الاتصال في هذه الآية، التي ختم بها القصة: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة" فقوله تعالى: "من بعد ذلك"، كلمة حددت مبدأ تاريخ القسوة، ولم تحدد نهايته. كأنها بذلك وضعت عليه طابع الاستمرار، وتركته يتخطى العصور والأجيال في خيال السامع، حتى يظن أن الحديث قد أشرف به على العصر الحاضر. ثم لم يلبث هذا الظن أن ازداد قوة بصيغة الجملة الاسمية في قوله تعالى: "فهي كالحجارة" دون أن يقول: فكانت كالحجارة. ثم انظر كيف كان انتهاءه إلى وصف قلوبهم بهذا الوصف توطئة لتغيير الأسلوب فيهم..."<sup>2</sup>

إن الانتقال من وصف حال قلوب بني إسرائيل، وكيف قرر القرآن وصف تلك الحال، إلى تعليل وجه التفضيل الوارد في ذلك التقرير أو الوصف، هو من وجوه الحُبك في الآية الواحدة.

فكان بذلك وصف حال قلوبهم من محسوس، معلوم، إلى ما هو أشد منه، مع أن الفارق بين الحجارة والقلب معلوم من حيث المادة. غير أن تقرير القرآن لصفة القلوب لعمامهم وكفرهم كان أشد من قساوة الحجارة المعلومة بخصائصها عند كل الناس.

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، ص 395

<sup>2</sup> الدر الثمين، ج 2، ص 76

الفصل الثاني: الحبكة في الترتيب الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

ونعتبر أنّ الجملة ترتبت من عام إلى خاص، وكان الترتيب كالتالي:

ترتّب / خطيّة الخطاب:				
←				
متعلق بمادة صلبة	مضغّة صنوبرية في الجسد، تضخ الدم	مادة صلبة، موجودة في الأرض	انعقاد المقارنة بين ما قبلها وما بعدها	ترتّب النتيجة
قست	قلوبكم	الحجارة	أشد	قسوة
اسم	اسم	اسم		مصدر
فعل	المقارن 1	المقارن 2	صيغة تفضيل	وجه المقارنة

فالجملة إلى الحجارة، سارت في خطية متناسقة لإثبات حال قلوبهم في مشابهمتهم في قسوة الحجارة، ثم أتت "أو". لتعمل عمل بل كما أشار ابن عاشور<sup>1</sup>، فأعادت توجه الخطاب إلى ما قبلها، لعقد المقارنة بين الحجارة والقلوب. فأثبتت أنّها ليست مثلها في القسوة، بل تعدت ذلك إلى ما لا يوصف بمحسوس معلوم عند السامع.

ثم لما كان ذلك استدعى نوعاً من التساؤل، كيف ذلك، ومعلوم أنّ الحجارة هي قاسية، صلبة لا حياة فيها؟ فكان ما بعدها مناسباً للتقرير قبلها، فكان تعليلاً لذلك، بأن من جملة الحجارة ما يتفجر منه الأنهار للأسباب المترتبة لذلك، ومنها ما يتفجر منه الماء، لتشققه بسبب زلزال أو غيره، ومنها ما يهبط من خشية الله... فإذا كان هذا حال الحجارة، وهي موصوفة بانعدام الحياة، ومظاهر ذلك. فكيف بقلوبكم؟

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، ص 564

فكانت دلالة الانتقال من عام وهو القسوة بتعبير الفعل، إلى إثبات ما هو أخص منه في القسوة، بتعبير المصدر، واقترانه بصيغة التفضيل، مثبتا لعدم التغير في قلوب بني إسرائيل، وهم الذين شاهدوا وعانوا من المعجزات ما عانوا، ثم ما كان منهم إلا التناكر لكل ذلك، والكفر به. وهذا وجه التخصيص. والله أعلم.

### - نموذج 3: التفصيل بعد الإجمال لمعنى لفظ واحد

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]

وقال سبحانه في سورة آل عمران:

- ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: 3]

- ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

يقول التواتي: "... ذكر في البقرة إنزال الكتاب مجملا، وقسمه هنا، أي يشير إلى: "نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه". وقسمه هنا إلى آيات محكمات، ومتشابهات، لا يعلم تأويلها إلا الله"<sup>1</sup>

وقد مرّ معنا فيما تناولناه في السبك وفي جزء من هذا الفصل أيضا الإشارة إلى القصد من لفظ الكتاب. غير أنه في هذا الموضوع يذكر تناسب ذكر الكتاب في سورتي البقرة وآل عمران، ففي الأولى ذكره مجردا، دون تفصيل ماهيته. وفي الثانية فصل ماهيته في الآية 3 و 7 على النحو التالي:

- الكتاب المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن.

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 6، ص 11

- التوراة على سيدنا موسى عليه السلام. (اليهود)

- الانجيل على سيدنا عيسى عليه السلام. (لنصارى)

القرآن، قسمان:

- محكم، وهو صريح الدلالة.

- متشابه، مختلف في دلالاته.

وهذه التفصيلات تعلقت بمضمون السورة كما يظهر، باعتبارها فصلت في حقيقة عيسى عليه السلام، وبينت أمر اتباعه لشريعة موسى قبله، وأثبتت اشتمال القرآن لذلك كله، فكان حقيقاً بالاتباع، ومطلق التسليم له ولما فيه جملة وتفصيلاً.

#### - نموذج 4: التفصيل بعد الإجمال؛ خاتمة السورة ومطلع ما بعدها

وفي هذا النموذج نعود لشيء مما سبق في مناسبة المقاطع والمطالع، غير أننا اخترنا هذا النموذج لما فيه من معنى التفصيل والإجمال.

يذكر التواتي<sup>1</sup> في تفسيره لسورة الأنعام أن وجه مناسبتها لآخر المائة أنها افتتحت بالحمد، والمائة اختتمت بفصل القضاء، وهما متلازمان. إحالة إلى قوله تعالى في ختام سورة المائة: ﴿لِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 120]

وإلى قوله تعالى في مطلع سورة الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ

الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]

ويستدل بذلك على آية الزمر، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 75]

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 8، ص 325

ويستند في ذلك على قول السيوطي<sup>1</sup> في وجه المناسبة أن الله تعالى لما ذكر في آخر المائدة "الله ملك السماوات والارض وما فيهن" على سبيل الإجمال، افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله... وسنرتب ما ذكره السيوطي على نحو يسهل علينا استظهار علاقة الإجمال والتفصيل.

الإجمال: في آخر المائدة ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١٠)</sup>

التفصيل من خلال "ما فيهن"، هو عبر جميع السورة، كالتالي:

- بدأ سبحانه بذكر خلق السماوات والأرض، وضمه تعالى إليه، وأنه جعل الظلمات والنور
- أنه خلق النوع الإنساني، وجعل له أجلا آخر للبعث.
- وأنه جل جلاله منشئ القرون قرنا بعد قرن.
- ثم أثبت له ملك جميع المظروفات المكانية.
- ثم أثبت أنه جل وعلا ملك جميع المظروفات الزمانية.
- ثم ذكر سبحانه خلق سائر الحيوان من الدواب والطيور.
- ثم خلق النوم واليقظة، والموت.
- ثم أكثر عز وجل في أثناء السورة من الإنشاء والخلق لما فيهن.. من النيرين والنجوم، وخلق الإصباح، وخلق الحب والنوى، وإنزال الماء، وإخراج النبات، والثمار بأنواعها، وإنشاء جنات معروشات، وغير معروشات.. إلى غير ذلك مما فيه تفصيل "ما فيهن".

#### 12--4 علاقة الترتيب بين الجمل حسب ترتيب الأحداث

- نموذج 1: تسلسل النتائج بعد ذكر عللها

يذكر في تفسير سورة البقرة فيما تعلق بنظم هذه الآيات: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٩)</sup> فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> [البقرة: 9-10]

<sup>1</sup> تناسق الدرر، السيوطي، ص 83 وما بعدها.

يقول: "فانظر إلى ما تضمنت من النتائج المتسلسلة، المترتبة في الجمل السبع..."<sup>1</sup> ولنرتبها على النحو التالي:

- تحميتهم بطلب المحال.
- ثم تسفيهم بإضرار أنفسهم بنية النفع.
- ثم تجهيلهم بعدم التمييز بين الضر والنفع.
- ثم ترذيلهم بحبث الطينة، ومرض معدن الصحة، وموت منبع الحياة.
- ثم تذليلهم بتزويد المرض في طلب الشفاء.
- ثم تهديدهم بألم محض يولد ألمًا صرْفًا.
- ثم تشهيرهم بين الناس بأقبح العلامات (الكذب).

فإذا كان هذا الترتيب المستفاد من دلالة الجمل في آيتين فقط، فكيف بالسورة والقرآن جميعا. لا شك أن الاحتباك الموجود فيما نقله الشيخ من أسرار النظم في هذا الموضوع يترتب على جميع الآيات، على اختلاف مستوياتها، وتعالقاتها، ومناسباتها.

## - نموذج 2: تسلسل الأحداث

وقد أجمع المفسرون<sup>2</sup> على أنه لا قصة وردت متتابعة، مترتبة من ألفها إلى يائها إلا قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك في سورة يوسف. وقد جرت عادة القرآن الكريم بتكرير القصة في مواضع عديدة، قصد الاتعاض، والاعتبار.

لكن ذلك تم بإيجاز دون توسع، لاستكمال جميع حلقات القصة، وللتشويق إلى سماع الأخبار دون ملل. فهذه السورة قد ذكرت حلقاتها متتابعة، بإسهاب، وإطناب. ولم تكرر في مكان آخر

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 1، ص 314، نقلا عن إشارات الإعجاز لبديع الزمان، ص 92

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 11، ص 180، أيضا: التحرير والتنوير، ج 12، ص 197

كسائر قصص الرسل، لتشير إلى إعجاز القرآن في المجمل والمفصل<sup>1</sup>. فإنّ في حالتي الإيجاز والإطناب بديعا في التصوير. وقد مرّة معنا ذلك في الحذف، في الفصل الأول.

وقد كان تسلسل الأحداث في السورة على النحو التالي:

1. رؤيا يوسف عليه السلام التي قصها على أبيه يعقوب عليهما السلام.
2. إخفاء الرؤيا بسبب حسد إخوته بطلب من أبيه.
3. غيرة إخوته - بسبب محبة أبيهم لهم - وذكر مكرهم.
4. مؤامرة التخلص منه، ورميه في البئر.
5. خروجه من البئر. ثم بيعه بثمن بخس.
6. فتنة الشهوة والإغراء من زوجة العزيز.
7. دخوله السجن.
8. تأويله لرؤيا حاكم مصر، وخروجه إثر ذلك.
9. تبرئة يوسف أمام الناس.
10. تولّيه ملك مصر.
11. حدوث القحط في الأرض.
12. حضور إخوته طلبا للحنطة، وطلبه لهم بإحضار أخيه.
13. اتهام أخيه بالسرقة.
14. إرسال البشارة لأبيه.
15. حضور يعقوب وبنيه لمصر ولقاؤه بابنه.
16. تحقق رؤياه بالسجود له.

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 11، ص 180

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

وهذه الأحداث الأساسية التي تخللتها تفاصيل حكتها السورة، إما بإيجاز، وإما بإسهاب، دعت له ضرورة المقام. فكان للتسلسل في الحدث أثرا بالغا في احتباك النص، سردا ووصفا.

وقد ذكر التواتي أن السبب من إنزالها هو مقارعة قريش بالحجة، وأن النبي لا يأتي بأساطير الأولين، وهذه القصة كاملة كانت كما وصفها القرآن في السورة عينها، بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾

فكان الإخبار له من عالم الغيب بتفاصيل القصة بأسلوب معجز، تميز به القرآن. والدلالة من القصة وما فيها ما أورده التواتي في آخرها: ". وإيحاءاتها ورموزها تبشر بقرب النصر لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء، والمرسلين، والدعاة المخلصين. فهي سلوى للقلب، وبلسم للجروح."<sup>1</sup>

### 4--13 تناسب السور مع بعضها لقريئة تشابه المطالع

وهذا النوع من التناسب من أعلى الأنواع، فيما سبق التفصيل فيه. لذلك سنختم به البحث في المناسبة، أو التغريض. باعتبار أن هذا التناسب بين سورة وسورة أو سور أخرى متباعدة ترتيبا ونزولا. ومنه التناسب في نوع المطالع، فللاشتراك الواقع بين سورة "ق" وغيرها مما افتتح بالحروف.

يذكر التواتي أن سورة ص وسورة ق تشتركان في النقاط التالية:

- في الافتتاح، فكل منهم يبدأ بحروف المعجم، وذلك قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [ص: 1]، ﴿قَّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق: 1]
- في القَسَمُ بالقرآن.
- في أن أول السورتين وآخرهما متناسبان.

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 11، ص 180

وذلك لأن في سورة ص قال في أولها: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾<sup>1</sup>، وقال في آخرها: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>2</sup>

وفي سور ق قال في أولها: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾<sup>3</sup>، وقال في آخرها: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِهِ﴾<sup>4</sup> فافتتح بما احتتم به.<sup>1</sup>  
ودلالات ذلك الحبكة بين السورتين:

- في سورة ص صرف العناية إلى تقرير الأصل الأول: التوحيد ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾<sup>5</sup> وأنطلق الملام منهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آهَاتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾<sup>6</sup> [ص: 5-6]

- وفي سورة ق تقرير الأصل الآخر: الحشر ﴿أَعِزَّا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾<sup>7</sup> [ق: 3]  
- ولما كان افتتاح سورة ص في تقرير المبدأ قال في آخرها: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾<sup>8</sup> [ص: 71]، فحتمه بحكاية بدء خلق آدم عليه السلام لأنه دليل الوحدانية.

### التأويل:

#### 1-3-4 التأويل في الدر الثمين:

يطرح التواتي سؤالاً: " هل هناك فرق بين التأويل والتفسير؟"<sup>2</sup> تأسيساً منه للمفهوم، وفصلاً تعريفياً لكلا اللفظين عند المفسرين. ثم يجيب عن ذلك التساؤل بقوله: "إن التأويل من الأول، وهو الرجوع. والقول بأنه من الإيان، وهي السياسة. كأنّ المؤول للكلام ساس الكلام، ووضع المعنى فيه موضعه ليس بشيء."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر بتصرف: الدر الثمين، ج 18، ص 174

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج 1، ص 14

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها

يذكر بعدها- ما نقله عن ابن الجوزي- أن من أهل العربية من يميل إلى أنهما بمعنى واحد، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما. فذكروا:

"بأن التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي.

أما التأويل: معناه نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ. فهو مأخوذ من قولك آل الشيء إلى كذا، أي صار إليه.<sup>1</sup>

أي أن التفسير نقلٌ لما كان خفياً بصفات معينة إلى مقام يحسُّ به أن يُعرّف، ويُكشف. فيصير بذلك في أتمّ الوضوح. أما التأويل فهو يتعلق بما كان محتاجاً لإثبات دليل عنه، فيترك ظاهر اللفظ، وينتقل إلى ما يدلّ عليه من خلال القرائن المعنوية. وهذا الذي استخلصناه من قول ابن الجوزي يربطنا بمفهوم الحبكة.

ثم يحاول التواتي أن يوجد توازناً بين المعنيين، فيقول بعد ذلك: "وعندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف، فكل الأقوال فيه ما سمعتها، وما لم تسمعها مخالفة للعرف اليوم. إذ قد تعارف من غير نكير أن التأويل إشارة قدسية، ومعارف سبحانه، تنكشف من سجع العبارات للسالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين.

والتفسير غير ذلك، وإن كان المراد الفرق بينهما- بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة- فلا أظنك في مربة من رد هذه الأقوال، أو بوجه ما فلا أراك ترضى إلا أنّ في كل كشف إرجاعاً، وفي كل إرجاع كشفاً. فافهمه تنل المبتغى إن شاء الله تعالى<sup>2</sup>

وفي هذا الذي بيّنه تحريراً للفرق بين التفسير والتأويل، فيكون بذلك التأويل مضمناً في التفسير، باعتبار أن التأويل بمعنى الإرجاع، وأن التفسير كشف، وهذا التناسب بينهما دقيق، لا يمكن انفكاكه.

<sup>1</sup> زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ، ج1، ص12.

<sup>2</sup> الدرّ الثمين، ج1، ص14

وكانه نفس ما عرفه ابن عاشور، بقوله: "والتفسير في الاصطلاح، نقول: هو اسم للعام الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يُستفاد منها باختصار أو توسّع"<sup>1</sup>

ومعلوم أن بيان معاني الألفاظ إنما هو إرجاع للمدلولات العامة والخاصة، وهو معنى الأول، أي التأويل. فكان بذلك استنتاجنا في محله. والله أعلم.

وقد ورد لفظ التأويل، مصدرا واشتقاقا في القرآن الكريم في سبع سور، هي كالتالي:

1- في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: 7]

2- في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: 59]

3- في سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: 51-52]

4- في سورة يونس: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: 39]

5- في سورة يوسف: وذلك في مواضع:

- ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالٍ يَعْشُرُوكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: 6]

<sup>1</sup> التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 1، ص 11

- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21]

- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]

- ﴿قَالَ لَا يَا تُيُوكَمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37]

- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُذُبَاتٍ حُضِرٍ وَأَخْرَجَ يَابِسَاتٍ يَنَاطُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43-44]

- ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45]

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100]

- ﴿\* رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]

6- في سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَرَنُوءًا بِالْفِئْطَانِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]

7- في سورة الكهف: وذلك في مواضع:

- ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78]

- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾  
[الكهف: 82]

والمعنى المحوري الذي في التأويل في مجموع هذه الآيات، يدور حول التالي:

- المآل.
- المرجع.
- المصير.
- الأثر الخارجي الذي يكون جزاء لقوم على أفعالهم.
- تعبيرا للرؤيا.<sup>1</sup>

#### 4-3-2 النص والتأويل:

إنّ النص في الدراسات اللسانية النصية عبارة عن شبكة من العلاقات التي تنتظم فيما بينها، استنادا إلى قوانين بنيوية خاصة، تحكمها معاني تحيل عليها البنى الظاهرة. فهو بذلك وحدة دلالية، ميزته الرئيسة أنه ليس متتالية من الجمل فقط لا رابط بينها، بل؛ هو بناء قصدي له دلالاته، وارتباطاته، وتمثلاته القارة فيه، وبذلك يؤدي وظيفته التواصلية.

بالإضافة إلى قصد النص، والتي هي حقيقة لا يمكن التغاضي عنها، هناك مقاصد أخرى لا يمكن لمضمراته أن تستقيم بدونها، فهو يتضمن بناء فنيا، واستراتيجية تأويلية. ذلك أن عمليات البناء بالضرورة توجه القارئ والمتلقي إلى تأويل كثيرٍ من معاني النص من خلال ملفوظاته.

<sup>1</sup> ينظر: قانون التأويل، أبو بكر ابن العربي، تح: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط1، 1986، وذلك في تحقيقه بدراسته عن الكتاب، ص 240.

فالذي يؤول النصّ يقوم بعملية تدبر، تقوده إلى استنباط قاعدة من نص خالص. فهو بهذا يفترض أن النص مكتفٍ بذاته، قادر على التدليل، استنادا إلى مخزون دلالي مفصول عن الكلمات التي تكشف عنه. وبالتالي فالذي يؤول لا يستعيد نسخة النصّ الأصلي، بل؛ هو يصب نصّا آخر بلغة موازية، تعدّ في نظره معادلاً كلياً للنص. <sup>1</sup>

وعلى هذا الذي ذكر يمكن تقديم السؤال التالي:

هل القرآن الكريم هو ما طرحه كتب التفسير؟ أم هي مقارنة له؟

وبعد البحث، ومن خلال ما سبق، فإنّ علاقة النصوص التي يتداولها الأصوليون من أجل استنباط الأحكام، تتعلق بالمحكم، والتفصيل، والإجمال. وهناك نصوص ذات طابع قصصي-مثل نموذج سورة يوسف فيما سبق-لها سياقاتها، ولها مدلولاتها. وبالتالي فإنّ كلتا الحالتين تستلزم منا استحضار الإشارات، والدلالات، والاقترضاء الذي يتجاوز العبارة، والمعنى الحرفي، ليبحث من خلالها في السياقات المصاحبة الملازمة للعبارة، دون أن تكون هي بعينها.

إنّ الخدمة التي يقدمها الأصوليون في تأويلهم للنصّ القرآني تُبنى من خلال العبارة، أو الإشارة، أو الدلالة، أو الاقترضاء. وفي كل هذا يسلم النصّ مدلولاً يتجاوز الملفوظ، وفي حالة التعارض يؤتى بالسياق-وقد مر معنا نموج في كلامنا عنه- الذي يدل على المعنى الأصلي. ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن القصد باللفظ الصريح، وقصد اللغة، وقصد المؤول يختلف على حسب المستوى. فقصد النصّ الصريح الذي وصلنا وحيا من عند الله-هذا لا شك- أن الإنسان قاصر عن إدراك كنهه، وحقيقته التامة.

<sup>1</sup> ينظر: سيميائيات النصّ مراتب المعنى، سعيد بن جراد، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، سنة 2018، الرباط، المغرب، ص 25.

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

وبالتالي فهو يتوسل اللغة من خلال ما يتأوله، ليقارب القصد بهذا النص. وهذا يعني وجود

تفاوت صريح بين هذا المنطوق القرآني، وبين ما يتسرب إليه من دلالات وإشارات مقصودة تبعا.<sup>1</sup>

وعلى هذا فإنّ التواتي مثله مثل المفسرين قبله، يتناول مجموعة من القضايا، أو من الآيات التي

تحتل دلالات عدّة. وهو بذلك يتوسل اللغة في تأويله، إضافة إلى أقوال من سبقه<sup>2</sup>، ومما لا شك فيه

أن هذه العوامل كلها ستؤثر تأثيرا مباشرا في تفسيره لإشكالية ما يتناوله.

وقد اخترنا نماذج في هذه الحثية، هي على سبيل المثال لا الحصر:

### 1-5 معنى "المحكم والمتشابه"

وهو في آية آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا

اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: 7]

يذكر التواتي<sup>3</sup> أنّ العلماء قد اختلفوا في معنى المحكم والمتشابه، ولكثرتها سنجمعها في الجدول التالي:

المحكم	المتشابه
الناسخ	المنسوخ
المبيّن من الحلال والحرام	المشتبه في المعاني
يحتمل وجهها واحدا	ما احتمل التأويل
ما لم تكرر ألفاظه	ما تكررت ألفاظه
ما فهمه العلماء	ما استأثر الله بعلمه
ليس له تصريح ولا تحريف	//

<sup>1</sup> ينظر: سيميائيات النص مراتب المعنى، سعيد بن جراد، ص 27-28

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 5، ص 39 وما بعدها.

<sup>3</sup> الدر الثمين، ج 5، ص 50 وما بعدها.

الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

أصول الكتاب	القصص والأمثال
ما تقرر من القصص بلفظ واحد	ما اختلف لفظه
فواتح السور	//
التي في سورة الأنعام	ألم و ألمر وما اشبهه على اليهود
الفرائض، والوعد والوعيد	القصص والأمثال
ما قام بنفسه، فلا يستدل له	ما كان معاني أحكامه غير معقولة
///	ما لا سبيل لمعرفته
ما أمر الله به في كتاب منزل	ما سواه متشابه
ما أحكمت الإبانة، فلا تحتاج تأويلا	ما خالفت ذلك
///	ما له وجوه واختلف فيه العلماء

يظهر أن آية التأويل نفسها قد أولها العلماء، وقد جمع الشيخ الأقوال السابقة فيما اختلفوا في تأويله، في معنى المحكم والمتشابه. والملاحظ أن المعنى الذي يجمع الأقوال في معنى المحكم، هو الذي ليس إلا وجه واحد يُحمل عليه. فلا يستدل له بقريظة أو بدليل ظاهر أو خفي. أما المتشابه فالظاهر من الأقوال أنه ما احتمل وجوها في اللغة، وتباين في ذلك بالسياق الذي ورد فيه.

وكل هذه الأقوال إنما تتعلق بالنص مفهوما ودلالة وقصدا، لا باللفظ وحده، لأن مدولات الألفاظ معلومة في المعاجم اللغوية، وفروق اللغة ظاهرة حين تتبعها في مظانها. بل بالنص، باعتبار وحدته الدلالية، وهذا المعنى في الحبكة هو الذي جعل من الأقوال تباين، باعتبار السياق - كما كررنا ذلك مرات - وباعتبار الأوجه اللغوية، ثم الاستعمال والوضع العربي، والركيزة في ذلك عرض جميع ما ورد في القرآن ذاته في الموضوع المراد تفسيره.

2-5 مفهوم "أولي الأمر"

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: 59]

بعد أن ذكر اختلافات المفسرين في سبب نزولها، وساق مجموعة من الأحاديث، والأخبار،

قال: "واختلف المفسرون في قوله: "وأولي الامر منكم" إلى أربعة أقوال.<sup>1</sup>

سُرتب كالتالي:

القول الاول انهم قاله ابو هريره وابن عباس	-الأمرء	} أولي الأمر
القول الثاني رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس، وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وأبي العالية وعطاء والنخعي والضحاك	-العلماء	
القول الثالث رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد وبه قال بكر بن عبد الله المزني	-أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-	
القول الرابع لعكرمة باعتباره أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم	-أبو بكر وعمر-رضي الله عنهما-	

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 7، ص 144

## الفصل الثاني: الحُك في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

يذكر أن الله أمر بطاعته، وهي امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأمر بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمر بطاعة الأمراء على قول الجمهور (أبي هريرة، وابن عباس، وابن زيد، وغيرهم). فيكون تأويل الأمر حينها على إشارة إلى القرآن، والشريعة. فالمعنى أولي هذا الأمر.

ويذكر تأويلا عن عبد الله ومجاهد وغيرهما، بأن "أولي الأمر": هم أهل القرآن والعلم<sup>1</sup>. ويبيّن ابن عاشور في التحرير، بأنهم أهل العلم في كل زمن.<sup>2</sup>

يقول التواتي: "ومعلوم من قواعد الشريعة أنه ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يسلك غيره مسلكه، وينتهج نهجه."<sup>3</sup>

وذلك للأمانة التي عُهدت عن صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، خصوصا وأنّ الأمة قد أجمعت على أمرهم، بالرشد، والهداية، والأمانة في النقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ثم يسترسل التواتي<sup>4</sup> في ذكر تأويلات أخرى:

- أنهم الخلفاء الراشدون الأربعة (وهو قول أبي بكر الوراق).
- أنهم المشايخ المرشدون بامتثال أمرهم فيما يرونه صلاحا لكم وتهذيبا لأخلاقكم.

ويرتب على ذلك مفهوم الطاعة على ثلاثة مراتب:

1. فهم خطاب الحق، وهي رتبة النبوة.
2. الرجوع إلى بيان النبي صلى الله عليه وسلم.
3. التقيد بمذهب من مذاهب العلماء، والرجوع في حال النزاع احتكاما لكتاب الله وسنة نبيه.

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 7، ص 144.

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 5، ص 98

<sup>3</sup> الدر الثمين، ج 7، ص 144-145، نقلا عن تحفة الأحوذى، لعبيد الرحمن المباركفوري، ج 3، ص 41

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 145-146

## الفصل الثاني: الحبك في الترتيب الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

وقوله تعالى: "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" فيصل لفك التنازع بينكم.

وقد نحى التواتي في هذا بعد سوق الأقوال والتأويلات منحنى الفقهاء والأصوليين، الذين يعتبرون

الآية مشتملة على أكثر علم أصول الفقه، وذلك أنهم يرون أن أصول الشريعة أربعة:

1. الكتاب.

2. السنة.

3. الاجماع.

4. والقياس.

وعلى هذا التقرير الأصولي، تكون الآية معبرة عن ذلك بالشكل التالي:

أَطِيعُوا اللَّهَ	الكتاب
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	السنة
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ	الإجماع
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ	القياس

فالكتاب يدل على أمر الله تعالى، والسنة تدل على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا

شك أن الرسول مخبر عن الله، صادق أمين في ذلك، فأمره وحي من الله. أما دلالة الآيات على

الإجماع، باعتبار أن إجماع الأمة حجة، ودليل قوي عند الفقهاء.

وهذا الاتباع مشروط بـ:

- كوننا عارفين بهم.

- قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم.

يقول: "ونحن نعلم بالضرورة أن في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم. وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته، ليس بعضا من أبعاض الأمة، ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله تعالى: "وأولي الأمر منكم" أهل الحل والعقد من الأمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة.<sup>1</sup>

وهذا التسلسل المنطقي الذي ساقه التواتي لإثبات التأويل الأصولي الذي اختاره، ينبىء بأنّ مثل هذه الآيات مردها لجماعة علماء الفقه وأصوله، لأنهم معنيون بإثبات الأحكام الشرعية، ولو توقفنا عند النقولات دون التحري في وجوه تحمل الدلالة في النص عن طريق التأويل، لبقينا دون إثبات حكم، وهذا لا يستقيم مع ما شرعه الله للناس.

وعلى هذا القول وبناء على هذا هناك علاقة عضوية ثلاثية؛ بين طاعة الله، وطاعة الرسول، وطاعة أولي الأمر. ومن خالف ذلك فقد عصى الله ورسوله، والذي يُفهم من تفسيره ومن سوجه لاختلافات المفسرين في الآية أن مفهوم "أولي الأمر" مفهوم زبقي، يسمح بالتأمل، والاتّساع في القراءة، والمقاربة لكثير من آيات القرآن، أو للاحتكام للسياق نفسه.

والواقع من هذه القراءة، ولما ساقه من المرويات الحديثية-والتي لم نسقها حرفيا بل بمعناها-، والتفاسير، والآراء؛ يمكن أن نتبين مجموعة من المقدمات، والمسلمات. منها:

- ضرورة طاعة أولي الأمر.

- والافتداء بأوامرهم.

لكن إذا كان المراد بأولي الأمر طاعة الأمراء، والحكام، والساسة، هل وُلّاتُ زماننا، وحكام دولنا وجب طاعتهم وتعظيمهم؟ وهل يعقل أنهم ذوو رأي حصيف، ودراية بما يشغل الناس

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج 7، ص 147 - 148

## الفصل الثاني: الحبكة في التّزّ الثّمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التّواتي بن التّواتي

وقضاياهم المتعددة؟ إلى غير ذلك. ويبدو أن الآليات التي تحكمت في هذا التفسير تختلف نسبيًا عما ورد في غيرها من التفاسير، التي تعتمد على الإشارة، أو على غيرها فمسألة أولى الأمر، هنا لا تستقيم إلا بطاعة الرسول في أوامره، ونواهيها (لدلالة السياق).

وهذا الرسول موصوف صلى الله عليه وسلم بالعصمة، وهو الإمام المعصوم المقدم في كل أمر.

إن هذه المقاربات التفسيرية، التي تتوسّل التأويل لبيان ذلك، تتيح للمطالع أن يستشف من خلالها أنّ المؤوّل إنّما يتجاوز الفهم الحرفيّ، والسطحي للنص القرآني (البنى النحوية، إلى البنى الدلالية- الحبكة-) لينتقل من خلاله إلى إثبات مضمون الملفوظ، والاهتداء إلى المقصود.

وبناء عليه؛ فإنّه وجب تقديم النصّ إذا أيّد مجموعة من النصوص الأخرى الواردة في آيات أخرى. ثم إن لم يوجد أتيّننا إلى تأويل النص من خلال الأحاديث الصحيحة، وإن لم يوجد أولنا النص من خلال إجماع العلماء، أو القياس.

ولا يبنى الأخير إلا من توسّل باللّغة، ولا يكون هذا التوسّل إلا بفهم اللّغة، ولخصوصيتها. فالتأويل، والقراءة التأويلية تتضمن المعنى، ومعنى المعنى.<sup>1</sup> حيث يسوّي الظاهر والباطن في هذا النص، ولا يخفى علينا أن خلفية المفسّر، ومقاصده، وتوجّهه يمكن أن يوجّه الدلالة إلى ما يريد، أو ما يختتم مبدأه، وفي هذا نقطة يقف عندها الباحث ليفهم أن التأويل متباين، متغيّر، ومختلف من مفسّر لآخر.

وقد ظهر لنا أن خلفية التواتي الفقهية، جعلته يوجه التأويل لما قرّره الأصوليون في ذلك. فباين بذلك أقوال المفسرين الذين اعتمدوا على بيان ما تعلق بالأخبار، أو بالحديث النبوي، أو غير ذلك.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 263، وقد بيّن أن معنى المعنى، هو أن يدلّك اللفظ إلى معنى، وذلك المعنى يدلّك على معنى آخر فيه.

3-5 قصة هاروت وماروت

- قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102]

بعد أن تعرّض لإعراب الآية، وما تعلق بعود الضمير، قال: "وإنما اخترنا هذا الوجه من القول لأن المتبع تمثله الشياطين في عهد سليمان، وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق (...). كان الواجب من القول في ذلك أن يقال: كل متبع ما تلتته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية، على النحو الذي قلناه."<sup>1</sup>

وقوله تعالى: "وما أنزل على الملكين"، يرى بأن ظاهر الآيات إنما علّموه الناس، أو ما اتبعوه هو منزل. ويذكر أنه اختلّف في هذا المنزل الذي علّم، أو الذي اتّبِع. فكانت التأويلات كالتالي:

- علم السحر، أنزل على الملكين ابتلاءً من الله للناس، من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً، ومن تجنبه أو تعلمه لا يعمل به، ولكن ليتوقاه، ولثلا يغتر به كان مؤمناً كما ابتلى قوم طالوت بالنهر، وهذا اختيار الزمخشري.
- وقال مجاهد وغيره: المنزل هو الشيء الذي يفرّق به بين المرء وزوجه وهو دون السحر.
- وقيل السحر ليعلم على جهة التحذير منه، والنهي عنه.

<sup>1</sup> الدرّ الثمين، ج 2، ص 280

والتعليم على القول الأخير إنّما هو تعريفٌ يسير بمبادئه. ثم يضع بعدها عنواناً: الاختلاف في حقيقة السحر"، ويأتي بأقوال فيما تعلق بها، وهي سبعة أقوال في حقيقة السحر. ثم يسوق قصة هاروت وماروت بحيث وضع لها عنواناً ليفصّل في شأنها.

قال: "إن ما أورده المفسرون والإخباريون في قصة هاروت وماروت، قد أنكره جماعة، منهم: القاضي عياض. ولم يرد منه شيء لا سقيم، ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس."<sup>1</sup>

وهذا التقديم منه لبيان أنّ هذه القصة إنّما كان التأويل فيها طاغياً على المرويّات، إذ لو كانت هناك رواية لا تعتمد لبيان حقيقة أمر هاروت وماروت. وحشد لذلك أسماء الأعلام من علماء الإسلام أنه لا يصح شيء من ذلك مما نقله الإخباريون.

فأبو حيان الأندلسي، والرازي، والقراقي على القول بعدم صحة ذلك، حتى أن الشهاب العراقي نصّ على أنه من اعتقد في هاروت وماروت أنّهما ملكان يعدّبان على خطيئتهما، مع الزهرة فهو كافر بالله - تعالى - فإنّ الملائكة معصومون، وهم منصوص عنهم في القرآن<sup>2</sup>. يقصد قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]

قال: "وذهب بعض المحققين أنّ ما روي مروياً حكاية لما قاله اليهود، وهو باطل في نفسه، وبطلانه في نفسه لا ينافي صحة الرواية."

يظهر - والله أعلم - أن الباطل في نفسه ما تعلق بمتن الرواية، أما الرواية فهي الإسناد المتواتر.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 284، وهذا النص في روح المعاني للألوسي، ج 1، ص 339

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 8، ص 285

وقد أول الإمام الألويسي هاروت وماروت، واعتبر ذلك من باب الرموز والإشارات. فيراد من

الملكين:

- "العقل النظري.

- والعقل العملي، وكلاهما من عالم القدس.

- ومن المرأة المسماة بالزهرة: النفس الناطقة.

ومن تعليمهما لها ما يسعدها، ومن حملها إياهما على المعاصي بحكم الطبيعة المزاجية، إلى الميل إلى السفليات المدنّسة لجوهريهما. ومن صعودها إلى السماء بما تعلّمت منهما عروجها إلى المألى الأعلى، ومخالطتها مع القدسيتين بسبب انتصاحها لنصحهما، ومن بقائهما معذبين بقاؤهما مشغولين بتدبير الجسد، وحرمانهما عن العروج إلى سماء الحضرة.<sup>1</sup>

وهذا النوع من التأويل يدرج ضمن الإشارات، المعهودة عند الصوفية، في كثير من آيات الكتاب، والتي هي خواطر وجدانية ترد على القارئ أثناء التدبر. فليست بذلك ضمن التفسير، لعدم خضوعها لضوابطه.<sup>2</sup>

ثم انتقل بعد ذلك إلى الكلام في السّحر، وحكمه الشّرعي. والملاحظ من توسيع المفسّر في قضية السحر وما تعلق به، أنه كغيره من المفسرين، حاول أن يتخلص من المأزق الذي وقع فيه المفسرون قبله، وهو نسبة السحر إلى الملكين. والمعهود أن الملك لا يعصي الله ما أمره، بل الشيطان هو الموكل بفتنة الناس.

<sup>1</sup> روح المعاني، الألويسي، ج 1، ص 340

<sup>2</sup> ينظر: الفوز الكبير في علم التفسير، ولي الله الدهلوي، تر: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة، القاهرة، مصر، ط 2، 1986، ص 190

## الفصل الثاني: الحبكة في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

فتخلص كغيره من خلال ما ساقه من الشواهد على عدم صحة الروايات في هذا الباب، كما اعتمد على التصرف في تركيب الآية. وقد اعتمد كغيره من المفسرين على أن "ما" نفي، والواو للعطف على قوله: "وما كفر سليمان".

وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك. وفي الكلام تقديم وتأخير: "وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببايل. هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى سواه. فالسحر من استخراج الشياطين.<sup>1</sup>

وقد ذكر<sup>2</sup> في توجيه تأويله، أن الفعل "يعلمان" بمعنى:

- أنه من التعليم.

- أنه من الإعلام.

ثم يقول لتعليل مسلكه: "وقد جاء في كلام العرب تعلم بمعنى أعلم، هو يقول: وما يعلمان. والمعنى أنه ينتفي تعليمهما، أو إعلامهما، على حسب ما مضى من الخلاف إلى هذه الغاية، وهي قولهم: إنما نحن فتنة فلا تكفر."<sup>3</sup>

"تحقيق في "ما"، في قوله تعالى: "ما يفرقون به بين المرء وزوجه". ويرى أن معنى "ما" معنى "الذي"، وهي عطف على "ما" الأولى، غير أن الأولى في معنى السحر، والثانية في معنى التفريق بين المرء وزوجه.

وقيل: يجوز أن تكون "ما" بمعنى "الذي"، ويجوز أن تكون "ما" بمعنى "لم" الترجيح.

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 2، ص 286-287

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 274

<sup>3</sup> الدر الثمين، ج 2، ص 274

ويرى في هذا أن الصواب من القول في ذلك قول من وجّه "ما" التي في قوله تعالى: "وما أنزل على الملكين.. " إلى معنى "الذي"، دون معنى "ما" التي هي بمعنى الجحد.

يقول: "وإنما اخترت ذلك من أجل أنّ "ما" إن وجهت إلى معنى الجحد تنفي عن الملكين أن يكونا منزلاً إليهما، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني "هاروت وماروت" من أن يكون بدلا منهما، وترجمة عنهما، أو بدلا من الناس في قوله تعالى: "يعلمون الناس السحر" وترجمه عنهما.<sup>1</sup>

تعلّق التّأويل بما ساقه في هذه الآية بحمل "يُعَلِّمَان" على معنى الإعلام لا على معنى التعليم، في المقطع "وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه". وهذا التصرف في دلالة الصيغة ينبيء بأن المفسّر يستعين ويتوسّل - كما سبق وقلنا - باللّغة ليؤوّل النص بما يوافق النصوص الأخرى، والتي فيها قوله تعالى: ﴿... لَا يَعْلَمُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، في حديثه عن الملائكة، وأيضا من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُۥٓ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]

فيما يرى ابن عاشور أن الملكين إنما نزلا ليعلما أن السحر كفرٌ، ويتصدّيا له، فإن السحر كان موجودا قبل إنزالهما إلى الأرض.<sup>2</sup> أي أنّهما عرفا الناس أن ما تعلّمه الشياطين للناس، وينسبونه لسليمان عليه السلام، إنما هو السحر المحرم، الذي يخرجهم عن دائرة الإيمان لدائرة الكفر-والعياذ بالله-. ويتوسل في ذلك أن التعليم للسحر كان بيد شياطين الإنس. لأنّ القرآن لا يقرّر ما كان مقررا أصلا، باعتبار أن الشياطين كفرة، فلا يحتاج لتقريره هنا، إنما المقصود بالشياطين، شياطين الإنس الذين تعلموا السحر وعلموه للناس. وبهذا يصير المعنى متعلقا بالسحرة لا بالملكين، باعتبار ما ساقه التواتي من الآيات التي تعضد هذا المعنى وتنفي السحر عن الملائكة.

<sup>1</sup> المرجع نفسها، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ج 1، 540

## الفصل الثاني: الحبك في التّر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

---

إن هذه الطريقة المتبعة من خلال ما ساقه التواتي، هو نابع عن وعيه بتناسق الآيات القرآنية، المتعلقة بالملائكة في عمومها، مع هذه الآية. فهو بذلك يتناول الآية القرآنية من خلال النظام المحبوك في مجموع الآيات، ولعل ما ساقه-من هوية هاروت وماروت، وصلتهما بالسحر، وأنهما ربما يكونان بشرا مما ساقه من الأقوال-يبيّن ما ذهبنا إليه.

## الفصل الثالث:

التنصّ في الدّر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ القوّامي بن  
القوّامي

تمهيد:

إن مصطلح التناص في المعاجم العربية مشتق من مادة "نصص"، وقد سبق ذكر معانيها في المدخل في الكلام عن النص. وهذا الفصل يحاول مناقشة قضية التناص في علم التفسير، وهل يليق تطبيقه في القرآن الكريم أم في التفاسير وحدها؟ وهل لآلية التناص في الدر الثمين وجود أم لا، وكيف تجلّى ذلك؟

ظهر مصطلح التناص أول مرة على يد جوليا كريستيفا في أبحاث ظهرت بين سنتي 1966 و1967، وهو عبارة عن تداخل النصوص؛ يحمل في معناه "الاقتباس والتضمين والتلخيص..." إلى غير ذلك. فهو بهذا: اجتماع وتقاطع مجموعة من النصوص مع بعضها، إما في معان محددة، أو في ألفاظ محورية.

تقول جوليا كريستيفا: "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"<sup>1</sup>. وقد عرّفته أيضا بأنه: "جملة المعارف التي تجعل من الممكن للنصوص أن تكون ذات معنى، وما إن نفكر في معنى النص باعتباره معتمدا على النصوص التي استوعبها وتمثلها، فإننا نستبدل بمفهوم تفاعل الذوات مفهوم التناص."<sup>2</sup>

إن النص ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحدة، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى، ونظامه اللغوي مع قواعده، ومعجمه، جميعا تسحب إليه كمًّا من الآثار والمقتطفات من التاريخ. ولهذا فإن النص يشبه في معطاه جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تحصى من الأفكار، والمعتقدات، والإرجاعات التي لا تتألف، "إن شجرة نسب النص حتما لشبكة غير تامة من المقتطفات

<sup>1</sup> الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق -قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر-، عبد الله محمد

الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 6، 2006، ص 322

<sup>2</sup>أفق الخطاب النقدي، صبري حافظ، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط 1996، ص 59

المستعارة شعوريا أو لا شعوريا، والموروث يبرز في حالة تهيج، وكل نص حتما نص متداخل.<sup>1</sup>

هذا التناص بمعناه في الدراسات النصية، أما فيما يخدم جزئية بحثنا هذا، فلا يمكن أن يكون كل هذا الكلام منسجبا عليه، كما سنبيّنه فيما يأتي معنى بعد ذكر آلياته.

### 1- آليات التناص:

إن الناظر في آليات التناص يجد أن النظريات المتعلقة بهذا الجانب تشترك في أنها تعبر أقصى الاهتمام للخلفيات المعرفية في عمليتي "إنتاج الخطاب وتلقيه". فالذي ينتج الخطاب لا يستدعي الأحداث والتجارب كلها في تتابع وإنما يعيد بناءها وينظمها ويبرز بعض العناصر ويخفي أخرى وفقا لمقصدية المنتج والمتلقي.<sup>2</sup>

يقول أشرف الشامي: "وإذا أردنا أن نجمع بين هذه الدراسات عن آليات التناص، سنجد أنها تنحصر فيما يلي..." ويذكر بعدها أربع عناصر، تتمثل في التالي:

1-1 الإطناب : والمقصود به إطالة نص عن طريق جناس، أو شرح، أو استعارة، أو تكرار... إلى غير ذلك.

2-1 الإيجاز : وهو عكس الإطناب، فيحيلك إلى بعض الشخصيات التاريخية، أو المواقف، أو الأمثال، فيعبر عن المعنى المطلوب في إيجاز وتكثيف.

3-1 الاستدعاء : يتم ذلك عن طريق استدعاء معاني، أو مواقف خارج نصية، وإدماجها بما يتناسب مع هذا النص الجديد.

<sup>1</sup> الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، الغدامي، ص 289

<sup>2</sup> ينظر: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 3، ص

1-4 التحويل : هي عملية مكملة للاستدعاء؛ حيث يتم تحويل النصوص المستدعاة إلى الشكل الجديد الذي يناسب الوضع الجديد، أي النص الجديد، فيكون هناك انسجام والتحام بين أجزائه.<sup>1</sup>

## 2- التناص والقرآن الكريم:

"وفقاً لمبدأ التناص جميع النصوص لها مصادر، ولكن استخدام المصطلح أكثر تقليدياً يركز على نصوص محددة يمكن أن يتم الكشف عنها بين نص آخر."<sup>2</sup>

إنّ القول بمصدرية النصوص قطعاً لا يتفق والقرآن، وهذا أول نقطة. وبيانا لذلك فصلّ الزبير عباسي بعد هذا، بقوله: "إيماننا بالله سبحانه وتعالى، وعرّفانا بقدرته المطلقة، ليس لي إلا أن أقول: أنّ القرآن الكريم وحي إلهي، وتوصيف النص القرآني بهذا الشأن يعني قدسية النص. وهذه القدسية تكتمل لها الصورة النموذجية عندما يقف القارئ وقفة متأنية ويتريث تريثاً خفيفاً في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ [القيامة: 16-19]"

وهذه الدراسة تتفق معه فيما اتجه إليه بهذا الخصوص، فشتان بين إلهية المصدر، وبشرية المصدر. فالمقدّس له خصوصيته، والتي تفرض علينا التعامل بحذر، من ثم يتأكد لنا بأن النص القرآني ليس نصاً متناصاً، بل هو نص غير خاضع لتدرج العصور، ولا لاتجاهاته، ولا لألوانه. وقد استفاد النبي صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلاً.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: أشرف الشامي، معايير النصية، ص 421 بالتصرف

<sup>2</sup> التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، محمد الزبير عباسي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، كلية اللغة العربية، سنة 2014، ص 306، نقلاً عن: A dictionary of literary and thematic terms : pp 394-395

<sup>3</sup> ينظر: التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن، محمد الزبير عباسي، ص 306-307

## الفصل الثالث: التناسُّ في الدِّرِّ الثَّمِينِ في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

ففي النصوص البشرية، كل كلمة تكون موروثاً، تشرَّبَ وتحوَّل لنصوص أخرى، وتكون مخزون نصوص متعاقبة، منسحبة من ثقافات متعددة، ومتداخلة في علاقات متشابكة من المحاور، والتعارض، والتنافس.<sup>1</sup> وهذا أيضا لا يتفق والقرآن.

والقرآن الكريم ليس كتابا تاريخيا لأن نصية النص تقتضي تقرير هذه النتيجة المتنافرة والمتباعدة عن طبيعة القرآن الكريم، وقد حاول المستشرقون إثباتها قياسا على الكتب المقدسة المحرفة عندهم.<sup>2</sup>

بناء على ما قدمنا في هذا العنصر، فإننا نحتاج ضبط مجموعة من المسائل، وهي كالتالي:

-أولا: التناسُّ كمفهوم وإجراء غربي، له معايير، وضوابطه، والتي تنصب في العموم على النصوص البشرية.

-ثانيا: يجب أن نضبط جيدا مفهوم التناسُّ في الدراسات العربية، لأن اختلاف المصادر المدروسة بالضرورة يجعل من الآليات، والإجراءات مختلفة، في حيثيات عدة؛ باعتبار أن الدراسات العربية مصدرها عربي، نشأ في بيئة، وبلغت عربية لها مكوناتها، وخصائصها التي تميزها عن غيرها. وكذلك الأمر بالنسبة للغرب؛ فإن الدراسات مصدرها غربي باعتبار المصدر والإجراء.. وهذا لا شك فيه من الفروق والاختلافات ما فيه.

-ثالثا: بناء على ما سبق فإن مفهوم التناسُّ في الدراسات العربية له ضوابطه الخاصة، والتي تتماشى وفق النصوص المدروسة.

-رابعا: إن الكلام عن القرآن الكريم لا يخضع للضوابط البشرية، ولا للإجراءات التي وضعها البشر<sup>1</sup>، والتي تدرس النصوص المختلفة. وذلك لاعتبارات، منها:

<sup>1</sup> ينظر: الخطيئة والتكفير، الغدامي، ص 289 أيضا: التناسُّ وخطر تطبيقه على القرآن، محمد الزبير عباسي، ص 308

<sup>2</sup> ينظر في ذلك: دكتور عباس، المرجع السابق ذكره، ص 309

- إلهية المصدر القرآني.
- إن العلماء الذين تكلموا في التفسير القرآني إنما حاولوا مقارنة النص القرآني بما يخدم الأحكام الشرعية.
- خامسا: القرآن الكريم نص واحد وليس مجموعة نصوص<sup>2</sup>.
- سادسا: إن العلوم التي خدمت القرآن الكريم إنما استنبطت منه، ومع ذلك ندرك بأن هذه العلوم الخادمة للقرآن الكريم تدخل ضمن الدراسات العربية البشرية، بخلاف القرآن الذي لا يمكن أن يصنف ضمن الدراسات، أو تراكمات النصوص المعرفية، والحضارية، والثقافية، والفكرية.. فالقرآن خارج عن هذه التراكمات، بل هو خارج عن إطار الزمان، والمكان<sup>3</sup>، باعتبار الوضع والقراءة والدراسة.
- سابعا: إن الكلام في التناص الذي وضعه الغرب يقتضي فهم حيثية "مفهوم التناص"، باعتبار أن التناص يستدعي: تحويلية في النصوص، كما يستدعي تراكما معرفيا، وتاريخيا، وفكريا في النص الجديد، فهو يتفق- في هذا- مع مبدأ التفكيكية. فالدارس ينطلق من كون النص الذي يدرسه إنما هو نص نشأ عن تحويل مجموعة من النصوص، أو نشأ عن طريق هدم للنصوص السابقة وبناء لنص جديد وفق ذلك.
- ثامنا: التناص عملية ميكانيكية، تحقق نصوصا جديدة لتحويلات نصية سابقة، إنها تتسرب في نصوص جديدة من خلال العلاقات الخفية والجديدة. والنص الجديد بهذا يكون بديلا للنص القديم، أي أنه يعالج النص بنظرية التبادل؛ ولا شك أن القرآن الكريم بعيد عن هذا أيضا.

<sup>1</sup> فالعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة، إنما نشأت من القرآن، لغرض خدمته. فكانت توصيفات لبناء اللغوية والدلالية. وفرق بين هذا وغيره، كما تم بيانه.

<sup>2</sup> وهذا ما تم إثباته في الفصل الثاني في المناسبة.

<sup>3</sup> لما تقتضيه من التبدل والتحول والتغير.

بعدهما ذكرناه؛ ينبغي أن نؤكد على أن هذه الدراسة إنما تصب اهتمامها على التناص، وفق نقاط هي كالتالي:

- التناص باعتبار تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة، أو شرح ما أغلق منه بكلام العرب، أي بتفعيل إجراء التناص<sup>1</sup> وفق معايير علم التفسير، فعلم التفسير وعلم الأصول يبيّن مفهوم التناص باعتبار تقاطع نص قرآني مع آخر من خلال الإجمال، والتفصيل، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، إلى غير ذلك...

- التناص باعتبار القرآن مع غيره<sup>2</sup>، وهذا لا شك فيما ذكرناه سابقا باطل، لا يصح تناوله، ولا الإجراء التناصي عليه.

يقول الدكتور أشرف الشامي في حديثه عن مقاصد التناص القرآني<sup>3</sup> -أي تفسير القرآن بالقرآن-:

-أولا: أن يكون في الكلام لبس وخفاء، فيأتي التناص ليزيل هذا اللبس.

- ثانيا: أن يكون ظاهر الآيات مشكلا، فيأتي التناص ويكشف هذا الإشكال ويوضحه.

- ثالثا: أن يوجد ضمير ولا يوجد مرجع له، فيأتي التناص ليدكرنا بآية أخرى بها العائد<sup>4</sup>.

- رابعا: أن يوجد في الآية إجمال يحتاج إلى تفصيل، فيأتي القرآن بآية أخرى، أو آيات أخرى تفصّل ما سبق إجماله.

---

<sup>1</sup> من مفهوم تطابق النصوص، وتجاوزها، شرحا، وإجمالا.. وهو لا يتعدى-فيما نعتقد- بهذا علم المناسبة الذي يدخل ضمن الحبك.

<sup>2</sup> المقصود أن النص القرآني ليس تراكما، ولا بناء على سابق. والذي يعاب في هذه الجزئية على من يطبقون التناص في القرآن مع التوراة والانجيل المحرّفين. وهذا لا يصح أبدا، لا تنظيرا ولا تطبيقا.

<sup>3</sup> انظر في ذلك: أشرف الشامي، معايير النصية، ص 445

<sup>4</sup> وهذا ما سبق دراسته في فصل السبك.

- خامسا: أن يكون هناك قول منكر، أو تساؤل، ويحتاج إلى إجابة، فيأتي التناص ليدكرنا بآية أخرى هي إجابة عن هذا التساؤل، أو ردّ على هذا القول.

بناء على ما سبق ذكره، نستخلص أن تفسير القرآن بالقرآن؛ وإن لم يسمه العلماء بمصطلح "التناص" الذي ظهر في ستينات القرن الماضي، إلا أن آية التناص المنقول عن الغربيين والموجود في الدراسات العربية الحديثة، يتقاطع إلى حد ما مع ما وضعه علماء التفسير في حديثهم عن تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة. ويكون هذان أعلى أنواع التفسير باتفاق المفسرين. ثم يأتي بعد ذلك تفسير القرآن بكلام العرب من شواهد شعرية وما إلى ذلك.

وكتاب الدر الثمين مليء بهذه التناصات- بالمفهوم الذي تم بيانه-، وقد ارتضت هذه الدراسة أن يُقدم تطبيقاً يتفق مع ما سبق تفصيله، بيانا لتناص القرآن مع القرآن، ولتكن تسميته بما سماه المفسرون "تفسير القرآن بالقرآن"، وشرح السنة له، فتكون السنة متناصا مع القرآن، وليس العكس، وشرح لفظ من القرآن من خلال الشعر العربي، فيكون الشعر متناصا مع القرآن، وليس العكس أيضا.

### 3- تفسير القرآن بالقرآن:

ستسلط هذه الدراسة الضوء على بعض النماذج في الدر الثمين، والتي يتوسل فيها التواتي التقاطع الضمني والشكلي على حد سواء بين الآيات. وقد قسّمت في هذه الدراسة- كالتالي:

#### 3-1 تفسير لفظة قرآنية بآية:

##### - نموذج 1 : لفظ "الناس"

وقف التواتي عند الآية (213) من سورة البقرة في بيان لفظ "الناس" الواردة في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ وجاء شرحه للفظ في عنوان التحليل

النحوي قال: " (الناس) اسم جمع ليس له مفرد من لفظه، و(أل) فيه الاستغراق لا محالة، وهو هنا للعموم، أي: البشر كلهم، إذ ليس ثمة فريق معهود، ولكنه عموم عرفي مبين على مراعاة الغالب الأغلب، وعدم الاعتداد بالنادر لظهور أنه لا يخلو زمن غلب فيه الخير عن أن يكون بعض الناس فيه شريرا مثل عصر النبوة، ولا يخلو زمن غلب فيه الشر من أن يكون معه بعض الناس فيه خير مثل نوح (وما آمن معه إلا قليل)<sup>1</sup> .

الملاحظ في هذا المثال أن المفسر قارب لفظ (الناس) بما استدعاه من قوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ

إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قصد توضيح معنى اللفظ.

اللفظ القرآني	استدعاء
(الناس)	- يقول المفسر: «(الناس) اسم جمع ليس له مفرد من لفظه...» - قال الله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

وقد وردت هذه الآية في سورة هود الآية (40)، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

أما استدعاؤه لهذه الآية فهو لتوضيح أن من بين (الناس) فئة فيها الشر.

يقول ابن كثير: «هذه مواعدة من الله تعالى لنوح عليه السلام، إذ جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة والهتان الذي لا يقع ولا يفتر، بل هو كما قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٢٣﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِّرِ ﴿٢٤﴾ تَجْرِي

<sup>1</sup> - الدر الثمين ، التواتي ، ج4، ص13. وهو كما نص عليه في التحرير والتنوير، ج 2، ص 300

بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴿٦٦﴾». وأما قوله: ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ فعن ابن عباس: التنور: وجه الأرض، أي: صارت عيوننا تفور حتى فار الماء من التناير التي هي مكان النار. صارت تفور ماء، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف... وقوله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: من قومك ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما (...). والله أعلم.<sup>1</sup>

وقد ذكر ابن كثير أيضا في قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ في كتابه قصص الأنبياء: "وهذا أمر بأنه عند حلول النعمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، وفي كتاب أهل الكتاب: أنه أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج، وما لا يؤكل زوجين: ذكر وأنثى (...). ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم، ودعوتهم الأكيدة ليلا ونهارا بضروب المقال وفنون التلطفات والتهديد والوعيد تارة، والترغيب والوعد أخرى»<sup>2</sup>

وعليه فالذي جعل التواتي يستدعي قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، هو ما توافق مع معنى في الآية، تطلبه المقام. فالناس لفظ للغالب، والأظهر أن ما استدعاه يتفق في كونه جزءا منه. فلاستثناء يخص القلة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام، وهم من جملة الناس. ويمكن القول أن المعاني الضمنية التي تتوافق فيها الآيات هي كثيرة، ولو تباعدت شكلا.

## - نموذج 2: لفظ "الأمة"

يقول التواتي في تفسيره للفظ (الأمة) الواردة في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار نوبيليس أنترناسيونال، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ج12، ص 2593 إلى 2595.

<sup>2</sup> - قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة، الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، ط3، 1988م، ص102.

أَحْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ<sup>ط</sup> فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا  
أَحْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ<sup>ث</sup> وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>١</sup>»

يقول: "وأصل (الأمة) الجماعة تجتمع على دين واحد"، ثم يكتفي بالخبر عن (الأمة) من الخبر  
عن (الدين) لدلالاتها عليه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، حيث فسر  
بها التواتي بن التواتي لفظة (الأمة) التي دلت على الجماعة<sup>2</sup>، كما يفسر ابن كثير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ  
شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

بقوله: "وهذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله، ويدل على ذلك قوله تعالى:  
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ، فلو كان هذا خطاباً لهذه الأمة ما صح أن يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وهم أمة واحدة، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى  
العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة، لا ينسخ منها شيء، ولكن  
تعالى شرع لكل رسول شرعة على حدة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ  
الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة،  
وجعله خاتم الأنبياء كلهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي  
مَا آتَاكُمْ﴾ ، أي: أنه تعالى شرع الشرائع المختلفة، ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثبتهم أو يعاقبهم  
على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموه عليه من ذلك كله.<sup>3</sup> ففي التحليل اللغوي فسر التواتي<sup>4</sup>  
لفظة (الأمة) بآية 48 من سورة المائدة وهذا ما يوضحه الجدول:

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية 213.

<sup>2</sup> ينظر: الدر الثمين، التواتي، ج 4، ص 13

<sup>3</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 08، ص 1667.

<sup>4</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 4، ص 13

شرح واستشهاد	اللفظة القرآنية
قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال التواتي بن التواتي: «وأصل (الأمة) الجماعة تجتمع على دين واحد، ثم يكتفي بالخبر عن (الأمة) من الخبر عن (الدين) لدلالاتها عليه	(الأمة)

لقد فسر التواتي الآية 213 من سورة البقرة وتحديدًا اللفظة القرآنية (الأمة) وشرحها، وبين معناها، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، وذلك حتى يبين أن الله خلق الخلق واختص لهم الدين الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من عبد الشمس، وآخرون عبدوا العجل وآخرون عبدوا النار وغيرهم، فأرسل الله تعالى الرسل والأنبياء حتى يرشدوهم ويبينوا لهم طريق الحق ويخرجوهم من الضلال الذي وقعوا فيه.

كما يرى ابن عاشور أن هذه الآية استئنفت استئنافًا بيانيًا، أي أن ما قبلها كان متعلقًا بالأمم السابقة، وذلك ما وضحه التواتي وابن كثير. فأما كونها بيانية فعنده-ابن عاشور- أنها أفادت بيان أحوال الأمم السابقة وسبب اختلافها، وهو نفس حال المشركين في زمنه صلى عليه وسلم. وهي مقدمة للكلام الذي بعدها لاختصاص الإسلام بالهداية.<sup>1</sup> فيكون بذلك الاستشهاد هنا للبيان.

### نموذج 3: لفظ "يزكي"

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

<sup>1</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 2، ص 299

الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

تدل الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى هذه الأمة محمدا صلى الله عليه وسلم، يزكيهم الله به، ويعلمهم الأحكام والشرائع، ويبلغهم رسالات الله، وأوامره، ونواهيه، وقد حشد لبيان معنى التزكية في الآية مجموعة من الآيات التي تتقاطع معها في ذلك، وذكر منها:

اللفظة القرآنية	شرح وتفصيل
	- قول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ سورة الشمس الآية 09
	- وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ (سورة النساء، الآية 49)
	- وقوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ (مريم 13)
	- وقوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة 103)
(يزكي)	- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ سورة لقمان الآية 12
	- قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّواْ أَنْفُسَكُمْ﴾ سورة النجم 32
	- وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ سورة البقرة آية 269

إنّ اعتماد المفسر لآلية الاستدعاء النصي، لبيان مفهوم لفظ التزكية، كشف عن وجود صورة من صو التناص الشكلي، والتي تتمثل في الإطناب. فقد بين من خلال ذلك أنّ التزكية لها أكثر من معنى، حيث قال: (يزكيكم) وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب:

- تارة إلى العبد لكونه مكتسبا لذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وتزكية الإنسان نفسه ضربان:

- أحدهما بالفعل: وهو محمود وإليه يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس)

- والثاني: بالقول كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم أن يفعله الإنسان بنفسه. وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلا وشرعا، ولهذا قيل لحكيم ما الذي لا يحسن وإن كان حقا؟ فقال: مدح الرجل نفسه<sup>1</sup>.

لقد بيّن المفسر أن معنى التزكية طهارة الإنسان، ويكون إما محمودا لتطهير النفس من الذنوب، وإما يكون مذموما لما يكون الإنسان يمدح نفسه اغترارا. والآيتان فيهما معنى التطابق، أو الطباق عند البلاغيين، فالأولى قررت الفلاح بالتزكية، والثانية سلبت المعنى المذموم منها.

وأضاف التواتي أن معناها "تارة ينسب إلى الله تعالى، لكونه فاعلا ذلك في الحقيقة، نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾".

- وتارة تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم، نحو قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ في سورة التوبة، وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾

- وتارة تنسب إلى العبادة التي هي آلة في ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ مريم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج3، ص74.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعليه؛ فالمفسر يؤكد في عنوان (لطائف بلاغية) أن الله تعالى قدم التزكية على التعليم قائلاً: "وفي هذه الآية قدم التزكية على التعليم، الظاهر أن المراد هنا هو التطهير من الكفر، كما شرحناه، وهناك هو الشهادة بأنهم خيار أذكىء، وذلك متأخر عن تعليم الشرائع والعمل بها"<sup>1</sup>. وأضاف: "وقيل: التزكية عبارة عن تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة إلا أنها توسطت بين التلاوة والتعليم المترتب عليها"<sup>2</sup>.

وجاء في تفسير ابن كثير معنى الآية من قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ما مفاده: أن الله تعالى يذكر عباده المؤمنين بما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات ويذكيهم أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق وذنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة.<sup>3</sup>

وقد بين ابن كثير سبب التزكية والتعليم، بحيث علمهم ما لم يكونوا يعلمون، بعد ما كانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفري، فانقلوا ببركة رسالته وبمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علماً وأبرهم قلوباً، وأقلهم تكلفها، وأصدقهم لهجة. وفصل معنى ذلك بما استشهد به بيانا لما تقدم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾<sup>4</sup> ودم من لم يعرف قدر هذه النعمة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم: 28)

1 - الدر الثمين، ج3، ص 79.

2 - نفسه، ص 79

3 - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 494 إلى 496.

4 آل عمران 164

### الفصل الثالث: التناص في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

قال ابن عباس: يعني بنعمة الله محمدا صلى الله عليه وسلم، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره<sup>1</sup>.

فالآية الكريمة دليل على فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه رحمة من الله تعالى لأُمَّته.

#### 2-3 تفسير آية بآية:

#### - نموذج 1: الاستدعاء والإطناب

يقول التواتي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>2</sup>

في عنوان "لطائف من نظم هذه الآية": «أسند التزيين إلى الملزوم اكتفاء به عن اللازم، مع أن اللازم هو الذي يكتفى به عن الملزوم بخلاف العكس، كما قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾، إذ لا يلزم تزيين الحياة الدنيا لهم محبتهم إياها...»<sup>3</sup>

فسر التواتي هذه الآية الكريمة بقوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَادِ ۝﴾<sup>4</sup>، وهنا يتجلى لنا الاستدعاء كآلية من آليات التناص، مع تفعيل آلية الشرح/ الإطناب:

الاستدعاء / الشرح	
﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ <sup>2</sup>	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ <sup>4</sup>

1 - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، ص494 إلى 496.

2 - سورة البقرة، الآية 212.

3 - الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، ج4، ص08.

4 - سورة آل عمران، الآية: 14.

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾	وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَاءِ ﴿٢﴾
--	---

بيّن المفسر أن الدنيا فانية، فرغم ما فيها من ذهب وأموال ونعم، إلا أنها ليست بدار بقاء، وأن الدار الآخرة هي الدار الأبدية التي لا موت فيها، كما بيّن أن بني إسرائيل اغتروا بالدنيا، وغرّتهم بكل ما فيها من نعيم، إلا أنه سيزول، كما أن الكافرين كانوا يسخرون من المؤمنين الفقراء، فاتخذهم الأغنياء سخرية.

يقول ابن كثير: «أخبر الله تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين، الذين رضوا بها واطمأنوا إليها، وجمعوا الأموال، ومنعوا عن مصارفها التي أمروا بها مما يرضي الله عنهم، وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم، وبذلوا ابتغاء وجه الله»<sup>1</sup> ويضيف عن المؤمنين الذين ارتقوا في الجنة في عليين يقول: «فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين، وخلد أولئك في الدركات في أسفل سافلين، ولهذا قال تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: يرزق من يشاء من خلقه، ويعطيه عطاء كثيرا جزيلا بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة كما جاء في الحديث: "ابن آدم، أنفق أنفق عليك"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنفق بلال ولا تخف من ذي العرش إقلالا..»

والمعنى أن التزيين لحب الشهوات من النساء، والبنين، والذهب والفضة، كل ذلك إنما هو ضمن الحياة الدنيا ومتاعها، وهو ما اغتر به الذين كفروا. فكان هذا الاستشهاد بالآية شرحا مفصلا للآية رقم 212 من سورة البقرة، يقارب التناص الشكلي.

- نموذج 2: التداخل والتفاعل:

<sup>1</sup> - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص634.

قال الله تعالى في سورة البقرة (الآية 218): ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قال التواتي عن هذه الآية الكريمة في عنوان (مناسبة هذه الآية لما قبلها): "لما أوجب الله تعالى الجهاد بقوله (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) وبيّن أن تركه سبب الوعيد، أتبع ذلك بذكر من يقوم به، ولا يكاد يوجد وعيد إلا ويتبعه وعد، وقد احتوت هذه الجملة على ثلاثة أوصاف، وجاءت مرتبة بحسب الوقائع والواقع، لأن الإيمان أولها، ثم المهاجرة، ثم الجهاد في سبيل الله<sup>1</sup>. وفيه تصريح بالترتيب المتوافق مع الوقائع.

ففسر الآية (218) من سورة البقرة بالآية (216) من سورة البقرة لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ

عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

مما يدل على وجود "تداخل" بين الآيتين:

تداخل / تفاعل	الآية المفسرة
لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ۚ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

الملاحظ أن هناك تداخلا وتتميما مع وجود تفاعل ظاهر بين الآيتين، فكلتاها تؤكدان على القتال والجهاد في سبيل الله، ونيل الأجر كما بينت الآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ بيان فرض القتال

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص41.

والجهاد في سبيل الله، في حين أن التولي والتخاذل عن الجهاد فيه إثم كبير توعده الله بالعقاب. كما أن المفسر أكد على وجود علاقة بين الآيتين ذلك في قوله كما أسلفنا الذكر.

### نموذج 3: التقابل

قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>1</sup>

قال المفسر في عنوان (من أسرار نظم الآية): "ومن بديع أساليب فصاحة القرآن الكريم أنه لما وصف صاحب النفقة وصفين، قابل ذلك هنا بوصفين، فقوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ مقابل قوله تعالى: ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ مقابل لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، لأن المراد بالتثبیت: توطين النفس على المحافظة عليه، وترك ما يفسده، ولا يكون إلا عن يقين بالآخرة»<sup>2</sup>.

التداخل	
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾

<sup>1</sup> الآية 265 من سورة البقرة

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص442.

### الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

<p>فَأَصَابَهُ وَأَبِلُ فَرَكَهُ صَدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ<sup>1</sup></p>	<p>فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَأَبِلُ فَطَلُّ<sup>2</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ</p>
--	---

بين الآيتين تقابل كما وضح التواتي، يتمثل في هذا التناص الضمني، الذي يقارن بين من ينفق لله، ومن ينفق لغير الله. وذلك من أوجه البلاغة في القرآن، وهي عاداته في مواضع عدة، تبيننا منه سبحانه لما يكون لكلا الفريقين. وقد سبق في السبك أن أشرنا لما يقتضيه معنى الموصول "الذين" من استحضار المذكورين كأهم نصب العين.

فقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيَةً...﴾ تدل على عظيم الجزاء الذي يناله من ينفق لوجه الله تعالى بكل إخلاص، وقد فسرها ابن كثير بقوله: "وهذا مثل المؤمنين المنفقين ﴿أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ عنهم في ذلك ﴿وَتَثْبِيَةً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: وهم متحققون مثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء... قال الشعبي: ﴿وَتَثْبِيَةً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: تصديقا وبقينا. وكذا قال قتادة، وأبو صالح، وابن زيد، واختاره ابن جرير. وقال مجاهد والحسن: أي: يثبتون أين يضعون صدقاتهم»<sup>2</sup>.

### 3-3 تفسير آية بايتين:

#### نموذج 1: إزالة اللبس

قال الله تعالى في سورة البقرة الآية (147): ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أكد التواتي أن هذه الآية تدل على الحق الذي بُعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «اعلم يا محمد أن الحق ما أعلمك ربك وآتاك من عنده، لا ما يقول لك اليهود

<sup>1</sup> الآية 264 من البقرة.

<sup>2</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، من ص 808، 809.

والنصارى»<sup>1</sup>. ثم فسرهما بآيتين؛ وهو قوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>ط</sup> (الحجرات 12) وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>ع</sup> (آية 36- سورة يونس)

سعى التواتي لبيان معنى الآية بآيتين كريمتين، كلها تصب في معنى عدم الاكتراث بما يقوله اليهود والمنافقون في التشكيك بالدعوة المحمدية. إن مضمون: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>ط</sup> فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ أُمَّمْتَيْنِ﴾ يدل على تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم بأن القبلة التي وجهها إليه الله، وهي الكعبة ليس عبثاً، بل هو الحق من الله. وهذا ما دل عليه المفسر بقوله: «هذا خبر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن أن القبلة التي وجهه نحوها هي القبلة الحق التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن، ومن بعده من أنبياء الله عز وجل. فلا تكونن من الشاكين في أن القبلة التي وجهتك نحوها قبلة إبراهيم عليه السلام، وقبله الأنبياء غيره، والمترددون في كتمانهم الحق عالمون به، أو في أنه من ربك»<sup>2</sup>.

أما الآيتان اللتان فسر بهما الآية السابقة، فإن الأولى، وهي قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>3</sup> تدل أن من الظن ما هو إثم، خاصة لما يكون التشكيك في دين الله تعالى، فمضمونها يتقاطع مع مضمون الآية (147 سورة البقرة) قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>ط</sup> فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ أُمَّمْتَيْنِ﴾. حيث جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: "إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ": "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الدر الثمين، ج3، ص 51

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

<sup>3</sup> سورة الحجرات الآية 12

<sup>4</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج22، ص4864 إلى 4873.

## الفصل الثالث: التناص في التزمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

أما الثانية فهي قوله تعالى في سورة يونس (الآية 36) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ، لأن الشك لا ينفع في شيء بل يزيد لبسا وغموضا.

يذكر ابن كثير أن الله بيّن أنهم لا يتغنون في دينهم هذا دليلا، وإنما هو ظن منهم أي توهم

وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، تهديد لهم، ووعيد شديد لأنه تعالى

أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء.<sup>1</sup>

إننا نلاحظ وجود تفاعل، وتشابه بين مضمون الآيتين المستدلّ بهما. وفي المقابل، لا علاقة

ظاهرة بينهما وبين ما استدلّ له، فهو مقارنة نصية ضمنية، تتوخى إزالة اللبس عن الآية من سورة

البقرة.

تفاعل	الآية الكريمة
- قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾	قال الله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ط فَلَآ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	

فآليات الثلاثة التي قاربها مع بعضها حتى يبيّن أن التشكيك في دين الله شيء عظيم،

يعاقب الله عليه. وهو ما ذكره الطبري الجزء الثالث تفسير سورة البقرة الآية 147 من قوله: «يقول

الله تعالى ذكر له: فاعمل بالحق الذي أتاك من ربك يا محمد ولا تكونن من الممترين»<sup>2</sup>، أي أن الله

دعا نبيه صلى الله عليه وسلم إلى عدم التشكيك في دعوته، وأنه على حق وإن كذبه الكفار

والمنافقون.

### نموذج 2: التطابق

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج22، ص4864 إلى 4873.

<sup>2</sup> - تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تح: محمود محمد شاكر، دار الجوزي، القاهرة، مصر، 2008،

ج3، ص190.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>1</sup>  
سورة البقرة، الآية 154

تدل هذه الآية الكريمة على عظيم الجزاء الذي يجده المجاهدون والمقاتلون في سبيل الله وما أعدده الله لهم يوم القيامة في الجنة، يقول المفسر في عنوان (بيان وتوضيح) عن هذه الآية: «لقد علمنا تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم، فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى الجنة فيشتمون منها ريحها، ويستعجلون الله قيام الساعة، ليصيروا إلى مساكنهم منها، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها»<sup>1</sup>.

ولقد استدل المفسر بآيتين من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>2</sup> فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»<sup>2</sup>.

استشهد التواتي بآيتين لهما نفس المعنى، فكلاهما تدلان على أن من قتلوا في سبيل الله أحياء عند الله تعالى. وهذا نوع من التطابق في الشكل والمضمون، مع أن الآيتين من آل عمران فيهما مزيد بيان لأحوال الذين استشهدوا.

تطابق	
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ <sup>2</sup> فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» <sup>2</sup>	قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ <sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص95.

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، الآية: 169-170

فآيات تنفي موت من قتل في سبيل الله، وثبت أنهم عند الله أحياء يرزقون. يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: " .. عن قتادة قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ ۗ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ كنا نحدث: أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم سدرة المنتهى، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من الخير: من قتل في سبيل الله منهم صار حيا مرزوقا، ومن غلب آتاه الله أجرا عظيما، ومن مات رزقه الله رزقا حسنا»<sup>1</sup>.

### نموذج 3: التفصيل

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۗ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۗ﴾<sup>2</sup>

فسر التواتي هذه الآية الكريمة بآيتين كريمتين من سورة البقرة:

- قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۗ﴾<sup>3</sup> 261 سورة البقرة.

- قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۗ﴾<sup>4</sup> 265 سورة البقرة.

وكلتا الآيتين الكريمتين تدلان على الإنفاق، وقد بين المفسر أن الإنفاق على ثلاثة:

«1- الإنفاق الأول: الإنفاق في سبيل الله وهو إنفاق في عالم الملك عن مقام تجلي الأفعال وإلى هذا أشار سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ۗ﴾ البقرة 261.

<sup>1</sup> - جامع البيان في تفسير آي القرآن، الطبري، ج3، ص 199.

<sup>2</sup> سورة البقرة 267

## الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

2- الإنفاق الثاني: الإنفاق عن مقام مشاهدة الصفات وهو الإنفاق لطلب رضا الله تعالى، وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾<sup>1</sup>، ومن تمثيله بجنة يعلم مقدار فضل على الأول المتمثل بجنة، فضل أحدهما على الآخر كفضل الجنة على الجنة<sup>2</sup> وما «يزيد في الفرق أن الجنة مع إيتاء أكلها تبقى بحالها بخلاف الجنة، ولتأكيد الإشارة إلى ارتفاع رتبة هذا الإنفاق على الأول أتى بالربوة وهي المرتفع من الأرض.

3- الإنفاق الثالث: الإنفاق بالله تعالى وهو عبارة عن مقام شهود الذات وهو إنفاق النفس بعد تركيتها. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾<sup>3</sup>.

الآية الكريمة	تفصيل / مزيد بيان
قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ...﴾	- قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ...﴾ - قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ...﴾

استدل التواتي بآيتين كريمتين من سورة البقرة حتى يوضح أصناف الإنفاق، ويبين أن الإنفاق نوعان: نوع فيه المن والأذى، ونوع دون ذلك قصد ابتغاء رضا الله تعالى ونيل رضاه.

<sup>1</sup> البقرة 265

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص452.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص452، 453.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإففاق والمراد به الصدق ها هنا. قال ابن عباس من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها. قال مجاهد: يعني التجارة بتيسيره إياها لهم.

وقال علي والسدي: (من طيبات ما كسبتم) يعني: الذهب والفضة، ومن الثمار والزرع التي أنبتها لهم من الأرض، قال ابن عباس: أمرهم بالإففاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق بردالة المال ودنيه وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ أي: تقصدوا ﴿الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ أي: لو أعطيتموه ما أخذتموه، إلا أن تتغاضوا عنه، فالله أغنى منه عنه منكم، فلا تجعلوا لله ما تكرهون»<sup>1</sup>.

#### نموذج 4: التطابق

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الآية 149 من سورة البقرة)

تؤكد الآية الكريمة أن القبلة تكون باتجاه الكعبة، كما أنها جاءت تأكيدا للآيات التي سبقتها، حيث نجد المفسر يستحضر بعض الآيات التي تصب في نفس المعنى. ونجد ذلك فيما أورده من آيات، منها قوله تعالى: "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ<sup>ع</sup> وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ<sup>د</sup>" (الآية 150 سورة البقرة).

أما الآيات التي قارب بها ما تقدم، فهي قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ<sup>ط</sup> فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا<sup>أ</sup> فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ<sup>ب</sup> وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ<sup>د</sup> وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ<sup>ه</sup> وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (144 سورة

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، ص811 إلى ص817.

### الفصل الثالث: التناص في الّزّ الثّمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

البقرة). فهذه الآية لها نفس المعنى الذي تتضمنه الآية (149) كما فسرها ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾<sup>1</sup>.

هذه الآية تتضمن كذلك معنى السابقتين، فهي تتضمن التأكيد على تحويل القبلة اتجاه الكعبة المشرفة مع التأكيد أن هذا الدين هو الدين الحق لقطع الشك باليقين، حيث جاء تفسيرها عند ابن كثير أن أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا، وكان يجب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ إِلَى قَوْلِهِ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ﴿مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقال: ﴿فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ (البقرة 115)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾<sup>1</sup>.

لقد كانت هاتان الآيتان من سورة البقرة مؤكدتان على أن تحويل القبلة اتجاه الكعبة المكرمة ما هو إلا رفع لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن الآيات الثلاثة تحمل مضمونا واحدا، تداخلا عن طريق التطابق اللفظي، والمعنوي، وتفاعلا فيما بينها:

الآية الكريمة	التفاعل / تطابق
قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بَغْفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 2، ص 486 - 490،

إنَّ وجود نفس المعنى بين الآيتين يؤكد توجيهه للقبلة باتجاه الكعبة، وهذا ما أكد عليه الطبري في تفسيره للآية: "قال أبو جعفر، يعني جل ثناؤه بقوله: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) ومن أي موضع خرجت إلى أي موضع وجهت، فول يا محمد وجهك يقول: حول وجهك وقد دللنا على أن "التولية" في هذا الموضع شطر المسجد الحرام، إنما هي: الإقبال بالوجه نحوه. (...). وأما قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فإنه يعني به تعالى ذكره: إن التوجه شطره للحق الذي لا شك فيه من ربك فحافظوا عليه، وأطيعوا الله في توجهكم قبله»<sup>1</sup>.

#### نموذج 5: السؤال والرد

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>2</sup>.

يقول التواتي: «إن معنى الآية فإن المسلمين كرهوا القتال في الشهر الحرام فسألوا عنه، فكان الجواب من قبل الله تعالى، قال لهم: نعم، إن القتال في الشهر الحرام إثم كبير، ولكن أكبر منه ما حدث من أعدائكم من صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وإخراج المسلمين من مكة، وكان إيذاؤهم للمسلمين لإخراجهم من دينهم أكبر من كل وقت، ولذلك القتال في الشهر الحرام لقمع الشرور فهو عمل كبير يتقى به ما هو أكبر منه»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج 3، ص 198.

<sup>2</sup> - سورة البقرة، الآية: 217.

<sup>3</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج 4، ص 38.

إنّ السؤال والجواب من مقتضيات التناص، باعتبار التقاطع الموضوعي بينهما، وقد فصلّ

التواتي في بيان الجواب بما استشهد به من آيات:

- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾<sup>1</sup>. لما فيها من أمر بالقتال.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾<sup>2</sup> لما فيه من وجوب التصدي للعدوان، وهي حكمة الله في خلقه، حفظاً لمصالحهم.

حيث جاء في تفسير ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

الْأَرْضُ﴾ أي: لولا يدفع قوم آخرين، كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود

لهلكوا، كما قال: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (40 الحج).<sup>3</sup>

أما عن قوله تعالى: ﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ فيقول ابن كثير في تفسيرها: «وقوله:

﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ أي: جميعكم ﴿كَمَا يُقَتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ أي: جميعكم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام: هل هو منسوخ أو

محكم، فيحتمل أنه منقطع عما قبله وأنه حكم مستأنف، ويكون من باب التهيج والتحريض، أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربكم.<sup>4</sup>

والظاهر أنّ الآيات من سورة البقرة وآية التوبة، وآية الحج التي سبق ذكرها كلها تقاطعت في

بيان أحكام القتال؛ إما بالأمر به، أو بالأمر بالتصدي لمن قاتل، أو ببيان علة التدافع لذلك لما بيّناه.

<sup>1</sup> الآية 36 من سورة التوبة

<sup>2</sup> الآية 251 من سورة البقرة.

<sup>3</sup> - تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج 4، ص 771 - 772

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 11، ص 2372-2379

- نموذج 1: تناص ضمني

في تفسير الآية 213 من سورة البقرة، قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾<sup>1</sup>

علّق معناها بما قبلها: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾<sup>1</sup>، من حيث أنها تختص بمن كفر من الأمم السابقة، وقد كان الحاصل في الأزمنة المتقدمة أن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق-وهو ما أشرنا إليه في نموذج متقدم- وما كان اختلافهم بسبب البغي والحسد والتنازع في طلب الدنيا.<sup>2</sup> بحيث أنهم خرجوا عن عبادة الله، فأرسل إليهم تعالى الرسل، يدعوهم لعبادة الله الأحد.

ثم بين أن من الناس من كان سفيهاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>3</sup> وذكر ابن كثير في تفسيره لها أن المراد بالسفهاء المشركون من العرب، وقيل: أحبار اليهود، وقيل: المنافقون. ويعقب بعد سوق الأقوال أنّ الآية عامة في هؤلاء كلهم.<sup>4</sup>

ثم قارب التواتي الآية المذكورة بآية من البقرة: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾، وأنها خطاب لمن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الآية 212 من البقرة

<sup>2</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج4، ص11.

<sup>3</sup> الآية 142 البقرة

<sup>4</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج2، ص178.

<sup>5</sup> ينظر: الدر الثمين، ج4، ص12

ذكر ابن كثير معناها بأن الله تعالى أمر عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله، أن يأخذوا جميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك. وأن الدنيا دار اختبار، واستحضر في ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتحنوا، كما فعل باللذين من قبلكم من الأمم<sup>1</sup>.

فيكون بذلك تداخل بين الآيات في بيان معنى الإيمان بالله، وما يقابله من الكفر به وبشرائعه، وفيه مقابلة لما سلف من الأمم السابقة وما كان في زمنه صلى الله عليه، ولا غرو أن من أشرك إنما فتنته الدنيا بزخارفها، فجعلته يكذب بالرسالة. وكل هذه المعاني كانت ضمن مجموع الآيات التي سبقت في بيان معنى الآية 213 من سورة البقرة.

## - نموذج 2: تنمة المعنى

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>2</sup>

في (المعنى الإجمالي) للآية يذكر التواتي أنها اشتملت على جمل عظيمة، وقواعد عميقة، وعقيدة مستقيمة، إذ إن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم حولهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين. فأنزل الله بيان حكمته في ذلك؛ وهو أن المراد هو طاعة الله عز وجل وامتنال أوامره<sup>3</sup>. ثم استدل بآيتين:

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص636.

<sup>2</sup> سورة البقرة: 177

<sup>3</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج3، ص252.

تداخل	
<p>قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ مآ أريد                  مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ                  الْمَتِينُ ﴿٥٦﴾ الذاريات 56-58</p> <p>وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ                  قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ                  بِنَاءً ... ﴿٢١﴾ البقرة 21</p>	<p>قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ                  تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ                  وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ                  بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ البقرة                  177</p>

استشهد المفسر بأية الذاريات المتضمنة على قصدية الخلق، المتمثل في العبادة، إضافة للآية من سورة البقرة التي تأمر بها بصريح العبارة. وذلك لإفادة معنى التتمة لمعنى البر في الآية المفسرة. حيث إن العبادة لا تكون إلا بعد تحقيق إيمان.

فالآية عظيمة في مدلولها، وهي من أمهات الأحكام، حيث تضمنت 16 قاعدة، كما نقلها التواتي: الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته، والنشر، والحشر، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار، والملائكة، والكتب المنزلة، وأنها حق من عند الله، والنبين، وإنفاق المال فيما يصف من الواجب والمندوب، وإيصال القرابة، وترك قطعهم، وتفقد اليتيم، وعدم إهماله، والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل وهو المنقطع به في قول، والضيف في قول آخر، والسائل، وفك الرقاب، و المحافظة على الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر على الشدائد<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج3، ص 262

نموذج 3: تناص شكلي في لفظ واحد

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ

سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾<sup>1</sup>

استشهد المفسر بعدة آيات قصد الإطناب حتى يبيّن المواضع التي ذكر فيها العدد (سبعة)

وهذه الآيات هي:

- قوله تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ الْحَاقَّةِ﴾ (07)

- وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ﴾ يوسف 43

- وقوله تعالى: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرِ﴾ يوسف 46.

- وقوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فصلت 12

- وقوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ يوسف 47

- وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ التوبة 80

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ الحاقة 32

تدل الآية الكريمة على أن الذي ينفق، ويتصدق في سبيل الله له أجر عظيم. والله يضاعف له

بكرمه، وفضله، ثم يضاعفه أكثر لمن يشاء.

يسوق ابن كثير عن هذه الآية مجموعة من المعاني، بعد أن بيّن أن هذا مثل ضربه الله تعالى

لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة

ضعف، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

- أي في طاعة الله.

<sup>1</sup> البقرة، الآية 261.

- الإنفاق في الجهاد، من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك.

- الجهاد والحج، يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف. ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾

وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف.<sup>1</sup>

فكانت هذه الآية محفزة للمسلمين كافة إلى السعي للخير والإنفاق في سبيل الله لنيل أعلى الدرجات عند الله تعالى.

أما ما استشهد به التواتي فهو من باب بيان أن العدد سبعة يقصد به التضعيف جملة، أما معاني تلك الآيات فلا تتداخل مع الآية المفسرة، إلا في لفظ واحد فيما ذكرنا. وبهذا يمكن أن نصنف هذا ضمن التناص الشكلي من حيث اللفظ الواحد.

#### نموذج 4: الإطناب في البيان

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا<sup>١</sup> وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ<sup>٢</sup>﴾

عرض التواتي لمجموعة الآيات التي تتقاطع في بيان الحكم الشرعي مع هذه الآية، وعنون لذلك ب: "مسألة أصولية"، وكانت هذه الآيات كالاتي:

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، بن كثير، ج4، ص803 إلى 805.

<sup>2</sup> سورة البقرة، 219

## الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر 7) وهي في بيان الأمر بالاتباع.

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (المائدة 91) وهي متعلقة ببيان مضار الخمر وغيره.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ﴾ (الأعراف 33) وهي متعلقة بحكم التحريم للفواحش الظاهرة والباطنة.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ (المائدة 93) وهي في بيان ما أحل الله بالشروط المذكورة فيها.

وكل هذه الآيات تدل على ما نهى الله تعالى عنه، وما أحله. فهما حكمان متقابلان. وفي مستهلها سؤال من الصحابة لرسول الله، عقبه الجواب، فكان ذلك تناصا ضمنيا. قال فيه التواتي: "وعليه فقد تضمنت هذه الآية الشريفة إخبار الله تعالى عن المؤمنين، أنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر والميسر، فوقع ما أخبر الله تعالى، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبر من سأله عنهما بأنهما قد اشتملا على إثم كبير، فكان هذا الإخبار مدعاة لتركهما، ودل ذلك على تحريمهما، والمعنى أنه يحصل بشرب الخمر واللعب والميسر إثم، وما اكتفى بمطلق الإثم حتى وصفه بالكبر في قراءة، وبالكثير في قراءة، فحيث وصف الإثم بالكبير، وكان من أعظم الآثام وأوغلها في التحريم"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص49.

وعرض أثناء التحليل لما تقاطع في السؤال والجواب قوله الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ<sup>ط</sup> قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ<sup>ط</sup> وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى<sup>ط</sup> وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا<sup>ط</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ (سورة البقرة) 189

يقول التواتي في "التحليل النحوي": "إن الضمير في (يسألونك) ضمير جمع على أن السائلين جماعة، وإن كان من سأل اثنان، كما روي، فيحتمل أن يكون من نسبة الشيء إلى جمع، وإن كان ما صدر إلا واحد منهم أو اثنين، وهذا كثير في كلامهم"<sup>1</sup>. ثم وسع البيان فيما يخص السؤال، فاستدعى نصوصاً أخرى:

- قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ<sup>ط</sup>﴾ الإسراء 85

- وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَّعًا﴾ الأحزاب 53

- وقال الله تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء 32

- قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ طه 105

لقد اتبع التواتي في استدعائه للنصوص السابقة نفس الأمر فيما تعلق بالعدد سبعة، إذ لم يهتم بالسياقات في تلك النصوص، بقدر ما أولى للفظ من أهمية في بيان معناه. وهذا التداخل بين الآيات يتمثل فيما تتحدث عنه من سؤال المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن: الأهله، وهو من الظواهر الفلكية وكان سؤالهم ذاك حتى يعرفوا كيف يتعاملون معها وحتى يعرفوا متى الصيام ومتى التوقف عنه فرضاً، ومتى يكون الحج وغير ذلك. أما الآيات القرآنية فمنها ما ظاهره سؤال، لكن باطنه دعاء، مثل قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فمضمون هذه الآية يدل على الحث للمسلمين على الدعاء، دعاء الله وحده وطلب الرزق منه، في حين أن قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ هو سؤال واستفسار عن الروح.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص438.

أما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَّعًا﴾ ليس هو السؤال في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، ذلك أن السؤال في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يستدعي الدعاء وانتظار الإجابة من الله، أما السؤال في الآيات الأخرى فهو يختلف حسب سياقها، وحسب الغرض والقصد.

وعن الآية (189 من سورة البقرة) يقول التواتي: "وفي هذه الحالة يحتاج الأمر إلى تدبر وتعمق في فهم الآية: فالسؤال عن الأهلة والإجابة عنها: بأنها مواقيت للناس والحج، ولكن ما صلة ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، عن ذلك يجيب الشوكاني في تفسيره فيقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ فيه بيان وجه الحكمة في زيادة الهلال ونقصانه وأن ذلك لأجل بيان المواقيت التي يوقت الناس عباداتهم ومعاملاتهم بها كالصوم والفطر والحج ومدة الحمل والعدة والإجازات وغير ذلك...»<sup>1</sup>.

وقد دلت الآية على بيان شأن الهلال في معرفة المواقيت، والأشهر والعدة والسنوات.

أما في عنوان "ما يستفاد من هذه الآية الكريمة" نجد أن المفسر توسع في بيان السؤال في آيات أخرى، منها قوله تعالى:

- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾

- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾

- وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ المائدة 4

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ البقرة 219

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الأنفال 1

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص439.

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الأعراف 187

- وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف 83

- وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ الطلاق 1

- وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

- وقوله تعالى: ﴿لَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَابِهِمْ تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ البقرة 226

- وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ طه 36

- وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء

85

فكان استشهاده بهذه الآيات في "ما يستفاد من الآية الكريمة" في شرحه للفظ القرآنية (يسألونك) توسعا في بيان هذه التقاطعات بين الآيات. وأخذ من التفاسير ما يلي الحاجة حتى يبين أن الأمر واسع في مجال البحث وأن السؤال متعدد فمنه: «ما كان تعليميا، ومنه كان للجدل»<sup>1</sup>. وبما أن المعرفة والتعلم يقتضيان طرح السؤال، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور يطلبون بيانا لإقامة شرع الله في أنفسهم.

### نموذج 5: التحادي

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ

وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۗ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ

بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿٢٨٥﴾<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص442، 443.

<sup>2</sup> سورة البقرة 185

لقد استشهد التواتي<sup>1</sup> بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ

الْعَالَمِينَ﴾<sup>2</sup> وبقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾<sup>3</sup>

الملاحظ أن هناك تباعدا بين مضمون الآيتين ومقارنتهما مع الآية 185 من سورة البقرة بحيث أن لكل آية مضمونها الخاص، ذلك أن الآية 185 من سورة البقرة تدل على ركن الصوم ووجوب صومه لكل من له استطاعة وقدرة، في حين أن الآية (33) من سورة آل عمران تدل على تفضيل النبي آدم عليه السلام ونوح وآل عمران من الأنبياء على كل العالمين، أما الآية (27) من سورة الحج فهي تدل على ركن الحج وهو نفسه التحاذي، إلا أن كل آية منها تحافظ على وجودها داخل النص.

ولعل المعنى الذي يجعل من هذه الآيات تلتقي فيه، هو التفضيل، فكما أن في البشر مفضّلون، ففي الشهور والعبادات أيضا تفضيل، وأوقات مخصوصة، بهيئات مخصوصة.

#### - نموذج 6: التداخل

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾<sup>4</sup>

استشهد المفسر بآيات قرآنية في عنوان "التحليل اللغوي"، وهذه الآيات:

- قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج 3، ص 348

<sup>2</sup> (آل عمران 33)

<sup>3</sup> سورة الحج (27)

<sup>4</sup> سورة البقرة: 183

<sup>5</sup> سورة التوبة (51)

- وقال الله تعالى: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: 53

- وقال سبحانه: ﴿يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ المائدة 21

وذلك لما شرح اللفظة القرآنية (كتب) مستدعياً تلك الآيات التي تتقاطع مع الآية السابقة من حيث اشتغالها على لفظ (كتب). وكان القصد من ذلك هو الشرح والتوسيع للمعنى المراد. يرى التواتي أن معنى لفظ "كتب" هو: "أصل الكتاب ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ، ثم يتفرع منه المعاني"<sup>1</sup>.

وخلال "التحليل النحوي" عرض لعدة آيات أخرى، تمثلت في:

- قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام: 12

- وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ إنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ المجادلة: 21

- وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ المجادلة: 22

- وقال سبحانه: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ المائدة: 45.

يقول في بيان كيف كتب الصوم: "إن إيجاب الصوم يعني هذه العبادة كانت مكتوبة واجبة على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم"<sup>2</sup>.

#### نموذج 7: التناص الشكلي والمعنوي

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص315.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص318.

يرى التواتي أن آية الكرسي تضمنت مجموع آيات<sup>1</sup>، لفظا وسياقا، وذلك من أظهر أوجه

التكامل الشكلي والمعنوي، وتلكم الآيات كالتالي:

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ سورة المدثر.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ سورة طه، الآية

109

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ سورة الشرح، الآية: 5

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ

مُشْفِقُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 28)

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ المدثر، الآية: 42

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ سورة الزمر الآية 52.

أما قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز

وجل أنه لا يتجاسر أحد على أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه له في الشفاعة، كما في حديث

الشفاعة: آتي تحت العرش فأخر ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم قال: ارفع رأسك

وقل تُسمع واشفع تشفع، قال: فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة»<sup>2</sup>.

ثم يتوسع في بيان معنى الشفاعة، بعرض الآيات التالية:

- قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الآية 79 سورة الإسراء)

- وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ سورة المدثر، الآية 48.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 333

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 334.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ سورة الأنبياء، الآية 28
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ سورة سبأ، الآية 23
- وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ سورة الأعلى، الآية 1.
- وقوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة التوبة، الآية: 21

### نموذج 8: التوسيع

وفيه توسيعات كثيرة، سندكرها بالترتيب الآتي، وذلك في قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 181

وقد سبق الإشارة لشيء منها، أما في هذا الموضع فقد أخذنا ما ساقه التواتي<sup>1</sup> حول القرآن، مستعرضاً ما يلي من الآيات:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قُرْآنُهُ قُرْءَانُهُ ﴿١٨﴾﴾ سورة القيامة، الآية 17:18
- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ سورة النحل، الآية 98
- وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ سورة الجن الآية 1
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الأحقاف الآية 30.
- وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة النحل الآية 89.

وفي عنوان (حقيقته) يعرض لآيات أخرى:

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج3، ص 357

### الفصل الثالث: التناص في التزمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

- قوله تعالى: وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴿٥٨﴾ سورة المجادلة الآية 08
- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ سورة الملك 13.
- أما في شرحه للفظ (الفرقان) فقد استشهد المفسر بعدة آيات قرآنية وهي قوله تعالى:
- ﴿فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿١٠٤﴾﴾ سورة المرسلات الآية 04.
- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴿٤١﴾﴾ الآية 41 من سورة الأنفال.
- وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ ﴿١٠٦﴾﴾ سورة الإسراء 106.
- وهذا التوسيع في تتبع الألفاظ كان بقصد بيان المعنى المراد، وهذا يضمن للتناص الشكلي.

الآية الكريمة	شرح / استشهاد
قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴿٥٨﴾﴾	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿٩٩﴾﴾ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴿١٠١﴾﴾ ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴿٥٨﴾﴾ ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾

وفي شرحه للفظ القرآنية (فرقان) استدلل بهذه الآيات

اللفظة القرآنية	استشهاد
(الفرقان)	﴿فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿١٠٤﴾﴾ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾

أما في عنوان "أوجه القراءات وتوجيهها" فقد استشهد المفسر بعدة آيات قرآنية هي:

﴿قُلْ إِنْ أَلَمَّوْتِ الَّذِي تَفْرُوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ سورة الجمعة الآية 08

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ سورة البقرة الآية 217

وقوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ سورة البقرة 184

وقوله تعالى: ﴿دَعَاْنَا لِحُجْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ سورة يونس الآية 12.

وقوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ﴾ 58 يونس

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ 185 سورة البقرة

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية 03 من سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَهَلِ الْكٰفِرِينَ أَنْمَهَلُهُمْ رُؤَيْدًا﴾ سورة الطارق

وقوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰهِيْمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ﴾ سورة الأنعام الآية 75.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَلَيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ سورة الأنعام الآية (96)

فكل الآيات التي استدل بها المفسر لشرح وتفسير الآية (185) من سورة البقرة، كان غرضه منها الشرح والتوسيع. وفي هذا تجلٍ لآلية التتميط، وهو نفسه الإطناب، لكن المفسرين اختاروا لذلك اصطلاح تفسير القرآن بالقرآن، وما هو إلا لبيان المعنى الواحد.

يقول ابن كثير: "يمدح الله تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء...". وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "أنزل الله القرآن في

النصف من شهر رمضان إلى السماء الدنيا فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة لجواب كلام الناس»<sup>1</sup>.

وأضاف ابن كثير: "قال فخر الدين: ويحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثله من اللوح إلى سماء الدنيا، وتوقف، هل هذا أولى أو الأول؟<sup>2</sup> ... وحكى الرازي عن سفيان بن عيينة وغيره أن المراد بقوله: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: في فضله أو وجوب صومه<sup>3</sup>، وهذا غريب جدا. وقوله ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَيَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه، ﴿وَيَبَيِّنَاتٍ﴾ أي: دلائل وحجج بينة واضحة جلية، "من فهمها وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام"<sup>4</sup>.

#### نموذج: التوسيع للبيان

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ<sup>ط</sup> فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ<sup>ط</sup> كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ<sup>٥</sup>﴾

لقد فسر التواتي بن التواتي هذه الآية بعدة آيات أخرى، والآيات هي:

قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾

وقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ الآية 14 سورة الذاريات

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 548 - 554.

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب، الرازي، ج 5، ص 253

<sup>3</sup> مفاتيح الغيب، الرازي، ج 5، ص 253

<sup>4</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج3، ص 548 إلى ص 554.

<sup>5</sup> سورة البقرة 191

وقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ سورة التوبة الآية 49

وقوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ سورة طه الآية 40

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة الأنبياء

وكل هذه الآيات ذكرها التواتي في شرحه للفظ القرآنية (فتنة) في عنوان التحليل اللغوي وقصده من ذلك الشرح.

قام التواتي باستدعاء عدة آيات قرآنية حتى يشرح اللفظة القرآنية (الفتنة)، كما نلاحظ تداخلا بين هذه الآيات، لأن كل آية منها ذكر فيها نفس اللفظ باشتقاقاته. يقول الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ قال: أبو جعفر يقول الله تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة، يعني: حتى لا يكون شرك بالله ولا حتى لا يعبدونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان»<sup>1</sup>.

كما أن التواتي استشهد بقوله تعالى: ﴿قَتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا﴾<sup>2</sup>

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ آل عمران، الآية 146.

وفي المعنى الإجمالي استشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ سورة البروج 10

وقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ آية 14 سورة الذاريات

وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ 193 سورة البقرة.

وهذا أيضا توسيع، كونه استدل بعدة آيات قرآنية حتى يبين حكم الله تعالى في القتل مع اشتراطه الابتداء من طرف المشركين فقط.

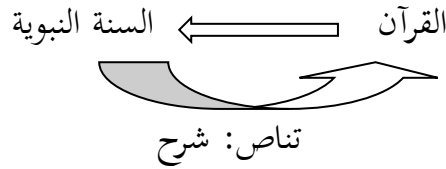
<sup>1</sup> - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج 3، ص 570.

<sup>2</sup> آل عمران الآية 146

#### 4- تفسير القرآن بالحديث:

وهو مما درج عليه المفسرون، وفضلوه بعد تفسير القرآن بالقرآن. وقد أشار لذلك التواتي في مقدمة الدر الثمين، لكونها-السنة-شارحة للقرآن، موضحة له.<sup>1</sup> وقد أوضحنا سابقاً أننا لا نقصد بهذا أن القرآن يتناص مع الحديث النبوي بالمفهوم المعهود في الدراسات حول التناص، بل إن السنة هي التي تناصت مع القرآن، باعتبار أنها مبيّنة، وشارحة له، لذلك لن نعنون في النماذج، نظراً لكون السنة شرحاً لما أشكل فهمه من الآيات، ويكون ذلك إما بالبيان المباشر أو بذكر أسباب النزول.

استمداد



#### 4-1 تفسير آية قرآنية بمجموعة أحاديث نبوية

##### نموذج 1:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَّدَقَتِ فَبِعَمَّا هِيَ<sup>ط</sup> وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُوْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ<sup>ع</sup> وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ<sup>ط</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ<sup>ص</sup>﴾<sup>2</sup>.

لقد استشهد المفسر بعدة أحاديث نبوية لبيان معنى هذه الآية، حيث استدل في عنوان (التحليل النحوي) لشرح اللفظة القرآنية (فبعمّا هي) بقوله صلى الله عليه وسلم: "هذا وُضوءٌ لا يَقْبَلُ اللهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ"<sup>3</sup>.

1 ينظر: الدر الثمين، ج 1، ص 31

<sup>2</sup> 271 سورة البقرة

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 486. حديث رقم 1080، معجم ابن المقرئ، أبو بكر محمد الأصبهاني، تح:

عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط 1، 1998، ص 330

كما أنه استدل في عنوان: (دلالة آية) بقوله صلى الله عليه وسلم: «الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصدقةِ، والميسرُ بالقرآنِ كالميسرُ بالصدقةِ»<sup>1</sup>. وأضاف: «والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذ خرج منه حتى يرجع إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه»<sup>2</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبا، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها كما يربي أحداكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»<sup>3</sup>.

وقد بين ابن عاشور أن الآية استئناف بياني، لقوله تعالى: "وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه"<sup>4</sup> وعليه، فإنّ البيان الذي تطلبه التواتي كان من خلال الأحاديث للتفصيل في فضل الصدقة التي تكون في السر، وهو دليل على أن تلك الأحاديث النبوية تتقاطع مع نص الآية الكريمة، وأنّ التعالق بينهما للإيضاح والتقريب. في حين أن الحديث النبوي: "هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به"، لا علاقة له بالصدقة. بل هو في معنى التمام والحسن المطلوب في كل عبادة.

## نموذج 2:

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص487، 488. حديث رقم 1333، سنن أبي داود، أبو داود بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج2، ص38

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص488. حديث رقم 6806، الجامع الصحيح، البخاري، ج8، ص163

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ص488. حديث رقم 7430، الجامع الصحيح، البخاري، ج9، ص126

<sup>4</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج3، ص67

### الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

يؤكد التواتي في المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>1</sup> أنّ حال الأمة اليوم دليل على ابتعادها عن منهج الله، الذي ارتضاه لعباده. والابتعاد عن المنهج الرباني كفر بالنعمة، وما ساء حال الأمة وأصابها الذل والهوان إلا بعد أن أصبحت في غير الواد الذي أوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد ضربوا رقاب بعضهم بعض» فقد جاء الحديث صريحاً بهذا البيان وهذه الوصية عن أبي بكره قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»<sup>2</sup>.

الاستدعاء - الاستشهاد	
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».	قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من التشبه بالكفار الذين أعرضوا عن عبادة الله تعالى وسخروا من المؤمنين. ولتكالبهم على الدنيا تقاتلوا.

### نموذج 3:

من النماذج كذلك الدالة على تناص الحديث مع القرآن في تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية 212.

<sup>2</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج4، ص09. حديث رقم 7077، الجامع الصحيح، البخاري، ج 9، ص 50

النَّاسِ فِيمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ ۗ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهٰدِيْ  
 اِلٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لِمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِہٖ ۗ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ اِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١٣٧﴾<sup>1</sup>

أكد المفسر في تفسيره لهذه الآية التي تدل على الاختلاف الذي حصل بين من سبق، "إنما حصل بسبب البغي، وهذا الوصف لا يليق إلا بما كان باطلا، حيث حصل البغي والحسد، وهذا يدل على الاتفاق الذي كان حاصلًا قبل حصول الاختلاف إنما كان في الحق لا الباطل، فثبت أن الناس كانوا أمة واحدة في الدين لا في الدين الباطل"<sup>2</sup>. وهنا يضيف مستشهدا بالحديث النبوي قائلا: "مما يزيد يقينا بقوة هذا المذهب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» أراد به على الفطرة التي فطره الله عليها جل وعلا يوم أخرجهم من صلب آدم"<sup>3</sup>.

الآية	استشهاد
قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.....﴾	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

يظهر التعالق بين الحديث والآية، من حيث أن الله خلق الناس، وكانت الفطرة التي فطرهم عليها هي الدين الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك لأسباب، فكان هذا الحديث دليلاً قاطعاً على ذلك.

#### نموذج 4:

لما فسر التواتي الآية 217 من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۗ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۗ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ۗ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية: 213.

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 15.

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 15. حديث رقم 1385، الجامع الصحيح، البخاري، ج 2، ص 100

اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ۗ وَمَنْ يُرْتَدِدْ مِّنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِنكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰكِرُونَ ﴿١٧٧﴾

ذكر التواتي في عنوان سبب النزول الحديث النبوي الذي جاء فيه: «روى جندب عن ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً واستعمل عليهم أبا عبيدة، فلما انطلق ليتوجه بكى صباية (وقيل: بكى صبيانه) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً، وأمره ألا يقرأ إلا بمكان كذا وكذا، وقال: «لا تكهن أحداً من أصحابك على المسير معك»، فلما صار إلى المكان قرأ الكتاب، واسترجع وقال: سمعا وطاعة لأمر الله ورسوله، فخبروهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم، فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمن رجب أو جمادى الآخرة؟

قال الزهري: اسم ابن الحضرمي: عمرو، واسم الذي قتله عبد الله بن واقد الليثي<sup>1</sup>. وهذا الحديث فيه تقرير لسياق النزول، أي سبب نزول الآية المذكورة (217 من سورة البقرة)،

التفاعل / التداخل	الآية الكريمة
«... فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمن رجب أو جمادى الآخرة؟»	قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ...﴾

أكد التواتي من خلال ما سلف أن القتال في الأشهر الحرم ذنب كبير، وهذا ما دلت عليه الآية بصريح العبارة، كما أن هذا الاستشهاد بالحديث النبوي جاء نظراً لبيان ملابسات السياق الخارجي.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص33. حديث رقم 8756، السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبد المنعم شلي، إشراف شعيب أرنؤووط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001، ج8، ص 107

## الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

بمعنى تعلق معنى السبب والنتيجة، فالأشهر الحرم لها شأن عظيم في الإسلام، لذلك حرم الله القتال فيها وبينها في الآية الكريمة السالفة الذكر.

### - نموذج 5:

يقول الله تعالى في سورة البقرة الآية 144: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

تدل الآية الكريمة على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، وبعد هذا التحويل حدث انقسام بين الناس، فمنهم من شكك في دين الإسلام، ومنه من استغلها فرصة لتشويه صورة الإسلام، فكان البيان لإزالة اللبس في الحديث النبوي، بقوله صلى الله عليه وسلم: "عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البيت الحرام قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي"<sup>1</sup>.  
فقد جاء هذا الاستشهاد تبياناً لتحويل القبلة اتجاه البيت الحرام وهو تحويل جعله الله للمسلمين اختباراً لهم حتى يتبين من يثبت على الدين الحق (الإسلام) ومن يرتدد منهم أو يشك في دين الله تعالى، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

الآية الكريمة	الاستشهاد لإزالة اللبس
قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۗ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ...﴾	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البيت الحرام قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي».

<sup>1</sup> ينظر: الدر الثمين، ج3، ص 34. حديث رقم 2882، معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، تح، عبد المعطي مین قلعي، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1991، ج2، ص 314

إنّ هذا الاستشهاد جاء بيانا لتحويل القبلة إلى المسجد الحرام حيث كان الناس يصلون اتجاه البيت المقدس في حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل البيت الحرام رغم أنه كان يصلي اتجاه بيت المقدس، فجاء الرد الإلهي بتحويل القبلة إلى البيت الحرام فالذي يقرأ الحديث يتذكر ذلك، كما أن هذا التحويل جاء اختبارا للناس خاصة المسلمين للثبات على الحق وبيان المنافقين والمشككين في دين الله تعالى.

## نموذج 6:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٦﴾<sup>1</sup>

تدل هذه الآية على حث المسلم على الإنفاق لوجه الله تعالى بكل إخلاص مع التحذير من الرياء المبطل للأعمال، في عنوان "دلالة الآية" يقول: "ولما جرى ذكر المن والأذى مرتين، أعادها هنا بالألف واللام، ودلت الآية على أن المن والأذى مبطلات الصدقة، ومعنى إبطالها أنه لا ثواب فيها عند الله"<sup>2</sup>.

كما أنه استدل بعدة أحاديث نبوية للدلالة على معنى اللفظة القرآنية (رياء) وبيان خطورتها على المسلم، فمن بين الأحاديث النبوية منها: "عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الإبقاء على العمل أشد من العمل، إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعون ضعفا، فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فتكتب

<sup>1</sup> 264 سورة البقرة

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص434.

## الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

علانيته، وبمحي ضعيف أجره كله، ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية، ويجب أن يحمده عليه فيمحي من العلانية ويكتب رياء، فاتق الله امرؤ صان دينه، وإن الرياء شرك.<sup>1</sup>

وأضاف الحديث النبوي «عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكي حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء، يقال لمن يفعل ذلك إذا جاء الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى اللذين كنتم تراؤون فاطلبوا ذلك عندهم»<sup>2</sup>.

فالحديثان يدلان على خطورة الرياء الذي يحبط عمل المسلم. وإن الأعمال الصالحة يجب أن تكون لمرضاة الله عز وجل وحده دون غيره، وذلك في الحديث: «عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الغزوة غزوان فأما من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإنَّ نومه ونبيه أجر كلُّه، وأما من غزا فخراً ورياءً وسُمعةً، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنَّه لم يرجع بالكفاف»<sup>3</sup>.

استدل التواتي بعدة أحاديث نبوية تقاطعت مع الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

البيان	اللفظة القرآنية
--------	-----------------

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص434. حديث رقم 6813، شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تح: محمد السعيد زغلزل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ج5، ص 328

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص435. حديث رقم 6812، شعب الإيمان، البيهقي، ج 5، ص 328

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج4، ص435. حديث رقم 2461، مسند الدارمي، أبو محمد عبد الله الدارمي السمرقندي، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، السعودية، ط1، 2000، ج3، ص 1566

<p>«عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الإبقاء على العمل أشد من العمل، إن الرجل يعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضاعف أجره سبعون ضعفا، فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فتكتب علانيته...»</p> <p>«... اليسير من الرياء شرك»</p> <p>«... إنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء...»</p> <p>«... وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ»</p>	<p>(رياء)</p>
--	---------------

قال الإمام علي رضي الله عنه: «ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف، ولا تبذير، وما تصدقت فلك، وما أنفقت رياء وسمعة فذلك حظ الشيطان<sup>1</sup>. وجاء في باب تحريم الرياء في كتاب رياض الصالحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: أنا أغنى عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه، رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ربحها.<sup>2</sup> فكل هذه الأحاديث تدل على خطورة الرياء الذي يحبط العمل ويذهب الأجر.

## نموذج 7:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج4، ص435. حديث رقم 6128، شعب الإيمان، البيهقي، ج8، ص 491

<sup>2</sup> - رياض الصالحين، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الريان للتراث، د ط، د ت، ص 440، 441.

<sup>3</sup> البقرة 156

تدل هذه الآية الكريمة على الصبر عند الشدائد وخاصة المصيبة، يقول المفسر في عنوان (المعنى الإجمالي للآية): "والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، أو لمن تتأتى منه البشارة، والمصيبة تعم ما يصبّب الإنسان من مكروه"<sup>1</sup>. واستدلّ المفسر بعدة أحاديث نبوية قصد شرح الآية الكريمة وبيان معناها، فمن الأحاديث التي استدل بها «قوله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة»<sup>2</sup> وأضاف حديثاً نبوياً آخر «عن أم سلمة قالت أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْرِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»<sup>3</sup>. وأضاف تكملة هذا الحديث «قالت أم سلمة، فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرنى في مصيبتى واخلف لى خيراً منه، ثم رجعت إلى نفسي، فقلت: من أين لى خيراً من أبى سلمة؟ فلما انقضت عدتى استأذن عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لى - فغسلت يدي من القرط وأذنت له، فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف، فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، ما بى ألا يكون بك الرغبة، ولكنى امرأة فى غيرة شديدة...»<sup>4</sup>، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها: «أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك، وأما ما ذكرت من العيال فعيالك عيالى»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص106.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها. حديث رقم 353، عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد بن محمد الدينوري "ابن السني"، تح: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة-بيروت، ص 313

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج3، ص106. حديث رقم 1618، مشكاة المصابيح، الخطيب ولي الدين التبريزي، تح:

ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط3، 1985، ج1، ص 508

<sup>4</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج3، ص 106.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

وهذه الأحاديث تدل على أن المسلم إذا أصابته مصيبة لا بد له من الصبر، فالتسخط يُذهب الأجر، ولقد شرح الشيخ بتفصيل معنى الآية التي تدل على الصبر عند المصيبة، فقد جاء «في صحيح مسلم عن أم سلمة قالت أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها، إلا أجره الله من مصيبيته، وأخلف له خيرا منها. قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيرا منه: رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>1</sup>.

كما «روي أن مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة، فقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله؟ قال: نعم، فكل ما يصيب المؤمن فهو مصيبة. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسترجع أحدكم في كل شيء، حتى في شسع نعله، فإنها من المصائب»<sup>2</sup>.

وأخرج البيهقي وغيره في شعب الإيمان، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا: من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبيته، وأحسن عقابه، وجعل له خلفا صالحا يرضاه»<sup>3</sup>. فكل هذه الأحاديث تدل على المعنى التي تتضمنه الآية الكريمة، لأنها تحث على الاسترجاع لله تعالى عند المصيبة، واحتساب الأجر عند الله سبحانه.

التفاعل / استشهاد / استدعاء	الآية الكريمة
- «قوله صلى الله عليه وسلم: كل شيء يؤذي المؤمن مصيبة» - «... : ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) الله أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله من مصيبيته، وأخلف له خيرا منها»	قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

<sup>1</sup> - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> حديث رقم 18163، جمع الجوامع "الجامع الكبير"، السيوطي، تح: مختار إبراهيم، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، مصر، ط 2، 2005، ج 7، ص 224

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج 3، ص 108. (بتصرف) الحديق رقم 9689، شعب الإيمان، البيهقي، ج 7، ص 116

-«...: من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبتَه، وأحسن عقباها، وجعل له خلفا صالحا يرضاه»

تعليق: نلاحظ وجود تقاطع وتفاعل بين الأحاديث النبوية التي استدلت المفسر بها، كما أنه استشهاد بها لبيان السياق الذي نزلت فيه. وما قام به من استدعاء لتلك الأحاديث النبوية كان لغرض التأكيد على أن الصبر عند المصيبة شيء عظيم، كما أن الصبر عند البلاء له أجر عظيم عند الله تعالى، وعن الصبر نجد أقوالا كثيرة تبين مدى عظيم شأنه ورفعته منزلته "وقد وردت أحاديث حسان في فضيلة الصبر نذكر منها: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في بابين: الصبر لله بما أحب وإن ثقل على الأنفس والأبدان، والصبر لله عما كره وإن نزعت إليه الأهواء، فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم إن شاء الله"<sup>1</sup>.

### نموذج 8:

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>2</sup>

تدل هذه الآية الكريمة على عظم الصبر عند البلاء والمصيبة حيث استشهاد المفسر بحديث نبوي من صحيح البخاري، حيث قال المفسر: «وفي البخاري وقال عمر رضي الله عنه: نعم العبدان ونعم العلاوة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>3</sup> أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾»

لقد فسر التواتي هذه الآية بحديث نبوي: "قال عمر رضي الله عنه: نعم العبدان ونعم العلاوة"<sup>3</sup> ثم ذكر الآية (156 من سورة البقرة). تبيننا لمنزلة الشهداء عند الله وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص109.

<sup>2</sup> الآية 156

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج3، ص111. حديث رقم 7126، السنن الكبرى، البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003، ج4، ص108

الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

الآية القرآنية	الاستشهاد / استدعاء
قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلِيمٌ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾	«قال عمر رضي الله عنه: نعم العدلان ونعم العلاوة»

نموذج 9:

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (سورة البقرة)

استشهد التواتي بحديث نبوي في عنوان (فوائد مستقاة من الآية) جاء فيه " يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اختلاف أمي رحمة" <sup>1</sup> وبيّن أنه حديث لا صحة له حيث قال عن الحديث هذا "لا صحة له، وليس الاختلاف برحمة بل قال سبحانه وتعالى: (ولا يزالون مختلفين) أي فإنهم ليسوا مختلفين، نعم، وهنا وجب البيان والتوضيح إذ أن الاختلاف رحمة بمعنى: أن من خالف الحق لاجتهاد فإنه مرحوم بعفو الله عنه، فالجتهاد من هذه الأمة إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، والخطأ معفو عنه، وأما أن يقال هكذا على الإطلاق: إن الاختلاف رحمة على مقتضى زعم هذا المروي فالصواب أن الاختلاف شر" <sup>2</sup>.

إن التواتي لا يقر بما في الحديث الذي أكد أنه لا صحة منه، ولا يوافق، بل بيّن أن الاختلاف قد يسبب فتنة بين الناس والشحناء اتلي نهي الشرع الحنيف عنها، لكن يبقى الاجتهاد أمراً لا بد منه.

الآية الكريمة	استدعاء
قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	«يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اختلاف أمي رحمة»

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص252.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- نموذج 10:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>1</sup>

استشهد التواتي في تفسيره لهذه الآية في (المعنى الإجمالي للآية) بحديث نبوي جاء فيه: «عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (إِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا أُحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَحَلَلْتُهَا)، وثبت فيها أن (رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفَّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»<sup>2</sup>.

بيّن التواتي من خلال ما استشهد به أنه يجب على المسلم ألا يجعل الله عرضة لليمين، كأن يحلف على قطع صلة الرحم، فهذا يجب ألا يكون بل يجب صلة الرحم لأنها أولى بذلك.

الاستشهاد	الآية الكريمة
- « إِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا أُحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَحَلَلْتُهَا » - "... وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفَّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ"	قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

يقول الرازي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾: "والمفسرون أكثرها الكلام في هذه الآية، وأجود ما ذكره وجهان: (الأول) وهو الذي ذكره أبو مسلم الأصفهاني ، وهو الأحسن أن قوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ نهي عن الجراءة على الله بكثرة الحلف به، لأن

<sup>1</sup> البقرة 224

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص97. الحديث رقم 3680، مكشاة المصاييح، الخطيب ولي الدين، ج2، ص

## الفصل الثالث: التناص في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

من أكثر ذكر الشيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة، يقول الرجل: قد جعلتني عرضة للموك. وقال الشاعر: ولا تجعلني عرضة للوائم. وقد ذم الله تعالى من أكثر الحلف بقوله ﴿وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ والعرب كانوا يمدحون الإنسان بالإقلال من الحلف»<sup>1</sup>.  
 إن الحديث المتعلق باليمين، يظهر من خلاله تفصيل الحكم، الوارد في الآية بالنهي عن حلف اليمين. وكأنّ الآية لمحت للأمر دون التفصيل فيه، فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم ما أجمل في الآية، فالحديث تفصيل لمحمل قرآني.

### نموذج 11:

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۗ وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

استشهد التواتي بحديث نبوي في عنوان: (أوجه القراءات وتوجيهها النحوي)، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حكم الخمر: "لُعنت الخمر شاربها وساقبها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ومبتاعها واكل ثمنها"<sup>2</sup>.

الآية الكريمة	الاستشهاد للتفصيل
قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا.....﴾	«لُعنت الخمر شاربها وساقبها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ومبتاعها واكل ثمنها».

<sup>1</sup> - مفاتيح الغيب، الرازي، ج 6، ص 86.

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 47. حديق رقم 1301، المقرر على أبواب الحرر، يوسف بن ماجد بن أبي المجد المقدسي الحنبلي، تح: حسين إسماعيل الجمل، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط 1، 2012، ج 1، ص 587

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية قال: "اعلم أن قوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ﴾ ليس فيه بيان أنهم عن أي شيء سألوا فإنه يحتمل أنهم سألوا عن حقيقته وماهيته، ويحتمل أنهم سألوا عن حل الانتفاع به، ويحتمل أنهم سألوا عن حل شربه وحرمته، إلا أنه تعالى لما أجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة»<sup>1</sup>.

فالخمر كله حرام لما ضرر على حياة الفرد والمجتمع، وقد استشهد المفسر بالحديث النبوي للدلالة على ذلك، كما بيّن أن الخمر حرام وكل ما تعامل به ملعون.

نموذج: قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ سورة البقرة.

يذكر التواتي في تفسيره لهذه الآية في عنوان (المعنى الإجمالي للآية) تبييناً لفضل الحكمة التي تنير العقل، ويستشهد بعدة أحاديث نبوية وهي:

«روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: القرآن حكمة الله عز وجل بين عباده، فمن تعلم القرآن وعمل به فكأنما أدرجت النبوة بين جنبه إلا أنه لا يوحى إليه يحاسب حساب الأنبياء -عليهم السلام- إلا في التبليغ الرسالة»<sup>2</sup>.

واستشهد المفسر كذلك بحديث آخر جاء فيه: "... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القرآن حكمة، فمن تعلم القرآن في شببته خلط بلحمه ودمه. ألا وإن النار لا تمس قلبا وعى القرآن، ولا جسدا اجتنب محارمه، وأحل حلاله، وآمن بمحكمه، ووقف عند متشابهه، ولم يتدع فيه»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مفاتيح الغيب، ج 6، ص 42.

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 463.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

### الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

الحديث: «حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في البخاري: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>1</sup>. ولقد استشهد المفسر بهذه الأحاديث النبوية للنبي صلى الله عليه وسلم ليبين فضل الحكمة وعلو قيمتها ومكانتها.

الآية الكريمة	الاستشهاد / استدعاء
قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾	«... القرآن حكمة الله عز وجل بين عباده، فمن تعلم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه...» «القرآن حكمة فمن تعلم القرآن في شببته خلط بلحمه ودمه.» - «... من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين»

استشهد التواتي بالأحاديث النبوية ليبيّن فضل الحكمة وأنها خير كبير وفضل عظيم من الله تعالى. كما أنه بيّن خلال عدة أحاديث نبوية فضل العلم والتعلم، وذلك في عنوان (فضل العلم)، استشهدا بأحاديث نبوية بلغت (14 حديثا)، ومنها:

- فمنها ما رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين، فوالذي نفسي بيده، ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، وبني له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفورا له، وشهدت الملائكة لهم بأنهم عتقاء الله من النار."<sup>2</sup>

والحديث الثاني الذي استدل به عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من طلب العلم لغير الله حتى يأتي عليه العلم فيكون لله، ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله، وإن بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون له أبو قبيس ذهباً فينفقه في سبيل الله»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص464.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص468.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## الفصل الثالث: التناص في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

واستشهد كذلك بحديث آخر: «عن الحسن مرفوعاً " من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحیی به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة في الجنة"، وعنه رضي الله عنه "رحمة الله على خلفائي، فقيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يحيون من سنتي ويعلمونها عباد الله".

وعن أبي موسى الأشعري مرفوعاً "يعت الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء، فيقول: يا معشر العلماء، إني لم أضع نوري فيكم إلا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، انطلقوا فقد غفرت لكم"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: معلم الخير إذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الأرض وحياتان البحر»<sup>1</sup>.

فكل هذه الأحاديث تدل على فضل العلم والتعلم وعلو شأن العلم، كما استشهد المفسر بحديث نبوي آخر «عن أبي هريرة مرفوعاً "من صلى خلف عالم من العلماء فكأنما صلى خلف نبي من الأنبياء"»<sup>2</sup>.

وإن كثرة الأحاديث النبوية في فضل العلم تدل على إطنابه وتوسعه في شرح وبيان معنى الحكمة. وكأنها هي العلم المقصود في الحديث، ذلك أن العلم نور عظيم من الله عز وجل في الدارين، كما أن اتباع العلماء والجلوس معهم يزيد الفرد علماً ومنفعة.

يقول التواتي في فضل العلم "ثم إن العلم منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به قوما فيجعلهم قادة أئمة تقتفى آثارهم ويتقدي، والعلم حياة القلب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، الفكر فيه يعدل الصيام، ومذاكرته القيام، وبه توصل الأرحام، ويُعرف الحلال من الحرام»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص468.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص471.

## نموذج 12:

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>1</sup>

تدل هذه الآية الكريمة على التحذير من المنّ بعد الإنفاق، كما أن المفسر في عنوان (سبب النزول) استشهد بحديثين للنبي صلى الله عليه وسلم والحديثان هما: "قال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقبلها ويقول: ما ضر ابن عفان ما عمل اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان"<sup>1</sup>. أكد التواتي أن هذه الآية نزلت في سيدنا عثمان بن عفان "قيل: إن عثمان جهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بغير بأقتابها وأحلاسها فنزلت فيهما هذه الآية (أي عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف).

وقال أبو سعيد الخدري: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمان يقول: (يا رب عثمان، إني رضيت عن عثمان فارض عنه)، فما زال يدعو حتى طلع الفجر فنزلت ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>2</sup>

أما عبد الرحمن بن عوف «فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعياي أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربي عز وجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص419.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

### الفصل الثالث: التناص في الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

إن المفسر استشهد بالأحاديث السابقة للدلالة على ضرورة الإنفاق، والحث والتحذير على عدم اتباعه بالمن والأذى. لأن ذلك محبط للأجر ومذهب له، فكان سيدنا عثمان كان مثالا يُقتدى به وقد قيل أن هذه الآية (262) من سورة البقرة قد نزلت في حقه، وقيل نزلت في عبد الرحمن بن عوف.

الاستشهاد	الآية الكريمة
<p>- «... ما ضرّ عثمان بعد اليوم، اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان»</p> <p>- «... يا رب عثمان فارض عنه»</p> <p>- «... بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت»</p>	<p>قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾</p>

وفي عنوان (دلالة آية) استشهد بحديث نبوي "روى النسائي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة تشبه بالرجال والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى"<sup>1</sup>.

كما أنه في عنوان (تفريع فقهي) استشهد بحديث نبوي جاء فيه «أخرج مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها»<sup>2</sup> كذلك استشهد المفسر في عنوان (واقعة) بحديث نبوي «مصادقا لقوله صلى الله عليه وسلم: تعس عبد الدينار والدرهم»<sup>3</sup>.

الاستشهاد	الآية الكريمة
-----------	---------------

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص424.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص426.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص426.

<p>- «... ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة تشبه بالرجال والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى»</p> <p>- «أخرج مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها»</p> <p>- «... تعس عبد الدينار والدرهم»</p>	<p>قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾</p>
--	--

كل ما سبق كان للدلالة على فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى قصد نيل رضا الله تعالى والفوز بالجنة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة)

بمعنى أن الإنفاق في سبيل الله له أجر عظيم عند الله سبحانه وتعالى وهو يضاعفه عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف وذلك فضل الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

### - نموذج 13:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup>

لقد فسّر التواتي هذه الآية بعدة أحاديث نبوية وهي موجودة في عنوان: الحث على إنظار

المعسر:

1- الحديث الأول: «عن حذيفة أن رجلا أتى به الله عز وجل، فقال: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال الرجل: ما عملت مثقال ذرة من خير أرجوك بها، فقالها له ثلاثا، وقال في الثالثة: أي: رب، كنت أعطيتني فضلا من المال في الدنيا، فكنت أبايع الناس، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر،

<sup>1</sup> سورة البقرة الآية 280

فقال تبارك وتعالى: نحن أولى بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي. فغفر له. قال ابن مسعود: هكذا سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا رواه مسلم في صحيحه»<sup>1</sup>.

2- الحديث الثاني: عن أبي اليسر كعب بن عمرو، قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمر وحدثنا زائدة، عن عبد الملك بن عمر عمير، عن ربي، قال حدثني أبو اليسر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وقد أخرجه مسلم في صحيحه من وجه آخر (...). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من نظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله»<sup>2</sup>.

3- الحديث الثالث: «عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وهو يقول هكذا -وأوماً عبد الرحمن بيده إلى الأرض-: "من أنظر معسرا أو وضع عنه، وقاه الله من فيح جهنم، ألا إن عمل الجنة حزن بربوة -ثلاثا- ألا إن عمل النار سهل بسهولة، والسعيد من وُقي الفتن، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد لله إلا مألأ الله جوفه إيمانا" تفرد بن أحمد»<sup>3</sup>.

4- الحديث الرابع: «عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نظر معسرا إلى ميسرته أنظره الله بذنبه إلى توبته"»<sup>4</sup>.

5- الحديث الخامس: عن محجن مولى عثمان عن عثمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أظل الله عينا في ظله، يوم لا ظل إلا ظله من أنظر معسرا، أو ترك لغارم" رواه الإمام أحمد في مسنده»<sup>5</sup>.

1 - الدر الثمين، ج4، ص533.

2 - الدر الثمين، ج4، ص533.

3 - المرجع نفسه، ص534.

4 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

### الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي

6- الحديث السادس: «عن عبد الله بن عمر، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد عن يوسف بن صهيب، عن زيد العمي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته، فليفرج عن معسر" انفراد بن أحمد»<sup>1</sup>.

لقد استشهد المفسر بكل هذه الأحاديث حتى يبين فضل إنظار المعسر، وبين من خلال هذه الأحاديث أن من ينظر معسرا جزاه الله في الدنيا باستجابة الدعاء، ويوم القيامة بأن يقيه فيح جهنم وحرّها، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.  
والأحاديث النبوية التي استدلل المفسر بها في بيان إنظار المعسر نوضحها في الجدول الآتي:

الآية القرآنية	استشهاد
قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	1- .... أي: رب، كنت أعطيتني فضلا من المال في الدنيا، فكنت أبايع الناس، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر...» - «... من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله. - «... من أنظر معسرا أو وضع عنه، وقاه الله من فيح جهنم...». - «... من أنظر معسرا إلى ميسرته أنظره الله بذنبه بتوبة». - «... أظل الله عينا في ظله، يوم لا ظل إلا ظله من أنظر معسرا، أو ترك لغارم» - «... من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته، فليفرج عن معسر».

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص534

قال التواتي: «هذه الأحاديث النبوية المروية من طرق صحيحة في مجموعها دلت على أن إنظار المعسر أمر مرغوب فيه، وأنه من دواعي القبول والرضى، ورفع المقمت والغضب، كما أنه دليل على أن المجتمع الإسلامي مبني على التكافل والتعاقد، والتعاون وعلى المحبة، والتراحم، ولم يكن مبنيًا على التباغض والحقد والكرهية»<sup>1</sup>.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: وقوله «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: يأمر الله تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، أي: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين: إما أن تقضي وإما أن تربني (...)) حديث آخر: عن عبد الله بن عمر قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد، عن يوسف بن صهيب عن زيد العمي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر. انفرد به أحمد»<sup>2</sup>.

## 5- تفسير القرآن بكلام العرب:

وهو في الدرجة الثالثة بعدما تقدم، إذ عدوا الاستدلال بمعاني العرب في شعرها المشهود له بالرصانة والفصاحة معينا على فهم ما أشكل من كثير من الألفاظ الواردة في القرآن<sup>3</sup>. ذلك أنه - القرآن - نزل بلغة العرب، فوجب فهمها - اللغة - ليسهل فهمه. وعليه فقد كان استخراجنا لجملة الآليات النصية المعتمدة عند التواتي وفق مبدأ أن الكلام العربي يتناص مع القرآن، لا العكس كما أسلفنا في الحديث النبوي.

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج4، ص 534

<sup>2</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، من ص 837 إلى ص 843.

<sup>3</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، في المقدمة الثانية، ج 1، ص 18

وقد نص ابن عاشور-الإحالة السابقة-، والتواتي-في الفصل الثاني- فيما ذكر من أن عدة المتصدي للتفسير إحاطته بعلوم العربية، من نحو وصرف وبلاغة واشتقاق، ومعرفة باستعمالات العرب في كلامها، وذلك في دوينها-الشعر-. وعلى ذلك ففي هذا الجزء لن نقسم النماذج كما فعلنا في تناص الحديث مع القرآن، باعتباره يدخل ضمن الشرح والبيان جملة وتفصيلاً.

## نموذج 1:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>1</sup>

تعرض المفسر لشرح اللفظة القرآنية (عُرْضَة) مستشهداً بأبيات شعرية، في حين أكد أن لفظه (عُرْضَة) أنّها: «وفلان عرضة ذاك أي عرضة لذلك، أي مقرن له قوي عليه، والعرضة: المهمة»<sup>2</sup> مستشهداً بقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

« وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ<sup>3</sup> »

وفلان عرضة للناس: لا يزالون يقعون فيه.

وجعلت فلانا وكذا: أي نصبته له، وقيل العرضة من الشدة والقوة، (...) قال كعب بن زهير:

مِنْ كُلِّ نَضَّاحَةِ الذُّفْرَى، إِذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ جَهْلُ<sup>4</sup>

وقال عبد الله بن الزبير:

فَهْدِي لِأَيَّامِ الْحُرُوبِ وَهْدِي لِلْهَوَى وَهْدِي عُرْضَةً لِارْتِحَالِيَا<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية (224)

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص94.

<sup>3</sup> الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991، ج1، ص59

<sup>4</sup> جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، تح: علي محمد البجادي، نضضة مصر، ص634

<sup>5</sup> اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر الحنبلي الدمشقي النعماني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معروض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج4، ص87

أي: قوة وعدة.

وقال أبو طالب:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعَفَرًا ثِقْتِي      عِنْدَ إِحْتِدَامِ الْأُمُورِ وَالْكَرْبِ  
أَرَاهُمَا عُرْضَةً لِلِقَاءِ إِذَا      سَامَيْتُ أَوْ أَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ<sup>1</sup>

وقال آخر:

«مَتَى كَانَ سَمْعِي عُرْضَةً لِلْوَائِمِ      وَكَيْفَ صَعَتَ لِلْعَاذِلَاتِ عَزَائِمِي<sup>2</sup>

وقال ابن حجر:

وأدماء مثل الفحل يوما عرضتها      لرحلي وفيها هزة وتقاذف<sup>3</sup>

استشهد التواتي بالأبيات الشعرية السابقة لشعراء من طبقات مختلفة، ذلك أنّ التداول اللفظي في الاستعمالات يشرح المعاني المحتملة للفظ (عرضة). كما بيّن معناها وأنها تصب في: القوة واللقاء وغيره...

وأكد ابن كثير في تفسيره أن الآية (224) من سورة البقرة: أنها تدل على الشخص الذي يحلف بالله يمينه حتى لا يفعل الله، بل يجب عليه تكفير يمينه وفعل الخير، يقول الله تعالى: لا تجعلوا

<sup>1</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج 4، ص 94. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، علاء الدين مغلطي بن قليج

الحنفي، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2011، ج 2، ص 109

<sup>2</sup> البيت لأبي تمام، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، تح: أحمد صقر، دار المعارف، ط 4، سلسلة ذخائر العرب، ج 1، ص 470

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 94. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج 4، ص 87

أيمانكم بالله تعالى مانعة لكم من البر وصلة الرحم إذا حلفتكم على تركها (...). وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ قال: لا تجعلن عرضة يمينك ألا تصنع الخير، ولكن كقرّ عن يمينك واصنع الخير»<sup>1</sup>.

## - نموذج 2:

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>2</sup>

تدل هذه الآية على ضرورة ذكر الله تعالى وحمده على كل نعمه، وفي تفسير هذه الآية استدل التواتي بيت شعري لشرح معنى اللفظة القرآنية (واشكروا)، قال عمرو بن رجاء التميمي:

«هُمْ جَمَعُوا بُؤْسِي وَنُعْمَى عَلَيْكُمْ فَهَلَا شَكَرَتِ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَاتِلِ»<sup>3</sup>

كما أضاف قول النابغة:

« شَكَرْتُ لَكَ التُّعْمَى فَأَتْنَيْتُ جَاهِدًا وَعَظَلْتُ أَعْرَاضَ الْعُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ »<sup>4</sup>

قال التواتي عن هذا البيت الشعري «فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلا أن شكر العبد نطق باللسان وإقرار بالقلب بإنعام الرب على الطاعات»<sup>5</sup>.

لقد استشهد المفسر بالبيتين الشعريين كدليل على حضور لفظه (الشكر) في الشعر العربي مما يدل على وجود آلية الاستدعاء والتفاعل.

الاستدعاء / التفاعل / الاستشهاد	الآية القرآنية
---------------------------------	----------------

<sup>1</sup> - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، من ص674 إلى ص679

<sup>2</sup> (152 سورة البقرة)

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج3، ص81. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج2، ص76

<sup>4</sup> - الدر الثمين، ج3، ص81.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفس

<p>قال عمرو بن رجاء التميمي: هُمُ جَمَعُوا بُؤْسَى وَنُعْمَى عَلَيْكُمْ فَهَلَا شَكَرْتَ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَاتِلِ قال النابغة: شَكَرْتُ لَكَ النُّعْمَى فَأَتَّيْتُ جَاهِدًا وَعَطَّلْتُ أَعْرَاضَ الْعُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ</p>	<p>قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿﴾</p>
--	---

إن تبيان المعاني كم خلال الشعر الجاهلي كان قصد بيان فضل شكر الله تعالى الوارد أمرا في الآية، يقول الطبري عن هذه الآية: «قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما أمرتكم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم، (...) حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿﴾ إن الله ذاك من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من كفره»<sup>1</sup>.

ويتبين لنا أن فضل الشكر لله تعالى عظيم في الدنيا والآخرة.

### نموذج 3:

قال الله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>2</sup>

استشهد المفسر في بيان معنى لفظ إعصار في الآية بقول يزيد بن مفرغ الحميري:

«نَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جَوَارُهُمْ أَعَاصِيرَ مِنْ فَسْوِ الْعِرَاقِ الْمَيْدَرِ»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج3، ص211.

<sup>2</sup> 266 سورة البقرة.

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج4، ص445. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي "ابن

يقول ابن كثير عن هذه الآية: «وقد روى ابن أبي حاتم، من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: ضرب الله لنا مثلاً حسناً، وكل أمثاله حسن، قال: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ يقول: ضيعه في شيبته ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره، فجاءه إعصار فيه نار فأحرق بستانه، فلم يكن عنده قوة ليغرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه، وكذلك الكافر يوم القيامة، إذ رُدَّ إلى الله عز وجل، ليس له خير فيستعقب، كما ليس لهذا لقوة فيغرس مثل بستانه، ولا يجده قدم لنفسه خيراً يعود عليه، كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه، كما حرم هذا جنة الله عند أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته»<sup>1</sup>.

فقد ضرب الله مثلاً بهذه الآية عن حال الكافر يوم القيامة الذي لا يجد ما يعنيه حتى يدخل الجنة، فشبّهه الله بالشيخ كبير في السن لا يقوى على الأعمال الشاقة خاصة في الزراعة، وله بستان كبير أصابه إعصار فاحترق فلم يجد حلاً لإعادة زراعة البستان وله أبناء ضعاف ليس بمقدورهم مساعدة أبيهم، فكان هذا التشبيه لحال الكافر يوم القيامة وحذر الله تعالى به الناس ليكون لهم عبرة وموعظة.

#### نموذج 4:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup>

يحذر الله تعالى من اتباع الشيطان، كما أنه عدو خطير للمسلم وللإنسان عامة، وقد استشهد المفسر بقول الشاعر في بيان معنى اللفظة القرآنية (السوء) فقال الشاعر:

عساكر"، تح: أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، 1995، ج 65، ص 180

<sup>1</sup> - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 4، من ص 809 إلى ص 811.

<sup>2</sup> (سورة البقرة، الآية 169)

«إِنْ يَكُ هَذَا الدَّهْرُ سَاءَ بِي فَطَالَ مَا قَدْ سَرَّ بِي الدَّهْرُ  
الْأَمْرُ عِنْدِي فِيهِمَا وَاحِدٌ لِذَلِكَ شُكْرٌ وَلِذَلِكَ صَبْرٌ»<sup>1</sup>

قال التواتي في شرح معنى (السوء) أنه تعني: «والسوء في الأصل مصدر ساءه يسوءه سوءاً أو مساءة، إذا أحزنه، ثم أطلق على جميع المعاصي سواء كانت فعلاً أو عقداً لاشتراك كلهما في أنها تسوء صاحبها»<sup>2</sup>.

البيت الشعري يبين معنى لفظه السوء، لذلك أعقب المفسر الآية من قوله تعالى: ﴿سَيِّئَةٌ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>3</sup> شرحاً للمعنى المتقدم.

إن البيت الشعري الذي وظفت فيه لفظه (سوء) تدل على ما يصيب الإنسان فيحزنه. يقول الطبري في شرحه للفظه (سوء): «(والسوء) الإثم، مثل (الضر)، من قول القائل: ساءك هذا الأمر يسوءك سوءاً، وهو ما يسوء الفاعل (...). وقيل: إن السوء الذي ذكره الله تعالى في الآية ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ هو معاصي الله، فإن كان ذلك كذلك، فإنما سماها (سوءاً) لأنها تسوء صاحبها بسوء عاقبتها عند الله»<sup>4</sup>.

فمعنى السوء يدل على ما يصيب الإنسان بأمر يضره أو يحزنه في عاقبته.

## - نموذج 5:

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج3، ص198. الباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج3، ص155

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج3، ص198.

<sup>3</sup> الآية 27 من سورة الملك

<sup>4</sup> - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج3، ص303.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>1</sup>

يقول المشركون إذا ما دُعوا إلى الإسلام نحن نتبع ما وجدنا عليه آباءها، وتدل اللفظة القرآنية (ألفينا) على: وجد، والمفسر في تفسيره للآية استشهاد بقول ذي الرمة، والأعشى، والطرماح، في عنوان (التحليل اللغوي):

«قال ذو الرمة:

أو مطعم الصيد هبال لبغيته ألقى أباه بذاك الكسب يكتسب<sup>2</sup>

وكذا قول الأعشى:

قَبِلَ إِمْرِي طَلِقَ الْيَدَيْنِ مُبَارِكِ ألقى أباه بِنَجْوَةٍ فَسَمَا لَهَا

وقول الطرماح الأموي:

أَكَلُ إِمْرِي ألقى أباه مُقَصِّرًا مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ الْأَوَائِلِ<sup>3</sup>

الآيات الثلاثة كلها تصب في معنى اللفظة القرآنية (ألفينا) بمعنى وجدنا.

يقول ابن كثير عن هذه الآية: «يقول الله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهؤلاء الكفرة من المشركين: اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاتَّكَمُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الضلال والجهل، قالوا في جواب ذلك: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾»

<sup>1</sup> سورة البقرة 170.

<sup>2</sup> ديوان ذي الرمة (غيلان بن عقبة العدوي)، شرح أبي نصر الباهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط1، 1982، ج1، ص 99

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج3، ص203-204. الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيمن المستعصي، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ج4، ص 60

أي ما وجدنا ﴿ عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ أي: عبادة الأصنام والأنداد. قال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿ أُولَٰئِكَ كَانُوا ءَابَاؤَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ أي: ليس لهم فهم ولا هداية»<sup>1</sup>.

بيّن الله تعالى أن الدين الحق هو الإسلام وأن المشركين والكفار كانوا على ضلالة، لاتباعهم الأعمى لما وجدوا عليه آباءهم دون تبين لما يتبعون.

## نموذج 6:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ط وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ  
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>2</sup>

يقول المفسر في عنوان (فوائد مستقاة من الآية): «عدل عن أن يقال: (يعلمون) إلى (يعرفونه) لأن المعرفة تتعلق غالباً بالذوات والأمور المحسوسة، قال الله تعالى: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾<sup>3</sup> مستشهداً بما قال عنتر بن شداد، وزهير بن أبي سلمة، قال عنتر:

« هَلْ عَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ      أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهُمٍ<sup>4</sup> »

وقال زهير بن أبي سلمى في معلقته:

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً      فَلَأَيَّاءَ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهُمٍ<sup>5</sup> »

<sup>1</sup> - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج3، من ص 519 - 520.

<sup>2</sup> سورة البقرة 146

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج3، ص46.

<sup>4</sup> جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، ص 348

<sup>5</sup> - الدر الثمين، ج3، ص 46. شرح القصائد العشر، يحيى بن علي الشيباني التبريزي، إدارة الطباعة المنيرية،

ط2، 1353هـ، ص 104

بيّن التواتي أن "يعرفون" ذات معنى أقوى وأبلغ من لفظة (يعلمون)، حيث أراد أن يوصل للمتلقي أن الله تعالى أخبر أنه لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم كان قومه يعرفونه مثلما يعرف الرجل ابنه، معرفة تامة لا شبهة فيها، لكن أهل الكتاب أنكروا دعوته ورسالته وأعرضوا عنه رغم أنهم يعرفونه حق المعرفة بذاته وصفاته ويجدون مكتوبا في القرآن الكريم على أنه رسول من الله تعالى.

### - نموذج 7:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَدَشِيرِ  
الصَّابِرِينَ﴾<sup>1</sup>

يقول التواتي في شرحه لـ: (الخوف): «أي الفزع خافه يخافه خوفا وخيفة ومحافة»<sup>2</sup>.

وفي ذلك استشهد: «ودخل القوم الخوف منه، قال الزجاجي ومنه قول الطرماح:

فيا ربّ إن حانت وفاي فلا تكن  
ولكن أحزن يومي شهيداً وعقبة  
على شرح يعلى بدكن المطارف  
يُصابون في فج من الأرض خائف<sup>3</sup>

والخوف القتل والخوف القتال»<sup>4</sup>.

يقول فخر الدين الرازي عن هذه الآية: «أخبر الله تعالى أن إكمال الشرائع إتمام النعمة، فكان ذلك موجبا للشكر، ثم أمر فيها بالصبر، كما أنه تعالى أنعم أولا فأمر بالشكر، ثم ابتلى وأمر بالصبر، لينال الرجل درجة الشاكرين والصابرين معا فيكمل إيمانه على ما قاله عليه الصلاة والسلام: الإيمان صنفان: نصف صبر ونصف شكر»<sup>5</sup>.

1 سورة البقرة 155

2 - الدر الثمين، ج3، ص95.

3 محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1، 1420، ج2، ص 519

4 - الدر الثمين، ج 3، ص 95.

5 - ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج4، ص165.

نموذج 8:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ<sup>ط</sup> فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ سورة البقرة 158

تطرق التواتي في تفسير هذه الآية إلى شرح اللفظة القرآنية (الصفاء) مستشهدا بقول الطرماح الذي قال:

" أَبِي لِي ذُو الثُّوَى وَالطُّوَلُ أَلَّا يُؤَبِّسَ حَافِرٌ أَبَدًا صَفَاتِي"<sup>1</sup>

كما ذكر قولاً للراجز يقول:

«كَأَنَّ مَتْنِيهِ مِنْ النَّفِيِّ مَوَاقِعِ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفِيِّ»<sup>2</sup>

كما استشهد بعدة أبيات في تفسيره لهذه الآية حيث نجده يعرف معنى (المروة) قائلاً: «هي الحصاة الصغيرة: تجمع قلة (مرواة)، وجمع كثرة المرو، مثل تمرّة وتمرّات وتمر، قال الأعشى ميمون بن قيس:

وَتَرَى بِالْأَرْضِ خُفًّا زَائِلًا فَإِذَا مَا صَادَفَ الْمَرَوَ رَضَحَ»<sup>3</sup>

يعني ب المرو الصخر الصغار، ومن ذلك يقول أبو ذؤيب الهذلي:

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرَوَةٌ بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقْرَعُ»<sup>4</sup>

1 - الدر الثمين، ج3، ص115.

2 - الدر الثمين، ج3، ص95. إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي القيسي، تح: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ج 2، ص 769

3 جامع البيان، الطبري، ج3، ص 226

4 - الدر الثمين، ج3، ص 95. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423، ج 1، ص 532

فمعنى (المروة): الحجارة.

## نموذج 9:

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>1</sup>

استشهد المفسر بعدة أبيات شعرية في تفسيره لهذه الآية حتى يبين فضل العلم، ومن بين

تلك الأبيات:

ما ينسب للإمام علي كرم الله وجهه قال:

العلم زين فكن للعلم مكتسباً      وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتِ مُقْتَسِبًا  
اركن إليه وثق بالله واغن به      وكن حليماً رزين العقل محترساً  
ولا تأمّن فيما كنت منهمكاً      في العلم يوماً وإما كنت منعمساً  
وكن فتى ماسكاً محض التقى ورعاً      للدين مغتتما للعلم مفترساً<sup>2</sup>

واستند لقول أبي الأسود الدؤلي دون أن يذكره:

"العلم زين وتّشريف لصاحبه      فَاصْلَبْ هَدِيْتِ فَنونِ الْعِلْمِ وَالْأَدْبَا  
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه      لا تعدلن به دراً ولا ذهباً  
العلم كنز وذخر لا فناء له      نعم القرين إذا ما صاب صحباً<sup>3</sup>

واستشهد بقول الشاعر الإمام الشافعي دون أن يذكر اسمه:

<sup>1</sup> البقرة الآية 269

<sup>2</sup> - الدر الثمين، ج4، ص465. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، ج2، ص450

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج4، ص465. الترغيب والترهيب، إسماعيل الأصبهاني، تح: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث القاهرة، ط1، 1993، ج3، ص101

تعلم فليس المرء يولد عالماً ولايس أخو علم كمن هو جاهل»<sup>1</sup>

واستشهد بيت شعري يقال أنه للحسين بن علي:

«مَنْ مَنَعَ الْحِكْمَةَ أَرْبَابَهَا أَصْبَحَ فِي الْحُكْمِ هُمْ ظَالِمًا»<sup>2</sup>

وأبيات أخرى لعلي بن أبي طالب:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاءً<sup>3</sup>

جاء في فضل العلم ما أورده النووي في كتابه رياض الصالحين ما جاء في الحديث النبوي «عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها. متفق عليه. والمراد بالحسد الغبطة، وهو أن يتمنى مثله»<sup>4</sup>.

## نموذج 10:

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۗ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 465. الأمثال المولدة، أبو بكر محمد الخوارزمي، الجمع الثقافي، أبو ظبي، 1424، ص 473

<sup>2</sup> العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1404هـ، ج 2، ص 83

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 465. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تح: حسين العمري، مطهر بن علي الإيراني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999، ج 3، ص 1619

<sup>4</sup> - رياض الصالحين، النووي، ص 369.

بِكُمْ الْيَسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾<sup>1</sup>

استشهد التواتي في عنوان (التحليل اللغوي) بعدة أبيات من الشعر الجاهلي، وذلك في شرح لفظ (رمضان): أن «الماوردي حكى أن اسمه في الجاهلية ناتق وأنشد للمفضل:

وَفِي نَاتِقٍ أَجَلْتُ لَدَى حَوْمَةِ الْوَعَى      وَوَلَّتْ عَلَى الْأَدْبَارِ فُرْسَانُ خَثَعَمًا<sup>2</sup>

وللراعي النميري:

وَفِي نَاتِقٍ كَانَ إِصْطِلَامُ سَرَاتِهِمْ      لِيَالِي أَفْنَى الْقَرْخِ جُلَّ إِيَادِ<sup>3</sup>

كقول العجاج:

لَقَدْ أَتَى فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي      جَارِيَةً فِي دَرْعِهَا الْفَضْفَاضِ  
تُقَطِّعُ الْحَدِيثَ بِالْإِيْمَاضِ      أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ<sup>4</sup>

وفي بيان معنى (قرآن) يستشهد بقول عمرو بن كلثوم قال:

« ذِرَاعِي حُرَّةٌ أَدْمَاءُ بِكْرٍ      هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا<sup>5</sup>»

وبقول حسان بن ثابت في عنوان التحليل اللغوي حيث قال:

« ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عِنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ      يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقِرَانًا<sup>6</sup>»

<sup>1</sup> الآية 185 من سورة البقرة

<sup>2</sup> شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، ج 4، ص 2629

<sup>3</sup> الأزمنة والأمكنة، أبو علي المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417هـ، ص 209

<sup>4</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج 3، ص 348. خزانة الأدب ولب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تح: عبد

السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، ج 8، ص 233

<sup>5</sup> - الدر الثمين، ج 3، ص 356. شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، ص 222

<sup>6</sup> - الدر الثمين، ج 3، ص 350. المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح، أبو الحجاج يوسف ابن يسعون، تح:

## نموذج 11:

قال الله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۗ﴾<sup>1</sup>

استشهد المفسر في "التحليل اللغوي" لبيان معنى (تختانون) ب:

قول زهير بن أبي سلمى:

بَارِزَةَ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخْنَهَا      قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خَلَاءٌ<sup>2</sup>

وقول النابغة الجعدي:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَىٰ جِيدَهَا      تَثَنَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسًا<sup>3</sup>

وقوله أيضا:

لَيْسْتُ أَنَسًا      فَأَفْنَيْتُهُمْ      وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا<sup>4</sup>

فالاختيان مرادة الخيانة، وخيانة الأنفس تمثيل لتكليفها ما لم تكلف به، فإيهام مشروعية

المشقة ليس من الشرع.<sup>5</sup>

---

محمد بن حمود الدعجاني، عمادة البحث بالجامعة الإسلامية، المدينة، السعودية، ط 1، 2008، ج 1، ص

246

<sup>1</sup> سورة البقرة 187

<sup>2</sup> المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن دعامة الأنباري، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف، مصر،

1981، ج 2، ص 73

<sup>3</sup> الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، ج 1، ص 287

<sup>4</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج 3، ص 409-410. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج 1، ص 285

<sup>5</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 2، ص 182

- نموذج 12:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>1</sup>

استشهد المفسر بقول نابغة بني ذبيان لبيان معنى الصوم:

خيلٌ صيامٌ، وخيلٌ غيرُ صائِمةٍ، تحتَ العجاج، وأخرى تعلُّك اللُّجما<sup>2</sup>

وقول امرئ القيس:

فَدَعِ ذَا وَسَلِ لَا هُمَّ عَنكَ بِجِسْرَةٍ دُمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا<sup>3</sup>

قال التواتي: الصيام مصدر، من قول القائل: صُمت عن كذا وكذا. يعني: كففت عنه، ومن

ذلك قيل: صامت الخيل، إذا كُتت عن السير. (...) والصوم: ركود الريح وهو إمساكها المبوب<sup>4</sup>.

أما معنى الصوم في الشريعة فهو الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس عن المفطرات

حال العلم بكون صائما مع اقتران النية. وقيل: الصوم في الشرع عبارة عن الإمساك عن أشياء

مخصوصة تسمى المفطرات كالأكل والشرب والوقاع في زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق

<sup>1</sup> سورة البقرة 183

<sup>2</sup> القوافي، القاضي أبو يعلى عبد الباقي التنوخي، تح: عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1978، ص 60

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج 3، ص 316. الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن العسكري، تح: محمد علي

البحاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ، ص 452

<sup>4</sup> - ينظر: الدر الثمين، ج 3، ص 316

إلى غروب الشمس، ولا بد في صحته من النية وأن يقع في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير أيام التشريق عند الأكثرين<sup>1</sup>.

### - نموذج 13:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾<sup>2</sup>

يذكر التواتي في عنوان التحليل اللغوي في لفظ (بيع) ، قول القائل:

« تَرَكْتُ الْقِدَاحَ وَعَزَفَ الْقِيَانَ وَالْحَمَرَ تَصْلِيَةً وَإِبْتِهَالًا  
وَكَرِّي الْمُحَبَّرَ فِي غَمْرَةٍ وَحَمَلِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِتَالَا  
فِيَا رَبِّ لَا أُعْبِنَنَّ بَيْعِي وَقَدْ بَعْتُ أَهْلِي وَمَالِي ابْتِدَالًا»<sup>3</sup>

وفي شرحه للفظ (خلة) استشهد بقول النابغة الجعدي قال:

" وَكَيْفَ تُوَاصِلُ مِنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ"<sup>4</sup>

وقال امرؤ القيس قال:

« صرَفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشِيهِ الرَّدَى وَلَسْتُ بِمَقْلِي الخِلَالِ وَلَا قَالِي»<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 254

<sup>3</sup> - الدر الثمين، ج4، ص310. غاية المقصد في زوائد المسند، نور الدين بن سليمان الهيثمي، تح: خلاف محمود عبد السميع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج3، ص179،

<sup>4</sup> - الدر الثمين، ج4، ص310. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط1، 2003، ج1، ص53

<sup>5</sup> الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف "السمين الحلبي"، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج7، ص108

وقال الحماسي:

ألا أبلغا خُلَّتِي رَاشِدًا وَصِنُوي قَدِيمًا، إِذَا مَا تَصِلُ<sup>1</sup>

فالخلة المودّة والصحبة.<sup>2</sup>

كما أنه استشهد في شرحه للفظه "شفاعة" بقول الحطيئة:

فذاك فتى إن تآته في صنيعه إلى ماله لا تآته بشفيع<sup>3</sup>

الشفاعة مشتقة من الشفع، وهي الوساطة في طلب النافع، والسعي إلى من يراد استحقاق

رضاه على مغضوب منه عليه، أو إزالة وحشة أو بغضاء بينهما. كما حكاها في التحرير.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> - الدر الثمين، ج 4، ص 310. شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي الاصفهاني، تح:

غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003، ص 183

<sup>2</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 3، ص 14

<sup>3</sup> الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،

ط 3، 1997، ج 1، ص 27

<sup>4</sup> ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 3، ص 15

الخاتمة

كانت هذه الدراسة الموسومة "المقرب اللساني النصي في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي الأعواطي الجزائري"، نموذجاً جديداً في الدراسة النصية لمدونة تفسير جزائرية. وقد سعت من خلال العرض والوصف والتحليل إلى بيان ما إذا توافرت على بيان تلك السمات النصية أم لا، فتوصلت بعد ثلاثة فصول تطبيقية إلى التالي:

- لقد ظهر معنا خلال المتابعة في الدر الثمين، أن السبك النصي ضروري جداً، خصوصاً وقد تناول المفسر من خلال تفسيره للقرآن الكريم آليات التحليل النصي، من منظور نحوي وبلاغي، ليربط بذلك نتيجة التحليل بالدلالة العامة المتعلقة بالسياق في الآية الواحدة، أو بالسورة جميعاً، أو بأن يربط مجموعة من الآيات المتفرقة في السور مع بعضها.
- وقد تجلّى ذلك من خلال وسائل السبك النحوية، كالإحالة بالضمائر والإشارة وغيرهما، والحذف والتكرار والاستبدال والمصاحبة المعجمية التي كشف عنها في تفسيره.
- رأينا كيف أنه لا غنى للنص عن الإحالة، فقد أثبتت الدراسة أن الضمائر ضرورية في سبك النص، اختصاراً له، خصوصاً ضمير الغائب، الذي يحيل لسابق.
- أما الإحالة بأسماء الإشارة، فقد تجلّت أهميته من خلال إفادة السامع قيمة المتحدث عنه، إخطاراً وتنبهاً له.
- وأما الإحالة بالموصول، فقد رأينا أنه يفيد التأكيد لما سبق الكلام عنه، وهو في الغالب يتعلق من ذكرت أوصافه وأحواله.
- وأما الاستبدال، فقد تبين معنا أنه يشكّل بعد الضمير آلية هامة في تلخيص النص. ويشترك معه الحذف في ذلك، وهذا الأخير؛ يمثل أبلغ ما يؤدي من المعنى، فيستعاض بالحذف تلويحاً لأهمية المحذوف، أو طياً لتفصيلاته التي تطيل الكلام.

## خاتمة الدراسة

- أما السبك من خلال التكرار بأنماطه، فقد تناولنا نماذج تتعلق بتكرار الكلمة والآية، لما وجدنا بسطها في الدر الثمين مناسباً للتناول.
- أما الربط بأدوات العطف، فهو مما لا شك فيه أن أي نص أيا كان لا يخلو منها، خصوصاً القرآن الكريم- مع فارق في القياس- إذ لا تخلو الآية منه من حرف عطف، وذلك لأهميته، فقد اهتم المفسر ببعضها، وأغفل ذكر بعضها الآخر، نظراً لما اتبعه من منهجية في التحليل.
- أما السبك المعجمي، فقد اخترنا نموذجين فقط، عرضنا من خلالهما لما تناوله بخصوص علاقة المفردات مع بعضها، أو الآية مع بعضها.
- ثم عرضنا لمفهوم السبك، الذي يقصد به الارتباط والعلائق المعنوية التي في النص، فتجمع أجزاء الجملة الواحدة، ثم النص لتشكّل دلالة كلية، لها قصدتها ومفادها.
- ثم انتقلنا إلى عرض ما اندرج تحته، من آيات يحكّمها المفسرون في فهم النص القرآني، وكانت كالتالي:

1. السياق: وهو الترتاب الخطي للتراكيب اللغوية، والذي يتحكم في توجيه الدلالة النصية.
2. المناسبة، وهو نفسه التغريض عند النصائين، والذي يبحث في أغراض النص، ومدى ملائمة أجزائه لبعضها البعض، وأيضا العنوان مع النص. وكان ذلك من خلال بيان علم المناسبة بين السور والآيات وأسماء السور، وقد كان له أكبر نصيب من هذا الفصل، نظراً لتعدد أنواعه ونظراً للاهتمام البالغ لدى المفسر، وكل مفسر بعلم المناسبة في القرآن.
3. ثم انتقلنا لبيان التأويل، باعتباره آلية فعالة عند كثير من المفسرين كالرازي، والألوسي، وابن عاشور، انتهاء بالتواتي في الدر الثمين. فبيّنا معنى التأويل من خلال تفسيره، ثم عرضنا للآيات التي ورد فيها اللفظ محاولين بذلك إعطاء لمحة كلية للتأويل في القرآن، ثم ذكرنا المعاني التي حولها الآيات في معنى اللفظ.

## خاتمة الدراسة

4. وعرضنا بعدها لعلاقة النص بالتأويل وربطنا ذلك بالدر الثمين، ثم تناولنا ثلاثة أمثلة عرض لها التواتر في تفسيره، تتمثل في المحكم والمتشابه، ثم أولي الأمر، ثم هاروت وماروت. كانت الاختيار لها بناء على الاهتمام البالغ الذي أولاه المفسر لها، وقد وجدنا ذلك الاهتمام عن ابن عاشور، والرازي، والألوسي، وغيرهم. فبيّنا كيف فعّل المفسرون آلية التأويل في تصريف وجوه هذه الآيات ليصلوا إلى بيان المراد منها.

- وصولا إلى آخر نقطة عاجلناها تعلقنا بالتناسل في الدر الثمين، توصلنا فيها إلى:

1. أننا لا نعتمد على التناسل بمفهومه الغربي المحض، ولا نرضى تطبيقه على القرآن الكريم.
2. اعتمدنا في بيان التناسل بمفهوم التقاطع والترابط بين الآيات، شرحا وتفصيلا وتتممة..
3. عرضنا لتعالقة وترابط الآيات القرآنية بنماذجية قاربنا بها بعض المفاهيم التي اخترناها فيما قدمه بعض الدراسين العرب.
4. ثم انتقلنا إلى بيان أن تفسير القرآن بالحديث النبوي نوع من التناسل من جهة أن الحديث يتناسل مع القرآن وليس العكس.
5. وكان آخر ما تناولناه حول تناسل الشعر مع القرآن في بعض المفردات التي بيّن المفسر من خلالها المعنى المقصود. وهو أيضا تناسل من جهة واحدة كسابقه، أي تناسل الشعر مع القرآن على سبيل إبانة المعاني، وليس العكس.

## المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### • القرآن الكريم

#### المصادر والمراجع:

1. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: شعيب أرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 2008
2. الأدب والغراب، عبد الفتاح كليطو، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة 1983.
3. الأزمنة والأمكنة، أبو علي المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417هـ
4. أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998
5. الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، مصر، ط 6، 1424هـ
6. أسرار التكرار في القرآن، محمد بن حمزة الكرماني، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة
7. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، سعيد النورسي، ط 3، دار سوزلر، القاهرة، 2002
8. إعراب الجمل وأشبه الجمل، فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1981 م.
9. إعراب النص... دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب، حسني عبد الجليل يوسف، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 1997 م.
10. أفق الخطاب النقدي، صبري حافظ، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط 1996

## قائمة المصادر والمراجع

11. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011
12. الأمثال المولدة، أبو بكر محمد الخوارزمي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1424
13. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط 1، 2003
14. إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي القيسي، تح: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1987،
15. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420 هـ.
16. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006
17. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، جمال حمدي، وابراهيم عبد الله الكردي. طبعة دار المعرفة لبنان، 1990
18. البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1993
19. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دت.
20. تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر الجوهري، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998.
21. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي "ابن عساكر"، تح: أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995

## قائمة المصادر والمراجع

22. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة الدار التونسية، 1984
23. تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، منشورات دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط1، 2009
24. تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناس، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986
25. تحليل الخطاب، براون يول، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود
26. الترغيب والترهيب، إسماعيل الأصبهاني، تح: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث القاهرة، ط1، 1993
27. التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط4، 2006
28. التعريفات، الشريف الجرجاني، ط1، 2005، دار الفكر، بيروت، لبنان،
29. تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار نوييليس أنترناسيونال، بيروت، لبنان، ط1، 2011
30. تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: محمود محمد شاكر، دار الجوزي، القاهرة، مصر، 2008
31. تفسير مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي، دار الفكر، ط1، 1981
32. تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي ح: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986
33. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر
34. جمع الجوامع "الجامع الكبير"، السيوطي، تح: مختار إبراهيم، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، مصر، ط2، 2005

## قائمة المصادر والمراجع

35. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، بولاق، مصر، طبعة السلطانية، 1311 هـ
36. الجمل المختلف في إعرابها، إبراهيم صالح الحندود، الدراسات اللغوية. 2004 م 5/1،
37. الجملة العربية... تأليفها وأقسامها، صالح فضل السامرائي، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى سنة، 2002.
38. الجملة العربية، حسين منصور الشيخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009
39. جيم براون وجيم يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 1997
40. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت
41. الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1991
42. خزانة الأدب ولب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997
43. الخطاب والنص، المفهوم، العلاقة، السلطة، د. عبد الواسع الحميري مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2008
44. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق-قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر-، عبد الله محمد الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 6، 2006

## قائمة المصادر والمراجع

45. الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي دار الحكمة، الجزائر، ط1،  
2016
46. الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدير المستعصمي، تح: كامل سلمان الجبوري،  
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2015
47. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف "السمين الحلبي"، تح: أحمد  
محمد الخراط، دار القلم، دمشق
48. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن البحيري، مكتبة  
الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2005
49. دراسة في التركيب، عبد السلام سليمي، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، سلا،  
الطبعة الأولى سنة 2010
50. دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، دار دجلة، الطبعة الأولى  
سنة 2009 م.
51. دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر
52. ديوان ذي الرمة (غيلان بن عقبة العدوي)، شرح أبي نصر الباهلي، تح: عبد  
القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط1، 1982
53. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي،  
بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ
54. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب  
أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001
55. السنن الكبرى، البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،  
لبنان، ط3، 2003

## قائمة المصادر والمراجع

56. سنن أبي داود، أبو داود بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت
57. السياق والدلالة، مسعود بودوخة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، ط1، 2012
58. سيميائيات النص مراتب المعنى، سعيد بن جراد، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب سنة 2018
59. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، ط 20، رمضان 1400، يوليو 1980.
60. شرح القصائد العشر، يحيى بن علي الشيباني التبريزي، إدارة الطباعة المنيرية، ط2، 1353هـ
61. شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003
62. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تح: محمد السعيد زغلزل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000
63. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423
64. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تح: حسين العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999
65. الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن العسكري، تح: محمد علي البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ

## قائمة المصادر والمراجع

66. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي
67. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1404هـ
68. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2000
69. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 1، 2004
70. علم لغة النص؛ النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، مطبعة الآداب، القاهرة، ط 1، 2007
71. عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد بن محمد الدينوري "ابن السني"، تح: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة-بيروت
72. غاية المقصد في زوائد المسند، نور الدين بن سليمان الهيتمي، تح: خلاف محمود عبد السميع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001
73. الفوز الكبير في علم التفسير، ولي الله الدهلوي، تر: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة، القاهرة، مصر، ط 2، 1986
74. في بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى سنة 1982 م.
75. قانون التأويل، أبو بكر ابن العربي، تح: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط 1، 1986
76. قصص الأنبياء، الحافظ ابن كثير، تح: مصطفى عبد الواحد، مكتبة، الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، ط 3، 1988 م

## قائمة المصادر والمراجع

77. القوافي، القاضي أبو يعلى عبد الباقي التنوخي، تح: عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2
78. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 3، 1997
79. الكتاب، لسيبويه، ج 1، تح: عبد السلام هارون، ط3، 1988
80. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط 3، 1987
81. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر الحنبلي الدمشقي النعماني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معروض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998
82. لذة النص، رولان بارت، ترجمة فؤاد صفا وحسين سبحان
83. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994.
84. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006
85. لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007
86. لسانيات النص؛ نشأتها ومفهومها وأسسها، محمد عبد الرحمن أحمد محمد، 2015، دار الكتب المصرية، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية، بنين بجرجا، ج 3
87. اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط3، 1998
88. مجمع الأمثال: الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان. ج2

## قائمة المصادر والمراجع

89. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1، 1420، ج 2
90. مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجدراند، وولفجالج دريسلر، د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999
91. مدخل إلى علم لغة النص فولفانج هاينه- ودينز فيهفيجر، تر: فالخ بن شبيب العجمي، الناشر جامعة الملك سعود، 1419 هـ
92. مدخل إلى علم مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنيك، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 2، 2010
93. المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن دعامة الأنباري، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، مصر، 1981
94. مسند الدارمي، أبو محمد عبد الله الدارمي السمرقندي، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، السعودية، ط 1، 2000
95. مشكاة المصابيح، الخطيب ولي الدين التبريزي، تح: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 3، 1985
96. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2009
97. المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح، أبو الحجاج يوسف ابن يسعون، تح: محمد بن حمود الدعجاني، عمادة البحث بالجامعة الإسلامية، المدينة، السعودية، ط 1، 2008
98. معاني القرآن، يحيى بن يزيد الديلمي الفراء، تح: أحمد يوسف النجاشي وآخرون، ط 1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
99. معجم ابن المقرئ، أبو بكر محمد الأصبهاني، تح: عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط 1، 1998

## قائمة المصادر والمراجع

100. معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، تح، عبد المعطي حمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1991
101. المقرر على أبواب المحرر، يوسف بن ماجد بن أبي المجد المقدسي الحنبلي، تح: حسين إسماعيل الجمل، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط 1، 2012
102. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تح: أحمد صقر، دار المعارف، ط 4، سلسلة ذخائر العرب
103. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001، القاهرة، مصر
104. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط13، ج 1
105. نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993
106. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007
107. النص والسياق، فان ديك، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1999
108. نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007
109. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة  
الدراسات الجامعية:

## قائمة المصادر والمراجع

110. الاتساق والانسجام في القرآن مفتاح بن عروس، أطروحة دكتوراه تح: زويير سعدي،  
جامعة الجزائر، 2008

111. الاتساق والانسجام في سورة الكهف، لمحمد بوسته، رسالة ماجستير، كلية الآداب  
واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة لحاج لخضر، باتنة، سنة 2009

112. التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، محمد الزبير عباسي، أطروحة  
دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، كلية اللغة العربية، سنة 2014

113. معايير النصية دراسة في نحو النص، أشرف الشامي، جامعة الأهرام الكندية، عالم  
الكتب، ط 2020

114. المقترب اللساني النصي لدى الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير أنموذجا، أطروحة  
دكتوراه، قسم العربية، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر، 2020

### المجلات:

115. أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص، أعدها عبد الوهاب محمد علي، بحث  
منشور في مجلة المورد، المجلد السادس، العدد الأول، 1977

116. لسانيات النص النظرية والتطبيق، ليندة قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1،  
2009

117. نحو آجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح، بحث منشور في مجلة فصول، المجلد  
العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو 1991 م

### المراجع الأجنبية:

118. Benveniste, E. : Problèmes de linguistique générale.  
Paris : Gallimard.1976.

## قائمة المصادر والمراجع

---

## فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات

الصفحات	العناوين
	شكر وتقدير
	إهداء
ب	مقدمة.....
13	مدخل.....
13	تمهيد: النص في المعجمية اللغوية العربية القديمة.....
14	النص عند المحدثين.....
15	عند العرب.....
17	من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.....
21	المؤلف.....
23	التعريف بالمؤلف.....
25	منهجه في الكتاب.....
116-28	الفصل الأول: السبك في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين.....
28	تمهيد.....
30	1-أهمية السبك في الدر الثمين.....
35	2-وسائل السبك في الدر الثمين.....
39	2-1 وسائل السبك النحوية في الدر الثمين.....
39	2-1-1 الإحالة.....
42	2-1-2 الإحالة عند النحاة وتفسير الدر الثمين.....
44	2-1-3 أنواع الإحالة.....

## فهرس المحتويات

44	..... 1-3-1-2 إحالة إلى ما هو داخل النص
51	..... 2-3-1-2 إحالة إلى ما هو خارج النص
54	..... 4-1-2 مجمل حول الإحالة في الدر الثمين
55	..... 5-1-2 وسائل الإحالة في الدر الثمين
55	..... 1-5-1-2 الضمائر
62	..... تعدد مرجع الضمير
63	..... نقد ومناقشة
65	..... نموذج آخر
69	..... نقد ومناقشة
70	..... نماذجين آخرين
72	..... نموذج عن تعدد الضمير في سياق واحد
76	..... 2-5-1-2 الاستبدال
79	..... 3-5-1-2 الإشارة
81	..... نماذجين عن الجمع
84	..... 4-5-1-2 الموصول
87	..... 5-5-1-2 الحذف
92	..... نقد وإجمال حول الحذف في الدر الثمين
93	..... 6-5-1-2 التبعية
100	..... مجمل حول الإحالة بالعطف في الدر الثمين
102	..... 2-2 الوسائل المعجمية للسبك
102	..... 1-2-2 التكرار
109	..... مجمل حول التكرار ودوره في سبك النص

## فهرس المحتويات

110	.....2-2-2 المصاحبة المعجمية.....
115	.....محمل حول المصاحبة المعجمية.....
194-117	.....الفصل الثاني: الحبك في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين.....
117	.....تمهيد.....
118	.....1-الربك في الدراسات اللسانية النصية.....
119	.....2-أهمية الربك في الدر الثمين.....
122	.....3- الربك في نطاق الجملة من خلال الدر الثمين.....
126	.....4- الربك في نطاق النص من خلال الدر الثمين.....
126	.....1-4 السياق.....
129	.....1-1-4 الفصل.....
131	.....2-1-4 التأكيد.....
133	.....2-4 علم المناسبة.....
136	.....1-2-4 مناسبة اسم السورة لمضمونها.....
138	.....2-2-4 مناسبة اسم السورة للفظ ورد فيها.....
141	.....3-2-4 مناسبة أسماء السورة الواحدة لما ذكر في سياقها.....
143	.....4-2-4 مناسبة اسم السورة وحدث / قصة مذكورة فيها.....
145	.....5-2-4 المناسبة بين اسم السورة والسورة كلها.....
147	.....6-2-4 ارتباط السورة بما قبلها.....
160	.....7-2-4 ارتباط السورة بما بعدها.....
161	.....8-2-4 المناسبة بين اسم السورة والسورة عبر المطالع.....
162	.....4-2-9 مناسبة أول السورة لآخرها.....
164	.....10-2-4 مناسبة آيات السورة الواحدة لبعضها البعض.....

## فهرس المحتويات

166	..... 11-2-4 علاقة الإجمال والتفصيل بين الآيات.....
172	..... 12-2-4 علاقة الترتيب بين الجمل حسب ترتيب الآي.....
175	..... 13-2-4 تناسب السور مع لقرينة تشابه المطالع.....
176	..... 3-4 التأويل.....
180	..... 1-3-4 التأويل في الدر الثمين.....
182	..... 2-3-4 النص والتأويل.....
183	..... 1-5 معنى المحكم والمتشابه.....
189	..... 2-5 مفهوم أولي الأمر.....
194	..... 3-5 قصة هاروت وماروت.....
281-196	..... الفصل الثالث: التناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين.....
196	..... تمهيد.....
197	..... 1-آليات التناص.....
198	..... 2- التناص والقرآن الكرم.....
202	..... 3- تفسير القرآن بالقرآن.....
202	..... 1-3 تفسير لفظة قرآنية بآية.....
210	..... 2-3 تفسير آية بآية.....
214	..... 3-3 تفسير آية بآيتين.....
224	..... 4-3 تفسير آية بآيات.....
241	..... 4- تفسير القرآن بالحديث.....
241	..... 1-4 تفسير آية بمجموعة أحاديث.....
264	..... 5- تفسير القرآن بكلام العرب (الاستشهاد).....
285-238	..... خاتمة الدراسة.....

## فهرس المحتويات

---

297-287	قائمة المصادر والمراجع.....
304-300	الفهرس.....

تسعى هذه الدراسة الوصفية التحليلية لبيان معايير النصية، في محاورها الأساسية؛ من السبك والحبك والتناص في الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين للشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي الجزائري. والتي خلصت إلى وجود تلك المعايير النصية التي يتوسلها المفسر لبيان معاني الآيات القرآنية، وإيضاح الدلالات المقصودة. وأن مجملها لا يختلف عما وضعته الدراسات الغربية لإثبات نصية النص.

الكلمات المفتاحية: النص - النصية - التفسير - المعايير - التحليل

---

**Abstract:**

This descriptive and analytical study seeks to clarify the standards of the text, in its main axes, from casting, weaving and intertextuality in the precious durr in the interpretation of the book shown to Sheikh Al-Tawati bin Al-Tawati Al-Aghouati Al-Jazairi. Which concluded that there are those textual criteria that the interpreter begs to clarify the meanings of the Qur'anic verses, and to clarify the intended connotations. And that their totality is no different from what Western studies have developed to prove the textuality of the text.

---

**Keywords: text-text-interpretation-standards-analysis**

---

**Résumé:**

Cette étude descriptive et analytique cherche à clarifier les normes du texte, dans ses principaux axes, depuis le moulage, le tissage et l'intertextualité dans le précieux durr dans l'interprétation du livre montré à Sheikh Al-Tawati bin Al-Tawati Al-Aghouati Al-Jazairi. Ce qui a conclu qu'il existe ces critères textuels que l'interprète supplie de clarifier le sens des versets coraniques et de clarifier les connotations voulues. Et que leur totalité n'est pas différente de ce que les études occidentales ont développé pour prouver la textualité du texte.

**Mots-clés : texte - texte - interprétation - normes - analyse**